

مصطفى طيبة

رسائل سجين سياسي إلى حبيبته

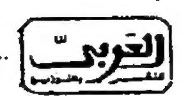




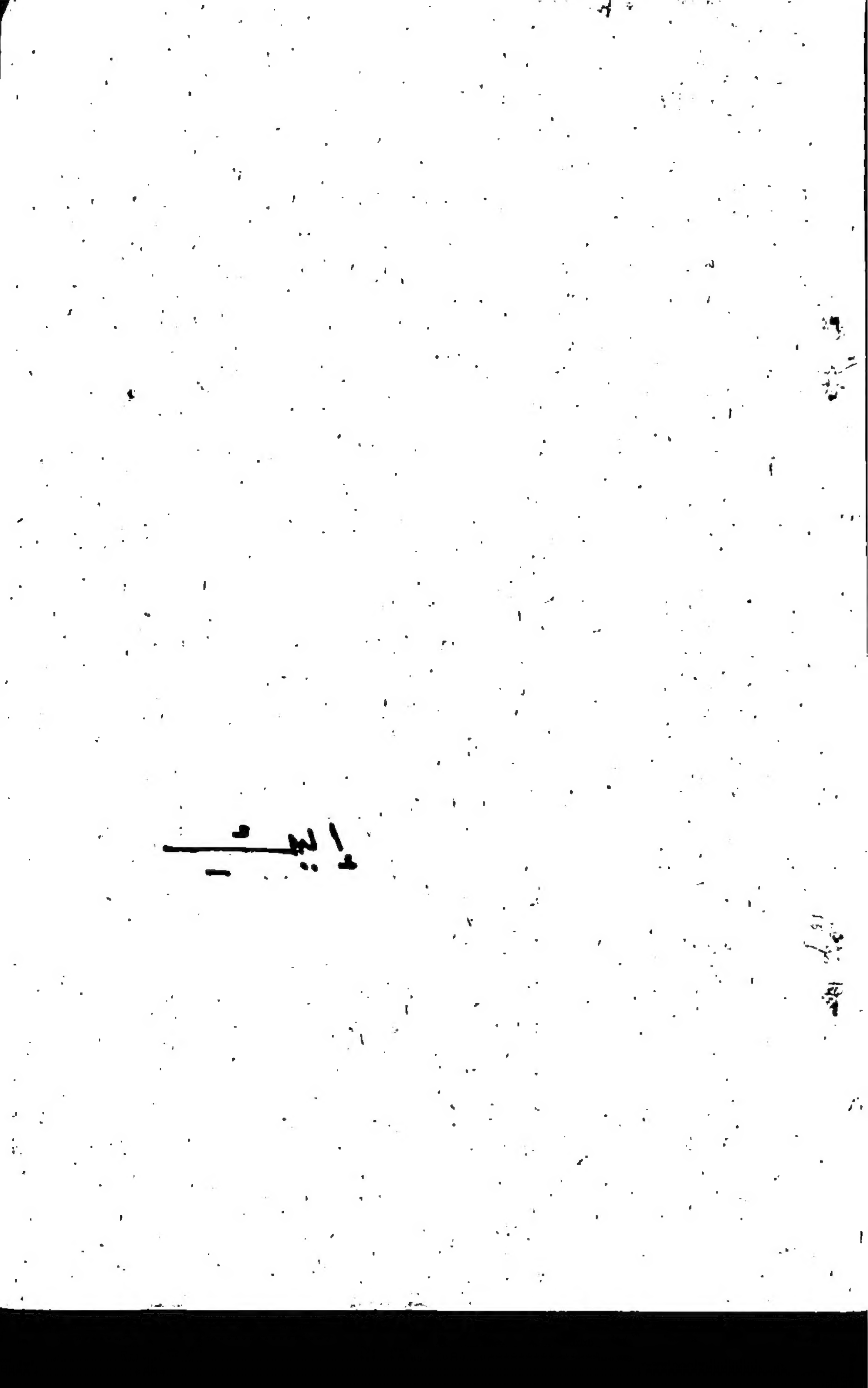
مصطفى طيبة

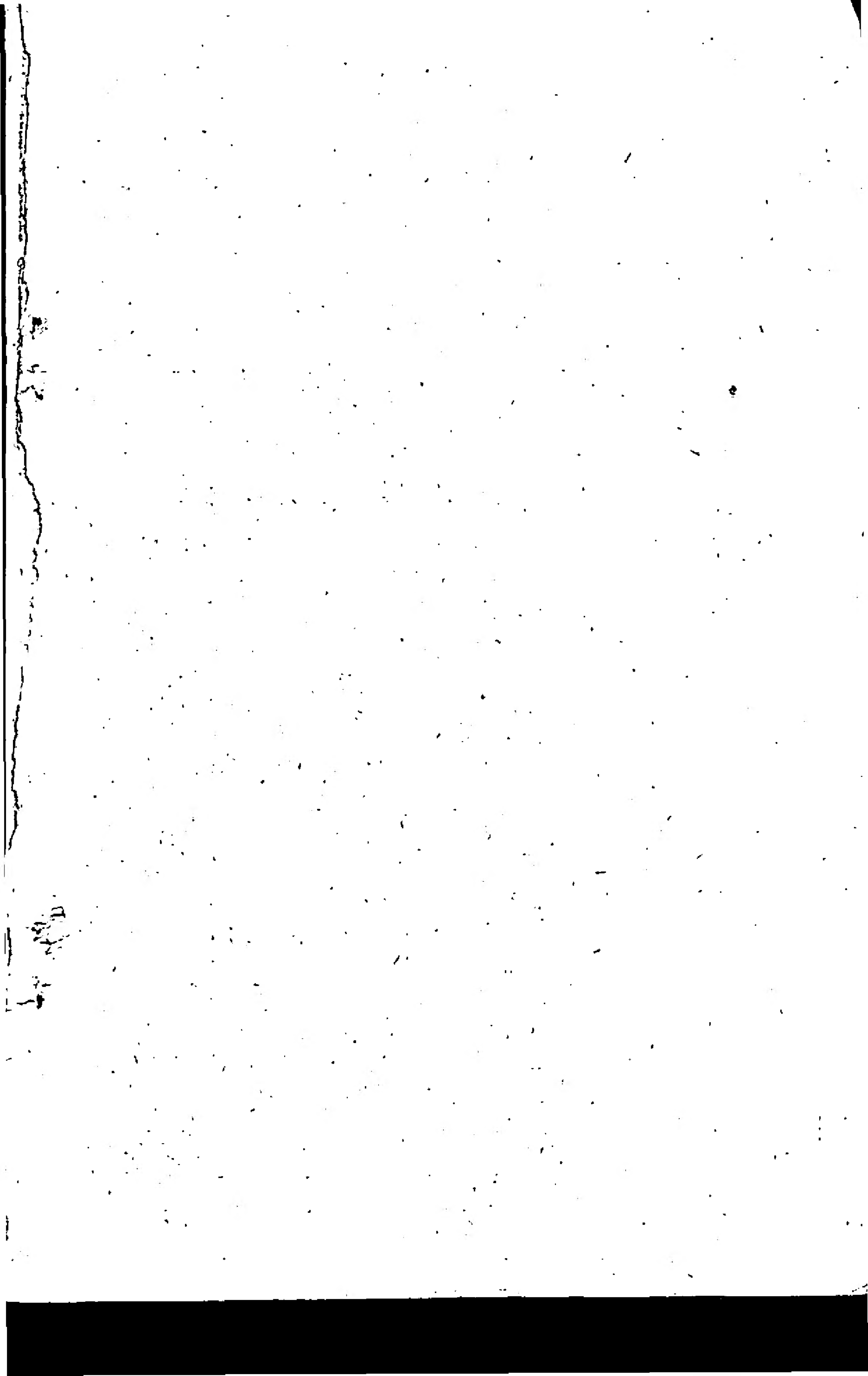
رسائل سجين سياسي إلى حبيبته

الجزء الأول



سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلى
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان ابو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المخاريق
سجن القناطر الخيرية


إليك



حبيبتي

هل تذكرين حديثك التليفوني معي في اول يناير عام ١٩٦٥ ؟
انا ما زلت اتذكره بالحرف الواحد .

ـ الاستاذ .....
ـ انا هو .
ـ متى خرجت من السجن ؟
ـ ٤ ابريل ١٩٦٤
ـ كم سنة مكثت في السجن ؟
ـ ١٢ سنة
ـ سجن او اعتقال
ـ ١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال .
ـ ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟
ـ من انت ؟
ـ صديقة .
ـ ما اسمك ؟
ـ وهل يهمك اسمي ؟
ـ ما دمت صديقة كما تقولين فيهمني ان اعرف اسمك .
ـ وهل تعرف اسم كل صديقاتك واصدقائك ؟
ـ اظن ذلك والا اكون قد فقدت ذاكرتي .
ـ تواضع هذا ؟
ـ واين التواضع هنا ؟
ـ انت فارس الاربعينات .

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينيمائيا يسجل احداث الاربعينات حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذى اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل رنة سخرية .

ـ لماذا توقف ارسالك ؟

وبدت رنة الغضب في نبرات صوتي .

ـ هل تسخرين مني ؟

ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الاسف والاعتذار

ـ عفوا ، آسفة ، كنت امزح معك .

واستمرت رنة الغضب في صوتي .

ـ هل انت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا؟

وجاءت نبرات صوتك تحمل اسفك للمرة الثانية .

ـ كلا ، كلا

ـ ابدا • ابدا • ولكن لنـا بعض الملاحظات • ومن واجبكم ان تسمعوها •
ـ هل هي ملاحظـات او احكـام مسبقـة ؟
« ولم تردى الا بعد ثوان ـ ادركت خلالها انك فهمت ما اقصده »
ـ معك حق هنـاك فـرق بين ملاحظات قـد تكون سليمة وقـد تكـون خاطئة ومن الضرورى أن تناقش والا صارت احكاما مسبقة تضر بالمسيرة •
« ومـرت لحظة عادت ذاكرتى خلالها الى الوراء •• الاربعينات والخمسينات والسنوات الاربع فى الستينات •• ثـم جـاء صوتك يحمل رنة الصدق »
ـ أرجو ان لا أكون قـد لمست جانبـا مـن مسيرتكم يثيـر حساسية خاصـة عندكم •
ـ ابـدا • ابـدا • من رأيى ان هـذا الجانب بالذات هو الذى يجب ان تعرفـوه يا جيـل الستينات •
ـ ولماذا لا تكتبيـه ؟
ـ اخشى أن لا التزم بالموضوعية التـامة •
ـ حـاولى •
ـ حاولت مـرات وفشلت •
ـ ولمـاذا ؟
ـ لاننى فـرد ، جـزء من ظاهرة كبيـرة ومعقـدة •
ـ لكنك لست مجـرد فـرد •• كنت أحد البارزين من قادة المسيرة •
ـ هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عنـد محاولتى الكتابة فى هـذا الموضوع •
ـ مـا العمل اذن ؟
ـ اكتبى انت :
ـ وهل املك قـدرة الكتـابة فى مثل هذا الموضوع ؟
ـ نعم تملكين •
« وجـاء صوتك يحمل الدهشـة كل الدهشة »
ـ انا لا املك الا خبرة صغيـرة •
ـ الا تملكين الايمـان بالشعب ؟
ـ كل الايمان • ولكنى لا املك ادوات البحث ومصادره •
ـ ابحثى عنهـا وستجدينهـا •
ـ أيـن ؟
ـ عند الذين اشتركوا فى صنع المسيرة •
ـ ولكنهم مختلفـون •
ـ الاموات فقط هم الذين لا يختلفون ••
ـ كانت خلافاتهم جذرية وعميقة الجذور •
ـ ابحثى عن اسباب ذلك •

ـ أيـــن ؟
ـ في كل ما يقولونه ويفعلونه ·
ـ سيكون مجـرد تسجيل ؟
ـ سنجلي أولا ثـم بعد ذلك يجيء دور التحليل ·
ـ لا أملك القـدرة على التحليل ·
ـ لا تفكـري في ذلك الآن · هيــا ابـدئي وستجدين معك آخـــرين يســاعدونك ·
ـ هل تعـدني أن تكون أحـد الذين يساعدونني ؟
ـ ليس وعـدا · بل التزامــا ·
ـ موافقــة · ولكن بشرط ·
ـ ما هو الشرط ؟
ـ ان تكتب ذكرياتك خـلال ١٢ سنة سجن ·
ـ موافق ·
ـ ومتى تبـــدأ ؟
ـ حين أجـد نفسي في ظـروف تساعدني على الكتابة ·
ـ وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
ـ نعـــم ·
ـ ما هـو ؟
ـ ابحث عن شيء صــادق ··
ـ هل انت متشائم ؟
ـ بل في غــاية التفــاؤل ·
ـ لســت افهم ·
ـ لا تتعجلي ·· غـدا تفهمين ·
ـ هل تساعدني على الفهم ؟
ـ اعـدك ولكن بشرط ·
ـ ما هـو ؟
ـ ان تبـدئي أنت في تسجيل تاريخ الاربعينات ··
ـ سابـدأ بالبحث عن فرسانها ·
ـ أو لست أنا أحد فرسانها ·· كمــا تقولين ؟
ـ نعم ·· ومن فرسانها البارزين ·
ـ اذن نلتقي ··
ـ كل لقــاء لــه شروط
ـ وما هي شروطك ؟
ـ ليست شروطي ولكنهــا شروط الحيــاة ·
« وساد الصمت لحظــة دار خلالها بيننا حـوار صامت لكنــه ، كـــان اعمق من كل حوارنا الســابق المسموع »

ومنذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كي اكتب ، وفشلت جميعها . كنت لا اعرف لماذا ظللت اعلق نجاحي في الكتابة على لقائي بك ، فرحت ابحث عنك عند كثيرات ولم اجدك . لم أجد الصورة التي تخيلتها خلال حديثك التليفوني معي وبعده . ومضت السنوات تجر وراءها السنوات وكأنني أسير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت . عرفت انني كنت **ابحث عن لحظة صدق هي اشبه بالسراب في عالم مطلوء بالزيف والنفاق .**

ورغم أن هذه اللحظة قد اعادت الى الثقة في قدرتي على الكتابة ، ومنحتني الشجاعة كي اكتب كل ما اعرفه عن الحقيقة ، فانني لم أتناول **غير جزء منها لأسباب موضوعية لم تكن مطروحة منذ ١٢ عاما ،** يوم وعدتك ياحبيبتي بان اكتب .

ولقد حاولت كل جهدي أن اتجنب ما يمكن أن يلوى البعض عنقه ليضعه في خدمة القوى المشبوهة ، وفي نفس الوقت كنت موضوعيا ـ قدر استطاعتي ـ عندما تعرضت لعدد من المواقف السياسية والفكرية **لبعض قيادات « التنظيمات »** .. فاغفري لقلمي حين تناولها أحيانا **بسخرية** مريرة .. ولا ترفضي اجتهاده عندما طرح تساؤلات عن بعض **القضايا النظرية** . وأحسب انه قد آن الآوان كي تعرف الأجيال الجديدة حقائق فترة خصبة في تاريخ مصر .

الرسالة رقم ١

حبيبتي

اللحظة الصادقة التي بحثت عنها ١٢ سنة ، **اعيشها اليوم بكل** كياني . ومن هذه اللحظة استمد الثقة في قدرتي (على الكتابة)

وابدا بيوم خروجي من السجن في ٤ أبريل ١٩٦٤ : بدأت رحلة الافراج عن آخر دفعة من المعتقلين الشيوعيين **يوم ٤ أبريل ١٩٦٤** نقلتنا السيارات من سجن «**المحاريق**» القابع في قلب الصحراء **بالواحات الخارجة** الى أسيوط ، ومنها بالقطار الى محطة ثكنات الجيش بالعباسية. لن أحك كيف تم « شحننا » ... واحسب ان **طريقة** « شحن » الحيوانات أفضل بكثير من الطريقة التي « شحنا بها » . ولم تكن هذه هي مشكلتنا فنحن على أى حال في طريقنا الى « الحرية » . قبل ذلك حين كانوا « يشحنوننا » من سجن الى آخر كنا نحتج ونرفض هذه المعاملة اللاانسانية املا في ان نجد معاملة أكثر انسانية في السجن « المشحونين » اليه .. لكن هذه المرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هي مشكلة حياتنا في ظل «الحرية» كنا اكثر من ٧٠ شخصا . في طريقنا الى الحياة التي غبنا عنها سنوات طويلة وصلت الى **١٢ سنة** بالنسبة للبعض ولم تقل عن **٥ سنوات** للبعض الآخر . وبالطبع كان لكل واحد منا مشاكله الخاصة ولكنها كلها تصب في مشكلة واحدة هي « لقمة العيش » .. فالجميع ، عمالا ، وفلاحين وطلبة ، ومثقفين وأساتذة جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهم منذ سنوات . والبعض يستطيع مواجهة حياته الجديدة بحكم وضعه الاجتماعي ، وقتا طال أو قصر ، غير أنه بالتأكيد سيجد « لقمة العيش » والبعض ــ بحكم وضعه الاجتماعي ، لن يستطيع مواجهة الحياة الا أياما معدودة تحددها قدرات عائلاتهم المالية المحدودة . بعدها ستكون لقمة عيشهم صعبة وعسيرة . وغير هؤلاء كان هناك من يبحث عن المكان الذي سيقضي فيه أياما معدودة يبحث خلالها عن احد من أهله أو أقاربه فقط كي يأويه ليلا بعد البحث بالنهار عن « لقمة العيش » التي لايدري متى سيجدها ، ان وجدها ، فهناك من لم يجدها حتى اليوم الا في شكل ابشع أنواع الاستغلال . هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » ..

راحت « فرحة » عنا خلال الوقت الذي استغرقته رحلة السيارات

من سجن **الحاريق الى اسيوط** ، وجـاءت « الفكـرة » بعد ركوبنـا القطـار المتجـه الى القاهـرة · وفى **محطة العباسية وضع الجميع امـام « الجنـة » !**

ارتفع صـوت الضابط قائـد الحرس يقـول :

ـ اللى بيتـه فى القاهرة وضواحيها يركب العربيـة دى ، ودى · واللى بيتـه فى المحافظات الأخرى يركب العربية دى ، ودى ·

ركب الجميع عـدا ثلاثـة زمـلاء لم يركبوا السيارات · سألهم الضابط ، عن سبب عـدم ركوبهم ·· لـم يجب أحـد منهم · ذهبت الى الضابط وهمست فى أذنـه :

ـ الثلاثة الزملاء ليست لهم عناوين معروفة فى مصر كلهـا ·

قال الرجل بصوت خافت وبتأثر شديد :

ـ ما العمل ؟ ليس أمامى إلا أن **أسلمهم لسجن الاستئناف** حتى يعثـروا على محـال اقامتهم ·

ـ صبـرا ·· سنجد حـلا ·

وانتظـر الرجل والدمعـة تكـاد تقفز مـن عينيـه ·· والجميع ينتظـرون تحـرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عـدم تحركهـا ، ولا سبب عـدم ركـوب الزملاء الثلاثة · كنت الوحيـد تقـريبا الذى لـم يفاجـأ بهـذا الوضع · ربمـا لان صلتى بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مـدى **١٢ عامـا** لم تكن مجـرد صلة سياسية وانمـا كانت صلة انسـانية فـى معظمها ، مئـات المشـاكل التى واجهت مئـات المسجونين والمعتقلين كـان لا يعرفها أحـد غيـرى · ساهمت فى حـل بعضهـا بمـا يتفق مع الظـروف العـامة والخاصـة ، لكن البعض الآخـر كـان مستعصيـا على الحـل ، منهـا هـذه المشكلة · ناديت على أحـد الزمـلاء المقتدرين وطلبت منـه أن يجـد للزمـلاء محـلا لسكنهم حتى يدبـروا أمـر اقامتهم · وركب الزمـلاء الثلاثـة سـيارة الذين يعيشـون فى القاهرة ! أمـا كيف عاشـوا هـم والآخـرين ·· فتلك قصـة سـأحكيهـا لـك فى رسـالة أخـرى · عندما أكتب عن ١٢ سـنة بعـد خروجى من السجن ·

تحركت السيارات وكنت فى احـدى سيارات الذين يعيشون فى القاهرة بالطبع لم تكن وجهـة السيارات هى العنـاوين المختلفة لركابها وانما كانت تتجـه الى أقسـام بوليس أحيـاء العاصمة حيث يتـم اجـراءات الافـراج بعـد التاكد من محل السكن لتنفيذ باقى العقـوبة ! نعـم يا حبيبتى باقـى العقـوبة ، وهى « **المراقبـة** » · انا مثـلا كـان الحـكم الذى صدر ضدى **هو ١٠ سـنوات أشغال شـاقة ، و ٥ سنوات مراقبـة** ـ طبعـا السنتين الزيادة كانوا اعتقال ـ وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وهاتك العـرض واللص **٩ شهور** فقط وفقـا للائحـة السـجون ، **أمـا بالنسبة** لسجون الـرأى فهى **١٢ شـهرا** بالتمـام والكمـال ، فقـد

تنبهوا فى عـــام ١٩٥٥ الى أن اصحاب الرأى أخطـر من أعتى المجـــرمين. فاستثنوا المسجونين السياسيين من قانون السجون ! معنى هذا انني قضيت فى السجن ١٢٠ شهـرا بـدلا من ٩٠ شهرا ثـم تفضلت مباحث أمن الدولة باستضافتى ٢٤ شهـرا أخـرى ، فيكون المجموع ١٤٤ شهـرا وكـان يمكن ان تمـد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار الرئيس الراحل عبـد الناصر بالافـراج عنـــا ٠ والافراج لم يكن يعنى اسقاط العقـوبة وبالتالى كان على ان انفـذ بقيـة العقـوبة بأن اتواجد فى مسكنى ابتداء من غـروب الشمس حتى شروقها ٠ والمراقب معه دفتـر يوقع عليـه شرطى بما يثبت وجــود المسجون فى بيته ٠ وطبعا من حق هذا الشرطى ـ حرصا على أمن الدولة ـ أن يوقظ « المراقب » فى أى وقت من الليل ليتأكـد مـن وجـوده ! ولك أن تتصورى يا حبيبتـى حـالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ فـى عـز الليل ليوقظـه ويجبـره على النزول الى حيث ينتظـره الشرطى علـى البـاب الخارجى للمنزل ليوقع لـه على الدفتـر مـرة ثانيـة وربما ثالثـة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقـوبة الهرب من حكم المراقبـة ؟ السجن مـرة أخـرى وقـد يصل الى الحـكم بقضـاء مـدة المراقبـة فى السجن ! ولقـد حاولوا هـذا معى بعـد خروجى من السجن بأسبوع واحـد حين جـاء زوار الفجـر ليقبضـوا على بتهمة الهـرب مـن المراقبـة الليليـة ٠ فـى تلك الليلـة لـم يأت الشرطى كالمعتـاد فى كل ليلة ٠ ولمـا وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبيته لى مباحث أمن الدولة، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القسـم ويثبتوا فى محضر اننـى موجود فى المنـزل وأطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتـر ٠ وكان هذا المحضر هو السند القـانونى الـذى استند اليـه المحامى الذى تطـوع للدفاع عنى عنـــد محاكمتى وأفـــرج عنى القاضى ولكن بعـــد أن قضيت ٤ أيـام فى سجن الاستئناف وتسمى « التخشيبة » وكانت أفضـل على أى حـال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخـرى ٠

وقـد اعتـرف رجل المباحث (٠٠) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لقضاء السنوات الخمس ! ثـم اعتـرف لى بعـد ذلك أنـهم حاولوا مـرة أخـرى معى ومع عـدد من الزمـلاء تلفيق تهمـة الهـرب مـن المراقبة لولا صدور قرار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقـوبة عن كل الشيوعيين الذين افـرج عنهم ٠ اذكـر اننى فـى اليوم نفسه الذى صـدر فيـه هـذا القـرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهـرة سيرا علـى الأقـدام طـول الليل ٠ وكانت هذه أول مـرة أرى فيهـا ليل القاهرة بعـد اثنـى عشر عامـا ونصف !

اعـود بك الى ٤ ابريل ١٩٦٤ ، يـوم خروجى من السجن وعودتى اليـه مـرة أخـرى فى اليـوم نفسـه ٠

قلت لك اننـى ركبت سيارة الذين يعيشون فى القاهرة واودعونى مـع عـدد من الزمـلاء فى قسم بوليس السيدة زينب • لم يكن لى مسكن خاص، فبعـد حوالى ٦ سـنوات اتفقت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصـال فهى لم تعـد تحتمل مطاردتها فى رزقها • وأنا من ناحيتى لم اكن أرى شعاعا واحدا من أمل الخروج من السجن • بل اننـى فى السنوات الأخيرة وطـدت نفسى على اننى سأقضى ما بقى من عمـرى فى السجن • وبالطبع استبعـدت الذهاب الى منزلى السـابق • لم يبق أمامى غيـر ثلاثـة أمكنـة فى القاهرة • الأول فى شبرا حيث يسكن أحـد أخوتى الكبـار •• لكنـه قاطعنى تمامـا منـذ اكثـر من ٨ سـنوات خوفـا على عمله وعلى بيتـه ، فانقطع تمامـا عن زيارتى : وأخى الثانى وهو أكبـر منى ايضـا ــ رحمه الله ــ كان يسكن فى طـره بجوار السجن الذى قضيت فيـه ٤ سنوات ولـم يفكـر أبـدا فى زيارتى منـذ قبض على ــ ولم يبق أمـامى غيـر منزل اخى الصغيـر ــ رحمه الله ــ كـان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضـا ثـم آثـر السلامة بعـد خروجه من السجن عـام ١٩٥٥ لكنـه تزوج وانجب طفلة خـلال وجودى فى السجن ، ولا أعـرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى أعطى نفسى فرصة للتفكيـر اكثـر وارسال مـن يتحسس الموقف عند الاخـوة الثلاثة • ولـما طلبت من الضابط النوبتجى ذلك فوجئت بقـوله :

ــ لا استطيع أن احتمل بقاءك هنـا حتى الصباح •

قلت لـه مشكلتى •• وتاثـر الرجل وقبل مشكورا أن يستضيفنى فـى مكتبـه حتى الصباح • كـان شـابا لـه صلة بالسياسة واهتماما بهـا • وبينمـا نحن فى حديثنا اذا باخى الصغر مسعد « رحمـه الله » أمامنـا فى المكتب • لقـد راح منـذ الصباح يسال عنى فى أقسـام الشرطـة حتى عـرف من بعض الزمـلاء اننـى هنـا فى قسم السيدة زينب • لن انسى ابدا اللحظات الأولى لهذا اللقـاء الانسانى بعـد أكثـر من ٨ سـنوات لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف مالا يقـل عن ١٢ جنيهـا اجـور مواصلات فقط • يضاف اليهـا مصاريف المبيت فى اسيوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قـال :

ــ صدفـة عظيمة جـدا •

ــ مـا هـى ؟

قال ــ رحمه الله ــ والدموع تسيل من عينه :

ــ اليوم ٤ أبريل عيـد ميلاد ابنتى وذكـرى زواجـنا :

ــ كل سنة وانت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد ! حقـا لـما ينسعد الفقـى تيجى لـه عشوتين فى ليلة واحـدة •

كان مسعد يسكن فى مصر الجديدة قريبا من مسكنى السابق ٠ وكان على أن نذهب فى حراسة أحد الشرطة الى قسم مصر الجديدة لعمل اجـراءات المراقبة ، وحيث يجرى تنبيهى لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » ٠ الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالى ٤٥ دقيقة بالتاكس ٠ خلالها تحدثت معه فى أمور كثيرة ، ابى الذى مات فى أحد الملاجىء !!

تصورى مات فى ملجأ لأنـه لم يطق الحياة مع أى من أولاده ! وأختى التى مرضت بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وقال لهـا الأطباء ان شفاءها بصدمة أخرى ولكن مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر أبريل ١٩٦٢ ـ تاريخ انتهاء العشرة سنوات ـ ولما اعتقلت ولم اخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتى الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء ٠ و ٠ و ٠ و تجسدت امامى مشاكل بلدنا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدودى الدخل ٠ وشعرت فجأة بصداع شديد لم يفارقنى الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاى فى مكتب الضابط النوبتجى بقسم مصر الجديدة ٠ بعد أن هنأنى الضابط بكلمات تقدير ومشاعر انسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجى الليلة لأن الموظف المختص غير موجود ٠ لم أعلق ٠ لكن مسعد همس فى اذنه بكلمات ترجوه أن أحضر معه حفلة عيد ميلاد ابنته ٠ وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الحفلة بشرطين : الأول ان يأتى معنا الشرطى الحارس ٠ والشرط الثانى أن اعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالى ٠ وطبعا قبلنا الشرطين وشكرناه ٠

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخى مسعد لا تستغرق اكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد فى اذنى :

ـ ميمى « زوجتى السابقة » تنتظر منك الموافقة على حضورها الحفلة .

ـ وما رأيك انت ؟

ـ انها لم تنسك لحظة واحدة .

ـ وأولادها كيف حالهم ؟

ـ الابن فى كلية الطب ، والبنت موظفة ٠

توقفت عن السير بحجة اننى ابحث عن شىء وقع منى ٠ ولما استأنفت السير ظللت صامتا حتى وصلنا الى الباب الخارجى للعمارة التى يسكن فيها ٠ قال :

ـ هل ارسل من يطلب ميمى ؟

لم يسمع منى جوابا ، وانما سمع بكائى المتشنج . لم اعرف لحظتهـا لمـاذا بكيت كالأطفال . بعـد اقل من نصف ساعة قضيتها فى جـو غـريب عنـى ، جـو لم اعـرفه منـذ شبابى المبكـر ، شعرت وكاننى لا انتمى الى هذا العـالم . وحلمت بالسجن مـرة اخـرى ! بل ان نفسى لـم تهـدا الا بعد ان عـدت مـرة اخـرى الى سجن قسم مصر الجديدة . هل تصدقين ؟ هذا ما حـدث .. احكيـه لك فى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى .

٥ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسـالة رقـم ٢

حبيبتـى

كـان صـوت الموسيقى الراقصة « يطن » فى اذنى وانا مـا زلت عنـد باب العمارة . أخذت اصعـد السلالم ببطء شـديد ، توقفت مـرات ، وفـى كل مـرة كـان الشرطى يمسك بذراعى .. كى لا اهـرب ! على باب الشقة طلبت من اخـى أن يعفينى من حضـور هذه الحفلة . لم يجب .. واحتوانى بين ذراعيـه وأخذ يقبلنى ، وجـاء صـوت نسـائى لينتزعنى من هـذه اللحظـة الانسانيـة .

ـ اهلا وسهلا .. حمد الله على السلامة .

« لابد ان هذه السيدة زوجة أخى » . حدثنى عنها كثيرا فى خطاباته القليلة الى فى السجن . هذه الابتسامة التـى تملأ وجهها لـم تبـدد احساسى ببرودة صوتهـا وهى تحيينى ولا برودة يدهـا وهى تسلم على . معـذورة . عليهـا أن تقـوم بالواجب ارضاء لزوجهـا . لكن اخى حدثها عنى كثيـرا ...

هكذا كتب الى فى خطاباته ! .. أغلب الظن انهـا لم تفهم شيئا مما قاله . سكتت الموسيقى فجأة واتجهت كل أنظار الحاضرين الـى هـذا المشـهد الغـريب . احـد المدعـوين يتأبط ذراعه شرطى . منظـر يستحق الفـرجة . همس يدور ، وزوجة أخى تتركنى لتنتقل بين المدعوين لتفسر لهم الحكاية . هكذا أصبح فرجة على آخـر الزمن . لمـاذا لم تعطهم فكرة يا مسعد ! لكن المسكين لم يكن يعرف .. وارتفعت أصوات :

ـ حمد الله على السلامة .

ـ أهـلا وسـهلا .

وعـادت الموسيقى تصدح مـرة أخـرى . الـذين عـرفوا الحكـاية عادوا الى الرقص . والذين لم يعرفوها بعـد يتهامسون قليلا مع زوجة أخى ثـم يعودون الى الرقص . وراح المصـور يلتقط لى صورا كثيـرة .. على باب الشقة .. وبين المدعوين واثنـاء جلوسى . وكـان الشرطى الحـارس حريص على ان يظهـر معى فى الصورة وهـو يتأبط ذراعى . انـا لا احب الأضواء لا كما يقولون فى الاذاعة والتليفزيون والسينما ، ولكن لأن المباحث كانت حريصة جـدا على ان تلتقط لى صورا عديدة من كل الجهات ، . وفى كل مناسبة وكانت المناسبات كثيـرة .. يوم قبضوا على .. وعنـد نقلـى من سجن الى آخر .. وما اكثـر السجون التى تنقلت بينهـا ! وكانوا يطبعون هذه الصور بالعشرات .. لتوزع على جميع اقسـام بوليس المملكـة المصرية

ثـم ـ جمهورية مصر ـ ثـم الجمهورية العـربية المتحـدة ـ ! فيـوم دخلت السجن يا حبيبتى كانت مصر ما زالت « مملكـة » ٠٠ ومكثت به ١٢ عـاما وهى « جمهورية مصرية » ثـم « جمهورية عربية متحدة » !

كميات كبيرة من السندويتشات والجاتوه والمرطبات وضعوها أمامى ٠٠ لأول مـرة منـذ غـادرت قسـم السيدة زينب مـرورا بقسم مصر الجديدة ، حتى وصولى المنزل ، لم تترك يـد الشرطى اليمنى يـدى اليسرى الا ليتفرغ للاكل ! لكنه كان بين كل ساندويتش وساوندويتش يتحسسنى ليطمئن على وجود وديعتـه ! رغم اننى استحق الشفقـة فقـد اشفقت حقيقة على اخـى مسعد ٠ كـان المسكين يجلس الى جانبى لحظـة يرحب بى ويعزم على بالأكل ثـم يذهب الى مدعـويه وهكذا ٠

« مـالى انا وهذا العالم » ٠ ١٢ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما ابيض لم تسمع صـوت امـرأة ٠ لـم تلمس يـداك يـد امـرأة ٠ عينـاك لم تر غير لون الزنزانة الأصفـر ٠٠ ولون الصحراء ٠٠ الأصفر ٠ واذناك لم تسـمع سوى أصوات « بروجى » حرس السجن ـ والسلاسل التى يقيدونك بها ٠٠٠ تسمع صوتهـا فى نومك ويقظتك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنتقل فجأة من المـوت الى الحيـاة ٠٠ واى حياة ؟ » كـاد راسى ينفجر ٠٠ هاجمنى الصـداع ٠٠ صرخت ٠٠٠

ـ اسـبرين ٠٠

توقفت الموسيقى وعـادت بسرعة بعـد ان تناولت الأسبرين من فتـاة كانت تجلس الى جانبى طـول الوقت ٠٠ كـانت صامتـة ولكن نظـراتها ودودة ٠٠ وابتساماتها حلـوة ٠

« هذه الفتـاة من تكـون ؟ ربمـا ابنـة اخى الكبيـر ٠ ان له ولد وبنتين يوم دخلت السجن كـان أحمد فى الثانوية العامة ٠ وكانت آمال فى الاعـدادية وأميـرة فى الابتدائيـة ! اغلب الظن انهـا آمال ٠ هل اسالها ؟ لا داعى ٠ لكن هى بالقطع ليست ابنة احد من اخوتى الآخرين ، وهى ايضا ليست ديدى بنت أختى ـ الله يرحمها ـ فقد ولدتها وأنا فى السجن ، وهذه الفتاة لايقل عمـرها عن ٢٢ عامـا ٠ ربمـا تكون « تيتى » بنت زوجتى السـابقة ٠٠ يا سيدى لا تتعجل الأمـور ٠ بكـرة تعـرف كل حاجة »

راسى يتثاقل ٠٠ اشعر برغبـة شديدة فى النـوم فقـد انهـد جسـدى تماما ٠٠ ورحت فى اغفائه ٠٠ وحلمت ٠٠ نعـم حلمت ٠

مازلت اذكـر كل تفاصيل هذا الحلم البعيـد ٠ سأحكيه لك يا حبيبتـى بالتفصيل ٠ الفتـاة التى كانت تجلس الى جانبى تقـول لى وابتسامتها الودودة لا تفارقهـا ٠

ـ انا لست قريبتك يا استـاذ ٠٠٠

ـ عفـوا ٠٠ وهل سـألتك ؟

ـ تعبيرات وجهك كانت تسال

ـ تقرئين افكــــارى ؟
ـ اقرأها ٠٠ وأومن بالعــام منهــا ٠
ـ لا زلت صغيــرة ؟
ـ وانت ٠٠ ألم تبــدأ فى مثل عمــرى ؟
ـ يبــدو انك تعرفين عنى الكثيــر ؟
ـ لست وحــدى ٠٠ كثيرون يعرفون ٠
ـ كيف ومتــى ؟
ـ كمــا عرفت انت الذين سبقوك ؟
ـ عرفناهم من الكتب والصحف ٠
ـ ونحن كذلك ٠٠ ولكــن ازيــد عليك ٠٠ فانــا اعــرفك شخصيا ٠
ـ شخصيا ! انت فى عمــر ابنتــى لو كان لى بنتــا ٠
ـ كنــا جيرانك حين اتــوا للقبض عليك
ـ اذن كان يجب ان اعــرفك ٠
تسكت الفتــاة لحظــة ثــم تقــول :
ـ كنت طفلة ٠٠ وكــان عمرى ٨ ســـنوات ٠٠ وكـــانت « زوجتك »
وما زالت تحبنى ٠٠
ـ لم تنبسك لحظــة واحــدة ٠٠
واصرخ قائــلا وبضحكة هيستيرية
ـ لم تنسنى لحظــة ٠٠ سيدى يا سيدى ٠
تأخذنى الفتــاة بين ذراعيها ٠٠ تهدهدنى كالطفل وتقــول :
ـ انها تحبك ٠٠ صدقنى ٠
أصرخ مــرة أخــرى وأقــول :
لكنهــا قتلت ابنـــى ٠٠ **اسقطته وهو جنين ٠٠ كان عمره الآن ١٣ ســـنة ٠**
ـ ادركت خطأها ! ٠ وهى تريــد طفــلا منك ٠
ـ بعدها ٠٠ تصرف نظــر ٠
وتعود الفتــاة الى هدهدتى كطفل رضيع :
ـ انهــا تنتظــرك ٠٠ صدقنى انها تحبك ٠
ـ انا لا احبها ولم أحبهــا فى حياتى ٠٠ **لن ترانى ابدا ٠٠ ابدا** ٠
ـ لمــاذا تزوجتهــا اذن ؟
كــان من الضرورى ان استيقظ من النــوم ٠ فهذا السؤال لن اجــد لــه جوابا فى حلمى أو فى يقظتى واستيقظت على صوت رقيق يشدنى ٠
ـ فيــه حــد ينــام ليلة الافــراج عنــه ؟
أخذنى **عبد السلام هاشم** وهو الأخ الأصغر **لصلاح هاشم** زميل الدراســة وزميل السجن ٠ تركتــه فى **سجن المحاريق** فهو من بين المحكوم عليهم الذين لم ينهــوا مــدة العقــوبة مثلى ٠ حكم عليه فى نفس قضيتى بــ **١٠ ســنوات**

(م ٢ ـ رسائل)

سجن • ثم حكم عليه بثلاثة سنوات اخرى وهو فى السجن ! وتهمته انه قاد مظاهرة من طلبة الجامعة عام ١٩٥٤ حين خرج لتأدية امتحان هناك • لم يكن وحده الذى قاد مظاهرات فى الجامعة •• كان غيره كثيرون صدرت ضدهم احكام ايضا • ولذلك صدر قرار بحرمان المسجونين الشيوعيين من الدراسة وبالتالى من الخروج للامتحان •

قلت وانا ما زلت فى حالة نوم

ـ والله كبرت يا عبد السلام •

ـ ومخى كبر كمان •• مالك ؟

ـ قرفان تعالى ننزل •

ـ نروح فين ؟

ـ نقعد على قهوة •• عاوز اشوف الناس •• والشارع ••

ولكن رغم احساسى بالفة اكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها فلم استطع أن امكث اكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديد للعودة الى السجن •• وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة وهناك شعرت باننى عدت الى موطنى ! عدت الى أهلى !! وهذه قصة اخرى •

أحكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٣

حبيبتى

مازلنا فى يوم ٤ ابريل ١٩٦٤ ـ يوم الافراج عنى .

عدت الى سجن « التخشيبة » بقسم مصر الجديدة بعد مالا يزيد عن « ساعتين » قضيتها فى حفلة عيد ميلاد بنت أخى ثم أحد المقاهى الشعبية.

ما ان وطأت قدماى أرض « التخشيبة » حتى ملأنى الاحساس بالأمان !

تصورى يا حبيبتى .. أحسست بالأمان مع اللصوص والنصابين والقوادين .. الصغار طبعا .. فالكبار لا يأتون هنا .. ومع المتسولين والمشردين و . و .

الأمان داخل « حجرة » ارضها مكسوة « بالزفت » وخليط من « بصاق » النزلاء وبولهم .. وبرازهم .. فهى للنوم .. و « لقضاء الحاجة » فى نفس الوقت ! وجدران « التخشيبة » يلطخها خليط من دم البشر ، ودم الحشرات . فمن النادر ان تمر ساعة واحدة دون أن تحدث « خناقة » بين النزلاء تستخدم فيها الأمواس والمطاوى . كما لا يمكن أن يعيش « الانسان » لحظة واحدة فى هذه « التخشيبة » دون ان ـ يقتل مئات من حشرة « البق » تلك التى تنافس الانسان فى امتصاص دم أخيه « الانسان » !

لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشيبة » ؟

ربما لأن البشر يكدسون بها كما يكدس الخشب فى المخازن !

هذا هو الأرجح ... فقد رحت أبحث عن مساحة أقف عليها داخل هذه « التخشيبة » .

ـ اتفضل يا بيه هنا ..

ـ لا يابيه تعالى هنا ..

وكادت تحدث خناقة تستخدم فيها كالعادة الأمواس والمطاوى لولا تدخل « المعلم » :

ـ بس يا واد أنت وهوه .. سيب « الايراد » ده ليه .. اتفضل هنا يابيه ، واشار الى مكان بجانبه .

ـ الف شكر يا معلم .

ـ جاى فى ايه يا بيه ؟

نظـرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلـم الباركر أيضـا لم أجـده لـم أجب ٠٠ وضعت الأكل الذى كـان فـى يـدى على الارض ٠

ـ اتفضلوا يا رجـالة ٠

ما كـاد الرجـال يهجمون على الأكل حتى صـاح فيهم « المعلم » :

ـ اسبتنى ياواد انت وهـوه ٠٠

تراجع الجميع ووقفـوا ينتظـرون أوامـر المعلم ٠

ـ ياولاد « الكلب » بقى برضـه احنا ولاد بلد نفهم الأصول ٠ اسـمع يا بيه انت باين عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومـع ذلك تعزم علينا بالأكل الحلو ده ٠٠ يا واد يا عبده هات حاجات البيه ٠٠ يتناولها من « عبده » ويعطيها لى :

ـ اتفضل يا بيـه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظـة ٠ فيهـا خمسـة جنيه أهـم ٠

ـ متشكـر قـوى ٠٠ اتفضلوا ٠٠

ـ متشكرين يا بيـه ٠٠ دلوقت نقـدر ناكل معـاك عيش وملح ٠

« لـم ينسـوا القيم الشعبية ٠٠ أكل العيش والملح يعنى الأمـان ٠٠ أن لا تخن من أكلت معه ٠٠ اللصوص الصغـار دفعتهم ظـروف المجتمع الـى السرقة من أجل أن يعيشوا ٠ لكن اللصوص الكبـار ٠٠ نجـوم المجتمع ٠٠ غارقون حتى رؤوسهم فى بحـار الخيانة ٠٠ خيانة الناس ٠٠ وخيانة الوطن »

واستمرت جلستنا حتى الصباح ٠٠ يسألون واجيب على أسـئلتهم ٠٠ نظراتهم تفيض مودة وحبـا ٠

قـال أحـدهم :

ـ يا بيـه انت صحيح بنى آدم ٠٠

قلت ضاحكـا ٠٠

ـ ٠٠ هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

ـ لا يابيـه ٠٠ فيـه ناس ولاد الشيطان ٠٠ بيعاملونا زى الكـلاب ٠

ـ الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيطان ٠٠ انمـا هـى حكاية الانسان « ووجدت نفسى اتكلم باستفاضة وباسلوب بسيط عن اسـتغلال الانسان لأخيـه الانسان ٠٠ كيف ؟ ولمـاذا ؟ والطريق الى القضـاء علـى الاسـتغلال » ٠٠

ويسأل أحـدهم :

ـ والاشتراكية دى يا بيـه تدينـا الفرصة اننـا نعيش زى البنى آدمين ؟

ـ طبعـا ٠٠ الاشتراكية تدى الفـرصة لكل انسان ان يعمل وينال حقه

ـ زى ما عبد الناصر بيقـول ؟

ـ تقـريبا ٠٠

تعرفين يا حبيبتى اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو باسبوع واحد ..
ولم أشهدها الا فى ٤ ابريل ١٩٦٤ .. ولكن كـان لى موقف مختلف تمامـا
عن مواقف زملائـى حين كانوا خارج الاسـوار وكان مختلفـا أيضـا عندمـا
قبض عليهم فى يناير ١٩٥٩ .. وساحكى لك عن ذلك فى رسائلى المقبلة .

١٠ ينـاير ١٩٧٧
بغــداد

الرسـالة رقـم ٤

حبيبتـي

طلع على صباح يـوم ٥ أبريل وانا مستغرق فى حديث منـذ العـاشرة مسـاء اليـوم السـابق مع نزلاء « تخشيبة » قسـم شرطة مصر الجديدة • ولقـد عرفت « التخشيبة » مرتين ، كانت المـرة الاولى فى « تخشيبة » قسم شرطة الوايلى يـوم قبض على أحمد حلمى رئيس المباحث العـامة « البوليس السياسى سـابقا » فى ١٨ يوليـو ١٩٥٢ ، فقـد أودعنى هنـاك لحسـابه حتى انتقل الى سجن مصر لحسـاب النيـابة العامة • فى ذلك اليوم حـذر أحمـد حلمى مامور القسـم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن فى غرفـة انفـرادية ! • واحتـار مامور السجن ، ماذا يفعل ؟ ليس فى القسـم غير غرفة للرجال واخـرى للنساء ، فاين يضعنى ؟ واخيرا وجـد الحل •• غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهى تبعـد عن غـرفة الرجـال •• فوضعنى فى طـرقة صغيرة تطل على غـرفة النسـاء ••• ولكن ظلت مشكلة هى انـه يمكن الحديث مع النساء المسجونات مـن شباك واسع لغرفتهن ••• ولم يكن أمامـه من حل خوفـا على المراتين سوى أن ينبهما الـى خطورتـى • وبعـد أن اغلق بنفسـه بـاب غـرفة النسـاء •• وتأكـد مـن اغلاق بـابه الطـرقة •• وبعـد اعطـاء التعليمـات المشددة للحراس بان لا يتصل بـى أحـد والتنبيـه الى أى حـديث يجـرى بينـى وبين المراتين •• انصرف مطمئنـا !

ويبـدو ان تلك الاجـراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المـراتين فبعـد دقائق قالت أحداهن :

ـ أيه الحكاية يا بيـه •• أنت جاى فى أيـه •• أنا عمرى ما شفت كده •

ـ وانتى بتيجى هنـا كتيـر ؟

ـ مـرة كل أسبوع •• مرتين •• حسب الأحوال •

« لـم أفهم ما تقصـده •• فلم أرد عليهـا •• فقالت بغضب »

ـ أيه يا فندى ما بتردش على ليـه •• مش قـد المقـام والا أيه ؟

وتدخلت المراة الأخـرى •

ـ يا أختى •• حيلك على البيه شوية •• ده باين ابن ناس ومش فاهم •

قلت وابتسامة خفيفة على وجهى :

ـ الحقيقة مش فاهم •

قالت نفس المرأة :
ـ مش باقول ـ والنبى ده ابن ناس ٠٠ شوفى ضحكته يا روحى عليه.
قالت الأولى :
ـ آه والنبى ٠٠ ضحكته حلوة ٠٠ يحميك لشبابك ٠
ـ الله يخليكى ٠٠ لكن ٠٠ بتيجى هنا كتير ليه ؟
ـ لما تشحط وما اقدرش ادفع المعلوم
« ويبدو أن وجهى لم يستطع اخفاء الاحساس بالألم والاشمئزاز » ٠٠
قلت :
ـ أيه ابدا ما فيش حاجة ٠
قالت بغضب :
ـ أيه يعنى أحنا ولاد ناس برضة ٠٠ بس الزمان اللى حكم علينا ٠٠ ولقمة العيش مرة ٠
« لقد حسبت المسكينة اننى احتقرتها ٠٠ كما يحتقرها حتى أولئك الذين يستمتعون بها ارضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :
ـ وحياتك يا ستى أنت فهمتى غلط ٠٠ انا زعلان علشانك !
وتدخلت المرأة الثانية .
ـ والنبى ماليكى حق يا ستيه ٠٠ شوفى صوته فيه حنية قد أيه !
قالت الأولى :
ـ متاسفة يا بيه والنبى أنت طيب وباين عليك خام قوى ٠
« عرفت لأول مرة انها اذا نادتنى بيا بيه تكون راضية عنى واذا قالت يا افندى يكون ذلك تعبيرا عن غضبها ٠٠ قلت :
ـ لا أبدأ مفيش داعى للأسف ٠٠ انتو مظلومين ٠
قالت الأولى :
ـ أول مرة فى حياتى حد يقول لى أنتى مظلومة ٠
قالت الثانية :
ـ والنبى ده خام قوى ٠٠ أنت يا بيه جاى فى أيه ٠
ـ جاى فى قضية سياسية ٠
ـ يعنى أيه يا بيه ٠٠ عملت أيه ؟
ـ بنطالب بأن الناس تعيش كويس ٠٠
ـ طيب واللى يطالب بكده يحبسوه ؟
ـ طبعا لأنهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ٠٠
قالت المرأة الثانية
ـ يعنى البيه عاوز يخلى كل الناس كويسين ؟
قالت الأولى :
ـ صحيح يا بيه ؟

قلت :

– كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حد

قالت الأولى :

– الله يحميك لشبابك أنت واللى زيك يا اخويا ..

وقالت الثانية :

– الله ينصرك أنت وزمايلك يا حبيبى ..

« حبيبى !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة .. سمعتها كثيرا من زوجتى السابقة ولم انفعل كما انفعلت هذه المرة .. هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزبائنها وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل ينفعلون كما انفعلت .. بالقطع لا .. وبالتأكيد لم يكن انفعالى حسيا .. كان انفعالا انسانيا خالصا »

وجاء صوتها ليقطع لحظة صمتى وتاملاتى :

– شوفى يا سبنية .. وشه زى الملاك .. والنبى ده بنىً آدم .

« رغم الحياة اللا انسانية التى تعيشها هذه المرأة وأمثالها فهى بأى لمسة صادقة تعود اليها انسانيتها المهدرة .. »

كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا .. ووصلت الى اسماعنا اصوات وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الأولى :

– الايراد وصل ..

وقالت الثانية :

– الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟

فتح الباب .. وامتلأت الطرقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يبدو انه ضابط بوليس الآداب .. زج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اقذع الشتائم .. وبعد ان اغلق الباب عليهن .. تنبه الضابط الى وجودى .. سأل بغضب .

– انت أيه .. وأيه جابك هنا ؟

قلت بسخرية :

– انا زى ما انتَ شايف .. واللى جابنى هنا المأمور .

– ليه ما دخلتش حجرة الرجالة .

– والله تسأل المأمور فى الحكاية دى .. يظهر انه مش حريص قوى على حماية الآداب !

قال بغضب :

– انت بتهزر .. انت جاى فى أيه ؟

– أسأل البكباشى **احمد حلمى** رئيس البوليس السياسى .

« وما كاد الرجل يسمع اسم **احمد حلمى** حتى ظهر على وجهه الرعب ..

فاسرع بغلق الباب خلفه ثم نادى على الشرطى لينبه عليه بأن يمنعنى من اى كلام مع النساء .

بعد انصرافه .. قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :

ـ طيب وازاى اقدر امنعه من الكلام مع الستات .. طيب ولية هوه راح يقول لهم ايه يعنى .. ومهما قال طب ما هو الباب مقفول عليهم .. انا مش فاهم :

ناديت على الشرطى وقلت له :

ـ افهمك انا ..

ـ الله يسترك فهمنى انا عقلى راح يطير .. الظابط النوبتجى قال خد بالك من الشاب ده احسن يتكلم مع الستات .. والعسكرى اللى استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الأمن .. وانا من ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وانا سامع كلامكو .. كلامك حلو .. ما فيهش ابدا لا مؤاخذة .. قلة ادب ..

قلت مقاطعا :

ـ اهو الكلام الحلو ده هو الخطر على الأمن ..

قال :

ـ أمن مين بس ؟

ـ أمن الأغنياء اللى بينهبونى وينهبوك ..

ـ آه فهمت .

ـ ايوه ـ فهمت أيه بقى .

ـ فهمت .

« انصرف الشرطى بعيدا .. ولم يعطنى فرصة كى ابين له الفرق بين البلد والنظام السياسى للبلد » .

واردت أن أروح فى اغفاءة حتى أستطيع مواجهة تحقيق النيابة الذى لم يبق عليه سوى ساعات .. لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة المجاورة لم تمكنى من هذه الرغبة .. سمعت احداهن تقول :

ـ وأنت شفتى سياسيين قبل كده ؟

وترد أخرى .

ـ آه وحياتك .. جانى واحد مرة .. ما عملش حاجة .. لكن اداننى فلوس .

وترد الأولى .

ـ وعرفتى منين انه سياسى ؟

ـ هوه قال كده وكان جاى لى هربان من البوليس .. ولما اطمان مشى ..

« ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى .. اغلب الظن انه كان مثلى لم

يستطع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله .. اذكر اننى حتى زواجى الأول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس .. وذات يوم فى عام ١٩٤٨ حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن من ذلك .. واذكر اننى مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتى الأولى والأخيرة حتى منزلى بشبرا وانا لا أعرف سببا محددا لهذا الموقف الشاذ فى نظر زملائى الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحوا يتهكمون على ويسخرون من قدراتى ويشككون فيها . ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا فى تكوينى .. لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة .. عرفت ان لحظة الاتصال الحسى بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل الانسانى والفكرى والعاطفى . وهذه اللحظة هى اصدق لحظات الانسان الحقيقى .. واظن ان مثل هذه اللحظات الصادقة .. نادرة جدا ندرة الإنسان الصادق وسط عالم مزيف منافق .

ورحت فى اغفائه صحوت منها على صوت ينادينى .

شرطيان وضابط بملابسه الرسمية يتقدمهم البكباشى **احمد حلمى** .. جاءوا كى يصحبونى الى نيابة أمن الدولة .. للتحقيق معى .

كانت هذه هى المرة الأولى التى أزى فيها « **تخشيبة** » قسم الشرطة ومنها خرجت الى **سجن مصر** ثم الى **سجون أخرى** كثيرة ساحدثك عن ذكرياتى فيها فى رسائلى المقبلة . وكانت المرة الثانية التى عرفت فيها « **التخشيبة** » هى يوم الافراج عنى بعد **١٢ عاما** عشتها فى سجون مصر المختلفة .

وكل « **تخشيبات** » **اقسام الشرطة** تشهد مع صباح كل يوم نشاطا كبيرا .. اعداد من رجال الشرطة يحملون **القيود الحديدية** التى توضع فى المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » **أو جنزيرا** طويلا يربطون به عددا من المتهمين « غير الخطرين » . ومع اشراقة صباح كل يوم عندما يسمع نزلاء التخشيبة صوت القيود والسلاسل الحديدية مختلطة بأصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل .. وعادة يعرف كل واحد اين سيذهب .. هذا للتحقيق معه ثم السجن .. وهذا لترحيله الى سجن بعد ان حكم عليه .. وهكذا .. كنت انا الوحيد الذى قضى ليلته فى « التخشيبة » ليفرج عنى فى الصباح .

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من فى « التخشيبة » وعانقونى فى ود ومحبة وأصر بعضهم على ان يعرفوا عنوانى ليزورونى .. وبالفعل حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الافراج عنى .

وعلى الرغم من اننى خرجت من **التخشيبة** حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

٥ ابريل ١٩٦٤ فانني لم اغادر قسم مصر الجديدة الا الساعة التاسعة مساء حيث صحبوني الى المباحث العامة ومنها الى المنزل الذى وصلته حوالى الثانية عشر مساء وخلال تلك الساعات حدث الكثير ٠٠ وهو ما ساحيكه لك يا حبيبتى في الرسالة المقبلة ٠

١٢ ينـاير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم ٥

حبيبتى

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب **مامور قسم مصر الجديدة** لعمل الاجراءات اللازمة للافراج عنى • حيانى الرجل بابتسامة عريضة وودودة وحولنى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجراءات •• وما كاد الجاويش يبدأ فى تدوين البيانات المطلوبة •• الاسم •• السكن •• العمل •• الخ حتى دخل رجل بملابس مدنية •

وهمس بكلمات لم اتبينها فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مع ضابط المباحث الى مامور القسم •• ثم عاد ليقول لى ان على ان انتظر حتى تأتى الأوامر بالافراج •

قلت مستفسرا :

ـ أوامر ؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الاسى :

ـ والله يا ابنى ما أنا عارف •

ـ امال مين اللى يعرف ؟

ـ المباحث العامة •

ولعب الفار فى « عبى » •• لا بد ان أمرا قد حدث •• طلبت من الجاويش ان اقرأ صحيفة الصباح •• فناولنى اياها وهو يبتسم ابتسامة من يعرف ما الذى اريد ان اعرفه من قراءتى للجريدة •• وبعد أن تصفحت **اهرام ٥ أبريل ١٩٦٤** قلت :

ـ مفيش انقلاب ضد عبد الناصر •• ايه الحكاية آمال ؟

ـ والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا **المباحث العامة** •• اصبر شوية ربنا يفرجها •

ذهبت الى مامور القسم لاعرف منه الموضوع وقبل ان ادخل مكتبه قابلت بعضا من اهالى المسجونين الذين ما زالوا فى **الواحات** ولم يصدر عنهم قرار الافراج بعد •• وعرفت منهم الحكاية ،

وبعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **المحاريق بالواحات الخارجية الى اسيوط** ومنها الى القاهرة للافراج عنا نحن المعتقلين٠٠ دبرت المباحث مع مامور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم فى انتظار القرار **الجمهورى بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس** اسحق » وجرح محمد سيد أحمد و د٠ اسماعيل صبرى عبدالله ٠

بدات **المؤامرة** بتحرش **مامور السجن** بواحد من الزملاء الشبان اثناء « فسحة » الزملاء المسجونين ٠٠ وكان هذا التحرش هو ساعة الصفر ما ان بدأ المسجونون يتجهون الى حيث يقف المامور والزميل حتى انهال **رصاص المدافع الرشاشة** من وراء الأسوار الخارجية للسجن ٠٠ وأسقطت احدى الرصاصات الغادرة **الشهيد** « **لويس اسحق** » واصابت اخرى وجه **محمد سيد أحمد** وأخرى ساق د ٠ **اسماعيل صبرى عبدالله** وكادت تتحول الى مجزرة يروح ضحيتها عشرات الزملاء لولا تدخل أحد ضباط السجن الذى صاح باعلى صوته ٠

ـ احذروا هذه مؤامرة ضدكم ٠

واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المامور ويبدو أنه كان يعرف تواطؤه مع المباحث العامة بالكف عن اطلاق الرصاص ٠٠ ونصح الزملاء المسجونين بدخول العنابر ٠

وحمل هذا **الضابط الوطنى** برقيات الزملاء المسجونين الى الرئيس **جمال عبدالناصر** يوضحون فيها ابعاد المؤامرة وأهدافها ويطلبون التحقيق الفورى ويكررون تاييدهم لسياسة الرئيس الوطنية التقدمية ؛ كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى يرسلوا برقيات مماثلة الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية يطلبون التحقيق ٠

وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين مقسمين بين **رئاسة الجمهورية ومنزل الرئيس جمال عبد الناصر** يعلنون تاييد أبناءهم للثورة وقائدها ويطلبون التحقيق فى المؤامرة التى تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالتالى الغاء قرار الافراج عنهم ٠

ولم يهدأ بال الأهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى أمر الرئيس عبد الناصر بسفرها فورا الى **الواحات** للتحقيق ٠ وفى التحقيق شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة بما حدث من استفزاز مامور السجن لأحد الزملاء ٠ وشهد بعض السجانة بأن المامور أمرهم بالاستعداد بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الأسوار الخارجية للسجن واطلاق النار على المجسونين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان هذه الأوامر صدرت فى حضور واحد من ضباط المباحث الذى كان قد حضر بعد رحلينا مباشرة ٠

وعندما عرض التحقيق على **الرئيس عبد الناصر** امر باحالة **مأمور السجن** الى المعاش والتحقيق لمعرفة من الذى دبر هذه **المؤامرة فى المباحث العامة** • ويبدو ان نقل حسن المصيلحى من **المباحث الى الجوازات والجنسية** كان دليلا على تدبيره للمؤامرة • ولحسن المصيلحى هذا ـ وهو منذ **أواخر عام ١٩٦٤** يملك شركة للتصدير والاستيراد فى جنيف ـ قصص مع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين سأحكيها لك يا حبيبتى فى رسائل مقبلة•

وبالطبع كنت انا وبعض الذين لم يخرجوا **يوم ٤ أبريل** ـ وقبل ان تصل أوامر المباحث بحجزنا رهائن فى أقسام الشرطة لحساب المباحث العامة ـ فى انتظار نتائج المؤامرة حتى اذا حققت اهدافها والغى قرار الافراج نعود مرة أخرى الى المعتقل • حتى الذين أفلتوا وخرجوا **يوم ٤ أبريل** ذهب رجال المباحث الى بيوتهم للاطمئنان على وجودهم للقبض عليهم مرة أخرى عندما تنجح المؤامرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها إلا بعد ان فشلت مؤامرة المباحث العامة :

وفى الساعة الثامنة **مساء ٥ أبريل** كنت فى حجرة الضابط النوبتجى لانهاء اجراءات الافراج عنى •• وعلى باب قسم البوليس حيث تجمع حولى الأهل والأصدقاء ، رايت ضابط مباحث القسم وعلى وجهه ابتسامة مسطحة •• هنأنى بالافراج •• وبأدب رجال المباحث المعروف طلب منى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن المصيلحى • انهال عليه أخى « رحمه الله » بالشتائم وصرخت زوجتى السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبه •

قال ضابط المباحث فى برود شديد

ـ لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر •• كل ما فى الأمر ان سيادة اللواء « **حسن المصيلحى** » يريد أن يتحدث معك قليلا •• « تملكتنى رغبة شديدة فى الذهاب الى **حسن المصيلحى** كى اسمع ما سيقوله عن المؤامرة التى دبرها من مكتبه فى القاهرة قلت للضباط بسخرية :

ـ ساحضر معك من الواجب ان اشكر الرجل الذى استضافنا واكرم ضيافتنا !

قال :

ـ انتو مش فاهمين •• احنا موظفين بنفذ أوامر علينا ••

ـ ومؤامرة الحاريق •• كانت أوامر علينا ايضا ؟

امتقع وجه الرجل ولم يجب ركبت معه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فى عربته •• ولحقت بنا ثلاث سيارات أجرة تحمل الأصدقاء •• استقبلنى **احمد صالح داود** رئيس قسم مكافحة الشيوعية وكانت هذه هى المرة الثالثة التى اقابل فيها هذا الرجل • كانت المرة الأولى فى **سجن مصر** عندما رحلت اليه من

سجن **المحاريق بالواحات** حيث كان من المفروض ان يفرج **عنى فى ابريل١٩٦٢**٠
غير ان **المباحث العامة** استضافتنى عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك يا حبيبتى فى رسالة سابقة ٠ فى ذلك اليوم كان معى زميل فى قضيتى نفسها وزميل آخر فى قضية اخرى ، انا وزميلى الاول قبض علينا فى يوم واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ،، اما الزميل الآخر فكان حكمه ٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بأيام ٠ وفى صباح اليوم نفسه الذى خرج فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن ٠٠ **انتباه ٠٠ انتباه ٠٠ انتباه** ٠ يصيح بها السجانة بصوت عال جدا حين تصل الى السجن **شخصية خطيرة** مثل شخصية **أحمد صالح داود** ٠ دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من **ضباط المباحث ومامور السجن** وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة التى تحتوينى وزميلى صاح سجان بصوت عال :

ـ تفتيش ٠٠ تفتيش ٠٠

الذعر يملأ مأمور السجن وضباطه ٠٠ تلتقى نظراتهم بعينى التى ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون ٠

ـ لا يوجد شىء ممنوع ٠ اطمئن ٠٠

والتقت نظرات **احمد صالح داود** وضباط المباحث الذين معه بعينى فلم يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجىء ٠ وبعد دقائق معدودة كان كل شىء واضحا ٠ الغرض الذى أتى من أجله ضباط المباحث لم يتحقق ٠٠ لم يجدوا **علبة السلمون**!٠

لا تضحكى يا حبيبتى ٠٠ أقسم لك انهم جاءوا من اجل **علبة سمك** سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !

قال أحد الضباط بغيظ :

ـ فين الأكل اللى كان معاكو ٠

قلت بسخرية ٠٠

ـ قصدك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه ٠

ـ أيوه فين هيه ٠٠ ؟

ـ اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذى خرج اليوم اسالوه عنها ٠٠ لعله لم يزل عندكم بعد فى الانتظار ٠

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوهم بالحقد والغضب ٠٠ لقد فشلت مؤامرتهم لتلفيق **قضية جديدة لى ولزميلى من أجل استضافتى عشر سنوات أخرى** ٠

كان معنا بالفعل علبة سلمون .. تركها معنا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبا منا ان نعطيها لاحد زملائنا فى سجن القناطر الخيرية الذى سنذهب اليه انا وزميلى الثانى قبل اعتقالنا من جديد أو الافراج عنا من هناك . لا أدرى لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربما لانه مكث طول الليل يكيل لى المديح والثناء كيلا الى الحد الذى جعلنى اشك فى انه يدبر شيئا .

وحتى صباح اليوم التالى كانت علبة السلمون فى حوزته .. واعطاها لى قبل ان يترك سجن مصر بدقائق .. ولم تمض دقائق بعد أن تركت الزنزانة الا وكانت العلبة مفتوحة .. لم يكن بها سمك السلمون اللذيذ .. وانما كانت محشوة بالأوراق . بعضها مكتوب بخط اليد .. وبعضها مطبوع على الرونيو .. وبسرعة احرقت وزميلى كل الأوراق فى « جردل البول » وتصادف ان جاء موعد « الفسحة » .. والفسحة معناها ان يخرج السجين الى دورة المياه ليقضى حاجته وليلق « الحاجة » التى تجمعت فى الجردل طول الليل وساعات النهار التى تغلق فيها الزنزانة .. وفى دورة المياه ازال زميلى الثانى أى أثر للورق المحروق واعطى الكوز لأحد المساجين الذى فرح به كثيرا فان له استعمالات عديدة فى السجن ، مامور السجن فهم هذا كله دون ان انطق بكلمة .. وكان سعيدا سعادة لا حد لها .. وعند انصراف هذا الجمع الحاشد الذى جاء ليضبط علبة السلمون .. تاخر المامور خطوات ليشد على يدى شاكرا ممتنا فلو ان المباحث وجدت علبة السلمون لنكلت به وبكل ضباط السجن وسجانيه .

تسالين .. لماذا ياحبيبتى ؟ .. ساقول لك .

عند دخول أى سجين الى السجن أو خروجه منه لأى غرض .. التحقيق معه . او العلاج .. الخ يجرى تفتيشه بدقة شديدة حتى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعات . والممنوعات كثيرة جدا .. تبدا من الشاى والسجاير والمخدرات وتنتهى بالمنشورات « الشيوعية » . وكل الممنوعات بما فيها **المخدرات لا تساوى شيئا الى جانب « المنشورات »** ! ويا ويل المسجون السياسى الذى تضبط معه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتى نظيفة فهى دليل على انه ينوى كتابة أفكار « **هدامة ومستوردة** » . ولكن إذا وجدت مخدرات مع مسجون فلا بأس .. فالجميع يمكن ان « ينبسطوا » !

وعادة يقوم ضباط السجن بتفتيش المسجونين الخطرين امثالنا بحثا عن منشورات أو أوراق نظيفة بوصفها « مشروع منشورات » . وفى حالتنا هذه لو ان المباحث وجدت علبة السلمون أياما وما بها من أوراق لانهدت الدنيا على مامور السجن وضباطه وسجانيه لاهمالهم وعدم

يقظتهم وبالتالـي يضـع رجال المباحث أرجلهم في السـجن بشـكل واضح. وهو ما يرفضـه ضباط السجن حيث يجدون في هـذا تدخـلا في عملهم .. فقانون السجون لا يسمح لضباط المباحث بدخول السجن والتفتيش واذا حدث فيكون ذلك باذن من وزير الداخليـة . حدث ذلك في حالتنـا هـذه وفـي حـالات اخرى نـادرة جدا . لـم أعرف ماذا حـدث « للزميـل » الثـالث حين عـاد ضباط المباحث بخفي حنين . لكنـه أفـرج عنـه على أي حـال. وعـدنا وزميلـي الى سجن القلعـة ثـم المحاريق معتقلين . وحين افـرج عني في ابريـل ١٩٦٤ وجدت هذا الزميـل الثالث يكتب في الصحف والاذاعـة والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، في النقـد والادب ، وحتى السياسـة ! وهو حتى كتابة هذه السـطور كاتب « كبير » يشـار اليـه بكـل اصـابع اليدين والرجلين ! كانت هذه هي المرة الأولـى التـي اقابـل فيهـا **أحمد صـالح داود** ... وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبـوا بـي من **سجن القناطر الخيرية الى المباحث العامـة** ... لاعتقالـي .. أو للافـراج عنـي . يومها لـم اشـك لحظة في انني سأعتقـل .. وما كنت أفـكر غيـه . هـو انني سأفتقـد كثيرا من**امتيازات السجون** .. سأخلع الحذاء وامشي حافيا .. لن يسمح لـي بالزيارة كل مدة كما تقضي لائحة السـجون .. لن استطيع شراء شيء من الكانتين .. الخ .. الخ . والبدلة « الملكي » التي البسـها هذه ستجد طريقها مـرة أخـرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعـرف مـداه .. لـم ألبسها قبل عشر سنوات الا أيامـا قليلة خلعتهـا مـرة أخـرى كـي ألبس « بدلة » المعتقـل !! ما كدت ادخـل بـاب المباحث العامة حتى وجدت زوج اختي « رحمه الله » ومعه احد اخوتـي الكبـار . هجم علـي وهو يكـاد يختنق من البكاء ويقول :

ـ اختك في انتظارك .. راح تموت لو ما طلعتش !

ويقول اخـي :

ـ ذنب اختك في رقبتك ... اعمل اللي يقولوا لك عليه ..

لـم أجب عليهم وطلبت من الضابط أن ينهي الاجـراءات المطلوبـة ... يقـول وعلى وجهـه ابتسامة باردة .. باهتة .. خبيثة ..

ـ مستعجل ليـه .. خليك شوية مع أهلك .. يا أخـي هما مش واحشينك والا ايـه ؟ .

قلت بغضب والألم يمزقني :

ـ من امتى المواقف الانسانية دي ؟

وتعمد هذا الوحش في زي الانسـان ان يتركنـي مع زوج اختي الذي يبكي كالأطفـال واخي الذي يلح على أن اكـون واقعيـا ! واكتب لهم ما يريدون . اكثر من نصف سـاعة لـم اسـتطع أن احبس الدموع التي طفرت من عيني !! ولـم اتكلم كلمة واحـدة .

وفى مكتب أحمد صالح داود كان كل شيء قد اتضح قال :
ـ أنت عارف أيه هيه طريقة الخروج .
قلت بهدوء :
ـ طبعا عارف .
ـ وأيه رأيك ؟
ـ انت عارفه .
وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلا .
ـ ما فيش فايدة .. أنا قلت لكو .
وانصرف أهلى يبكون .. وذهبت انا الى سجن القلعة .. ومكثت به عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى خروجى .
ـ وهل امتنعت عن الخروج ؟
قال :
ـ كلمتين تكتبهم وتخرج ..
قلت بغضب :
ـ انت عارف الاجابة .

يومها تضيت أسوأ ساعات عشتها فى حياتى .. كان سؤال يطن فى رأسى .
هل أنا مسئول عن موت أختى ؟ . المسكينة التى مرضت يوم اعتقلونى قال لها الاطباء ان شفاءها يتوقف على صدمة مماثلة ولكن مفرحة .. لا لست مسئولا .. حياتى نفسها أقدمها ثمنا لما اعتقده .
والمرة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى سجن المحاريق بالواحات الخارجة . بعد يومين قرأت فى الأهرام فى مكتب مأمور السجن اسمى فى نعى اختى رحمها الله . قدم لى الرائد .... مأمور السجن العزاء . وكانت تربطنا بهذا الرجل بعد تجربة مريرة علاقات طيبة وانسانية سأحكيها فى رسائلى المقبلة .
والمرة الثالثة التى قابلت فيها أحمد صالح داود كانت فى مساء ٥ أبريل ١٩٦٤ بعد الافراج عنى من قسم شرطة مصر الجديدة . ما ان رآنى أدخل عليه فى مكتبه حتى هب واقفا .. ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه ، ويده ممدودة بالتحية .. وقال :

ـ ارجو انك ما تكونش زعلان .
ـ ودى مسألة تهم سيادتك ؟
ـ طبعا تهمنى .. خصوصا الآن .
ـ ولماذا الآن بالذات ؟

ـ من أجـل الثورة والتطـور الاشتراكـى ٠

ـ ومؤامرة أمس ضد زملائنـا ٠٠ كانت من أجل ذلك ؟

ويرد الرجل بخبث شـديد :

ـ عيبكو يا شيوعيين انكو بتحطونـا فى كفـة واحـدة ٠ انا ليس لـى علاقـة بما حدث امس والتحقيق اثبت ذلك ٠

فهمت ما يقصـده ٠٠ ولم أعلق ٠٠ وعنـد انصرافـى قـال للضابط الذى يرافقنـى ٠

ـ اللواء **حسن المصيلحى** عاوز يشـوف الأستاذ ٠٠

وجدت الرجل « مهذبـا » أكثر من اللازم الى درجـة انـه اسـتقبلنـى على باب مكتبه ثـم رفض ان يجلس حتى أجلس أنا ! قال :

ـ ارجو ان تفهموا موقفـى على حقيقته ٠٠

ـ موقفك بالذات معروف لنـا تماما ٠

قال بأدب متجاهـلا سخريتى ٠

ـ موقفـى ينبع من ارضية فكرية ٠

ـ ولحساب من هذا الموقف ٠٠ الذى تسميه فكريـا ؟

بلع الرجل كلماتى ٠٠ ومد يـده محييا ٠٠ انصرفت الى منزل أخى لأول مـرة بعد ١٢ عاما ٠ وبعد أيـام نقـل حسن المصيلحى الى ادارة الجـوازات والجنسية ٠

والمرة الثانية التى قابلت فيها حسن المصيلحى كانت فى صيف **عام ١٩٦٨!** فى خـلال استراحة احد المسارح وكان معـى **المرحوم الدكتور محمد الخفيف** وجرى حديث بينه وبين **حسن المصيلحى** وكنت صامتـا ٠ وادرك الخفيف اننى لا اتذكـر حسن المصيلحى ٠٠ فقـال من خلال ضحكته العاليـة المشهورة عنـه ٠٠

ـ أنت مش عارف الأستاذ والا ايـه ؟

قلت وانا اتأمله محاولا تذكـره ٠٠

ـ والله مش واخد بالـى ٠

ـ حسن المصيلحى ٠

وخرجت منى كلمة دون أن اشـعر ٠

ـ يا سـاتر ٠٠

ضحك حسن المصيلحى وقال :

ـ لأ خلاص ٠٠ انا دلوقت رجل اعمال ٠

واكمل **الدكتور محمد الخفيف** بخفـة دمه المعروفـة ٠

ـ شركة استيراد وتصدير يا استاذ ٠٠ فى جنيف ٠٠ امـال ٠٠ عقبال املتـك ٠

ـ أمـل عدويـنـك يا دكتور ٠

ويقـول المصيلحى ٠٠

ـ ليـه بقى ٠٠ والشغلة دى فيها أيـه كمان ؟

قلت بسخريـة :

ـ يعنى ٠٠ ترقيـة ٠٠ الشغل بقـى على مستوى عالـى ٠

قـال :

ـ يعنى انت لسـه عند رأيك ٠٠ طيب دلوقت لحساب مين ؟

قلت ضاحكـا :

ـ لحساب كله ٠٠ عالمى يا استـاذ ٠

قـال :

ـ على أى حـال أنـا ضد الشيوعية ٠٠ من موقع فكرى ٠

قلت والخفيف فى نفس واحـد بسخرية :

ـ واضح ٠٠ واضح جـدا ٠

فى ذلك اليوم حكيت للدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن المصيلحى مساء يوم ٥ ابريـل ١٩٦٤ ٠٠

حبيبتى

هذه هى الرسـالة السادسة اليك ٠٠ ومازلت عنـد احـداث يوم الافـراج رأيت ان ابـدأ بهـا ٠ فربما تعطيـك فـكرة عن بعض مـا تريدين معرفتـه عنـى ٠ اما عن ذكرياتـى خـلال ١٢ عاما من السجن والاعتقـال فموعدهـا رسائلى القبـلة ٠

١٤ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٦

حبيبتي

بعد هذه الليلة المثيرة التي قضيتها في « تخشيبة » **قسم بوليس الوايلي** ، أخذني **البكباشي أحمد حلمي** « رئيس قسم مكافحة الشيوعية » وقتئذ الى النيابة العسكرية ، فقد كانت الأحكام العرفية معلنة منذ **حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢** · كانت الشهور التي تلت حريق القاهرة تشهد أزمة النظام الخائنة وعجزه عن الاستمرار بالأساليب التقليدية بما فيها الأحكام العرفية ذاتها وكانت الثورة تدق الأبواب ، ولكن لم يكن هناك التنظيم الجماهيري القادر على القيام بثورة شعبية تطيح بالنظام الملكي · ومن هنا كان موقفنا هو التحذير من انقلاب فاشي والنضال من أجل عودة حكومة الأغلبية ، **حكومة الوفد** · كانت السلطة الحقيقية هي للبوليس السياسي ، وبالتالي كان البكباشي **أحمد حلمي** هو الحاكم الفعلي ويد الاستعمار الأمريكي الذي بدأ منذ الخمسينات على وجه الخصوص يوطد نفوذه في البلاد · حين بدأ **رئيس النيابة العسكرية** التحقيق معي تجاهل تماما طلبي بعدم **حضور أحمد حلمي** التحقيق ولما كررت طلبي القانوني هب واقفا من على مقعده وقال بغضب كلاما لم أتبينه · وحين طلبت أن يثبت في المحضر حضور أحمد حلمي ·· رفض أيضا بغضب ·· قلت بهدوء :

ـ طيب على الأقل ·· واحتراما **للسلطة القضائية** ·· هل تأمر بفك **القيد الحديدي** من معصمي ! اختلطت حمرة الغضب بحمرة الخجل ليكتسبو وجهه لون غريب جسد كل ما يعانيه الرجل من مذلة ومهانة ··

بعد فترة صمت قصيرة ، **تدخل أحمد حلمي** وأمر بفك القيود من يدي !

كان التحقيق سريعا وقصيرا فلم يكن ضدي أي دليل قانوني يثبت تهمة تأسيس وادارة وتنظيم « الحزب الشيوعي المصري » · حتى تقارير البوليس السياسي لم تكن تعرف اسمي الحقيقي فحتى يوم القبض على في **١٨ يوليو ١٩٥٢** كنت موظفا بالحكومة لذلك كنت قد قررت قبل بدء التحقيق أن استفيد من موقفي القانوني في القضية وهذا ما نصح به المحامون بعد ذلك · ولم يكن في القضية سواي وزميل آخر مارسوا معه كل أنواع الضغوط ليعترف علي فلم يرضخ · انتهى التحقيق في أيام وبقينا

فى سجن مصر فى انتظار قرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الأيام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عنى حيث لا دليل واحد عندها ضدى .

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من **فتحى رضوان وزير « الارشاد القومى »** تفيد بان كل المسجونين السياسيين الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** سوف يفرج عنهم فورا . وخلال زيارات الاهالى لنا قالوا ان **فتحى رضوان** أكد بان الشيوعيين الذين اعتقلوا فى العهد الملكى سوف يفرج عنهم وجاءنا من قيادات التنظيمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** وكان عددهم لا يتعدى الثلاثين أمر لا شك فيه وبعد أيام خرج الاخوان المسلمون والمتهمون فى الاغتيالات السياسية وفى مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطى الحق للذين يرون انهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات أمام **محكمة خاصة** شكلت لهذا الغرض . وتقدمنا بتظلمات نظرت أمام هذه المحكمة وقدم المحامى **أحمد شوقى الخطيب** مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصرى والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصرى فضلا عن دساتير معظم دول العالم المتحضرة تؤكد حقنا فى الافراج عنا . وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما برفض تظلماتنا وقالت فى حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وانما هم اقتصاديين وأنهم يصبحون سياسيين فى حالة واحدة فقط هى حالة استيلائهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلنى فوجدت نفسى أنا وزميلى **مصطفى كمال خليل ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو فى قرار واحد مع ٢١** آخرين قبض عليهم **بعد ٢٣ يوليو** والاتهام الموجه للجميع هو قلب **نظام الحكم** .. اثنان متهمان بقلب **نظام الحكم الملكى** والباقى متهمين بقلب **نظام الحكم الجديد !!**

بعد أيام من رفض تظلماتنا سحبت قضيتنا من امام **محكمة الجنايات** العسكرية واعضائها من مستشارين كى ينظرها **مجلس عسكرى** اعضاؤه **من العسكريين** وبرئاسة القائمقام **أحمد شوقى عبد الرحمن** ونائب **أحكام عسكرى وباجراءات مجلس عسكرى** . وكانت هذه أول قضية شيوعية يشكل لها **مجلس عسكرى خاص** .

وقد نشرت **روز اليوسف** خبرا يقول بان **الدوائر الأمريكية ارتاحت** لتشكيل **مجلس عسكرى خاص** لمحاكمة الشيوعيين . وظللنا أياما قبل بدء المحاكمة نسأل باى قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون **صدقى** الذى أقصى عقوبة فيه هى **١٠ سنوات أشغال شاقة** ؟ أم بقانون محاكم الثورة والذى تصل أحكامه الى الاعدام ؟

وأصبح قانون صدقى الذى **صدر عام ١٩٤٦** غير الدستورى لأنه صدر

فى غيبــة البرلمان حلمـا نتمناه !! ومضت ايـام لم تصلنـا أى اجـابة علــى هذا السؤال حتى المحامين الذين وكلوا للدفاع عنـا لم يعـرفوا اجابة علــى هذا السؤال ! أكثـر من ذلك لم نكن نعـرف ولا المحـامين يعـرفون أين سنحاكم ؟ .. هل فى احدى قاعات **المحاكم الجنائية أم** فى أحد **معسكرات الجيش** ؟ ووصلتنا اشاعات تقـول بان النيــة تتجه الى عمل محاكمات سريعة فى أحد **معسكرات الجيش** واصدار عــدد مـن الأحكام **بالاعـدام وتنفيذها فـورا رميـا بالرصاص !**

وهكذا عشنا أكثر من عشرة أيام نهبا للاشاعات والاخبار المتضاربة ، غير ان الروح المعنـوية للغالبيــة العظمى من الزملاء المقدمين الى هذه **المحاكمــة الاستثنائية** كانت عالية للغاية ، وتغلبت روح ـ **الاستشهاد فـى النهــاية** وكنـا فى نهـار كل يـوم نعقـد الاجتماعات لتقـوية الروح المعنـوية ، وفـى المساء بعـد قفل الزنازين ننشـد الاناشيد الوطنية .

ولم نعـرف موعـد المحاكمـة ومكانها الا فى صباح نفس اليوم الـــذى خرجنا فيــه للمحاكمة ، ولم نعـرف وفق أى قانون سنحاكم الا مـن نــائب **الأحكام البكباشى حسن سرى** قبل ان تبـدا أول جلســة للمحكمة .

وبــدأت محاكمتنا لتستمر اكثـر من شهرين ثـم توقفت لتبدا محكمــة جديدة **برئاســة اللـواء فؤاد الدجوى بعـد أن قبض على رئيس المحكمــة الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن** .

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون ارهابا لنــا ولكل زملائنا فى الخارج، ولكننا حولناها الى مهزلة حين تحدينا ارهابهم وحدثت أثناء محاكمتنا أمام المحكمتين قصص طريفة .. موعدها معك يا حبيبتى فى الرسائل المقبلة .

١٥ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسـالة رقـم ٧

حبيبتـــى

كـان يوم ٨ **يوليو ١٩٥٣ يومـا** غيـر عـادي في سجن مصر • فمن المعتاد أن تفتح زنازين كل عنبـر حوالى الثامنة صباح كل يوم « **لتنظيفها** » ولكـى يقضى المساجين « حاجتهم » فى دورات الميـاه ، ثـم ينزلون الى فناء السجن فى « طـابور » صباحى ، بعدها يتسلمون وجبه الغذاء ، ثـمتغلق **الزنازين** • لكن فى ذلك اليوم لم تفتح الزنازين فى الموعد المعتاد • الزنازين التى كان بها الزملاء المتهمون فى القضية الأولى المقـدمة الى **المجلس العسكرى برئاسة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** هى فقط التى فتحت تحت اشراف مامـور السجن وضباطه ! ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنـا من الطابق الثانى عنبـر ب **فى سجن مصر** وهتافاتنا تهز كل جدران السجن •• عاش نضـال الشعب المصرى •• تحيـا مصر حـرة مستقلة وكان زملاؤنا من التنظيمات الأخرى ينشدون •• بلادى بلادى ويلوحـون لنـا بايديهم مشجعين •

وفى غـرفة المأمور كـان هناك عدد من الأطباء الضباط لاجـراء الكشف على قلوبنـا •• لا أدرى لـماذا ؟

بعـد الكشف على قلوبنـا ووضع **القيود الحديدية** فى معاصمنا خرجنـا من باب السجن العمومى لنجـد أربع سيارات وقـد امتلأت برجال الشرطة •• **الأسلحة الرشاشة فى أيديهم** مصوبة نحونا •• وعربتان مغلقتان تمامـا مثـل الزنزانة ، وفى مؤخرتها شرطيان يمسكان **بالمدافع الرشاشة** • كانت المنطقة المحيطة بالسجن خاليـة تمامـا •• الدكاكين مغلقـة •• لا باعة •• ولاأهالى فقـد منعت الزيارة فى هذا اليـوم • ومن الطريف أن قائـد الحرس كـان لايعـرف شيئا عنـا فسألنى •

ـ أيه الحكاية يا ابنى انتو متهمين بايه ؟

ـ شيوعيـة •

ـ طيب ولية الهيصه دى كلهـا ؟

قلت بسخرية :

ـ يبـدو ان احنا خطرين قـوى ••

واردت أن أعـرف منـه اين سنحاكم وكانت مفاجاة مذهلة حين قال لـى «انـه لايعـرف بعـد !

ـ أمال راح توديننا فين ؟
قال الرجل الطيب :
ـ اديني مستني الأوامر ..
وعرفت من البكباشي رئيس الحرس أنه استدعى مساء أمس من قنا حيث يعمل هناك ـ في مهمة سرية جدا وعليه أن يتواجد في سجن مصر يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ !
بعد حوالي نصف ساعة تحرك الموكب المهيب .. سيارتان في المقدمة ورشاشات تحملها الشرطة مصوبة الى امام العربيتين اللتين نركبهما .. وسيارتان خلفنا والرشاشات مصوبة الى الخلف ..
ناداني مأمور الحرس لأجلس الى جانبه ... بعد دقائق قلت ضاحكا :
ـ أيه العظمة دي كلها !
رد على الرجل وكان التأثر باديا على وجهه .
ـ يا ابني انت في أيه والا أيه بس !
ـ يا سيدي ولا يهمك .. لكن احنا راح نتحاكم فين ؟
ـ في محكمة الاستئناف بباب الخلق
صحت فرحا وأعلنت الخبر للزملاء .
تعجب المأمور وسألني في اندهاش
ـ أيه الحكاية مبسوطين قوي كده ليه ؟
قلت :
كنا فاكرين اننا رايحين أحد معسكرات الجيش ... نتحاكم هناك زي خميس والبقري ...
علق الرجل وقد ازداد اندهاشه .
ـ ليه يا ابني وانتو عملتوا أيه ؟
كان الموكب قد وصل الى ميدان باب الخلق .. هذا الميدان المزدحم الذي لاتجد فيه موطأ لقدم .. كان خاليا تماما .. من السيارات وعربات الكارو .. ومن كل الناس . وقفت عربات الموكب ، وعلى طول السلم والطرقات المؤدية الى قاعة المحكمة .. اصطفت اعداد هائلة من الجنود يحملون أسلحتهم ، ووسط هذا الحشد الهائل من الجنود .. سرنا نرفع ايدينا المقيدتين بالقيود الحديدية نحيي أهالينا الذين وقفوا على مبعدة منا وننشد .. بلادي .. بلادي .. لك حبي وفؤادي ..
وبعد أن ادخلونا قفص الاتهام .. دخل الأهالي والمحامون الى قاعة المحكمة . جاء عدد كبير من المحامين التقدميين والوطنيين . كان من التقدميين أسماء لامعة ولمعت اكثر في الستينات .. وكنت اعرفهم جميعا .. للأسف كان موقفهم مخزيا .. واحد منهم تنحى عن الدفاع عني وآخرون تنحوا أيضا .. ولما سألت عن السبب قالوا :

- اصل ما فيش فايدة .. الأحكام صادرة .

يؤسفني أن اقرر انني اسقطتهم جميعا .. واحتقارا لشأنهم لم اعلق . الذين دافعوا عنا كانوا متطوعين كان من بين **الوفديين .. سليمان غنام ، أحمد الحضرى** ، ومن بين رجال المحاماة البارزين **موريس أرقش وعادل أمين** وغيرهم . حتى المحامين الذين انتدبتهم المحكمة للدفاع عنا كان موقفهم عظيما . اذكر منهم **الدكتور مدحت** الذى جاءنى فى قفص الاتهام يطلب منى فى شبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاستاذ سليمان غنام** .. قال :

- رغم انني لست محامى جنايات لكنى قرأت كل التحقيق .. وانته ١٠٠٪ براءة .

- ١٠٠٪ براءة ؟ سيادتك متفائل قوى .

قال الرجل ورنة صوته تحمل كل الثقة .

- التهمة الموجهة اليك قلب **نظام الحكم الملكى** ..

قلت مازحا :

- طب ودى فيها أيه ؟

- ما أهو **الضباط** قلبوا **نظام الحكم الملكى** فعلا اللى انت متهم بمحاولة قلبه .

- ده كلام منطقى يا دكتور .. لكن ..

- ما أهو يا تطلع انت براءة .. **يا الضباط دول بيجوا هنا السجن معاك** ..

لمحت على باب القاعة الأستاذ **سليمان غنام** قادما نحوى .. سمع الجملة الأخيرة **للدكتور مدحت** فقال مبتسما :

- يا دكتور مدحت .. ما تزعلش .. روق دمك ..

ورأيت الدهشة على وجه **الدكتور مدحت** .. وراح يخبط يده باليد الأخرى ويقول كلاما لم اتبينه ..

قال له الاستاذ **سليمان غنام** مبتسما ..

- بعدين افهمك يا دكتور مدحت :

قال لى **الأستاذ سليمان غنام** « رحمه الله » :

- موقفك فى القضية سليم جدا .. لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك سيكون بـراءة .

قلت ضاحكا :

- هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟

قال ضاحكا :

- انا باقول القانون .. مش المنطق .. ليس هناك دليل واحد عليك .

قلت :

- يا استاذ غنام .. انت موكل للدفاع عن **الديمقراطية والحريات السياسية .. كل ما** تريده هو ان يسمع الرأى العام **دفاعك عن الحرية** .

وضاح الحاجب :
ـ محكمـــة •

ـ دخل **القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** رئيس المحكمة •• وضـابطان برتبـة صاغ •• بعدهما دخل **جسن سرى** نائب الاحكام •• ثـم **على نور الدين** « المدعـــى » ••

قبل أن يجلسوا •• وقف أعضاء المحكمـة ووضعـوا أياديهم اليمين علـى المصحف ورددوا القسـم •• وبـدأت المحاكمـــة •

نادى رئيس المحكمة •• المتهم الأول (•••)

ـ هل لك اعتراض على المحكمة ؟

ـ اعترض على تشكيل المجلس العسـكرى •• وليس لى اعتـراض على اشخاص المحكمـة •

واعلن كل المتهمين اعتراضهم على تشكيل المجلس العسكرى

ونقـدم المحامون •• **سليمان غنـام** •• **أحمد الحضرى** •• **موريس أرقش، عادل أمين** يطلبون تأجيل المحاكمة حتى ينظـر **مجلس الدولـة فى المذكـرة** التى تقدموا بهـا يطعنون فى دستورية **تشكيل المجلس العسـكرى** •

ورفعت الجلسـة للمداولة •

وانعقدت المحكمة بعـد نصف ساعة وأعلن الرئيس

ـ قـررت المحكمة الاستمرار فى نظـر القضية المعروضة عليها حتى يصدر **مجلس الدولة** قـراره بشأن اعتراض الدفاع على تشكيلها ••

واستؤنفت المحاكمة •• جلسات صباحية ومسائية واستمرت شـــهرين كاملين •• وقبل أن تصل اجـراءات المحاكمة الى نهايتها بأيـام •• **قبض على أحمد شوقى عبد الرحمن رئيس المحكمـة وعلى المرحوم الاستاذ سـليمان غنـام !** كيف بـدأت المحاكمة •• وكيف انتهت **بالقبض على رئيس المحكمـة وعلى المحامى الذى** يدافع عنى ؟

سأحكى لك ذلك يا حبيبتـى فى الرسالة المقبلة •

١٦ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٨

حبيبتي

ما يقرب من شهرين استمرت محاكمتنا **أمام المجلس العسكري** برئاسة **القائمقام أحمد شوقي عبد الرحمن** . وكانت الجلسات تعقد صباحا ومساء، وبعد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنا فرصة للقاء الأهل والاصدقاء وتناول الاكل « **البيتي** » الذي حرمنا منه مدة طويلة . كميات وافرة من اللحوم والدجاج التي لم نتذوقها منذ دخلنا السجن .. كنا نأكل في المحكمة ونأخذ معنا أيضا . حدث مرة أن اعترض ضابط السجن (...) وكان معروفا بصلته **بالمباحث العامة** ، على ادخال ما نأخذه معنا من طعام الى السجن . شكونا لنائب **الأحكام حسن سري** فأمر الرجل بأن يدخل كل الطعام الذي نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء جلسات المحكمة يسمح لنا بالجلوس مع اهالينا بعض الوقت في قاعة المحكمة .

قلت له يوما :

ـ تبدو انسانا .. خلاف ما يدل عليه مظهرك .. ودورك في المحاكمة

ابتسم وقال :

ـ وعلام يدل مظهري ؟

قلت ضاحكا :

ـ فاشتي

ضحك وقال :

ـ وهل تأخذ بالمظهر ؟

ـ أرجو أن تتاح لي فرصة معرفة الجوهر .

ورئيس المجلس العسكري تكونت بيننا شبه صداقة . اذا شكونا له من سوء معاملتنا في السجن نادى على ضابط السجن ليناقشه ثم يأمر بمعاملة حسنة وفق **اللائحة** .

ورئيس الحرس .. نشأت أيضا معه علاقة طيبة ، قال يوما :

ـ لقد تعودت عليك وعلى الحديث معك .. سأشعر بنقص في حياتي بعد انتهاء المحاكمة .

قلت ضاحكا :

ـ بسيطة .. دعني أهرب .

قال :

والله يا ابنى لولا الولاد لكنت ساعدتك على الهرب .. لكن أنا عارف انك راح تخرج براءة .

ــ ومنين عرفت .. ؟

ــ لقد سمعت رئيس المحكمة **يهنئك** .. عندما انتقلت المحكمة لمعاينة واقعة القبض عليك .

وحقيقة .. لقد **هنأني رئيس المحكمة** .. كما هنأني **على نور الدين** المدعي العام **وحسن سرى** نائب الأحكام واليك ما حدث :

حين بدأت المحكمة فى سؤال شهود الاثبات .. تضاربت أقوال الشهود ، واحد منهم قال أنه قبض على وأنا أطرق باب زميلى **مصطفى كمال خليل** مساء وكان قد قبض عليه صباحا .. والآخر قال اننى بعد ان صعدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت هاربا وجرى خلفى وهو يصيح :

ــ حرامى .. حرامى ..

ويعلق **الاستاذ سليمان غنام** ساخرا :

ــ ما هو لو كنت قلت شيوعى .. كانت الناس ضربتك .

وقبل أن يطلب الاستاذ **غنام** انتقال المحكمة لمعاينة واقعة القبض على كان **رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل ..**

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو يقع فى حارة درب البرابرة بالموسكى .. منزل قديم لا تدخله الشمس ابدا .. ويقبع فى ظلام دامس الى حد ان المرء لا يستطيع أن يرى أبعد من متر واحد فى حوشه أو على السلم فى وضح النهار .

بعد أن نزل أعضاء المحكمة من منزل زميلى وكنت انتظرهم فى الشارع همس غنام فى اذنى :

ــ المحكمة مقتنعة تماما ببراءتك .

وقال على نور الدين :

ــ مبروك .

قلت :

ــ كان المفروض أن تقوم النيابة بذلك

لم يعلق الرجل

والتفت الى **أحمد شوقى عبد الرحمن** وقال :

ــ من الناحية القانونية .. **مبروك** .

والحقيقة اننا كنا غير قادرين على تفسير موقف **أحمد شوقى عبد الرحمن** . كان يهتم اهتماما ملحوظا بكل **الجوانب القانونية** . ورغم ان المدعى طلب مرات عديدة أن تعقد الجلسات سرية فقد رفض الرجل وكان يصر على **علنية الجلسات** ويطلب نشر ما يدور بها

فى الصحف . وبالطبع لم تكن الصحف تنشر شيئا فيما عدا **جريدة المصرى** التى كانت تتحايل على نشر بعض ما يدور فى جلسات المحاكمة .. ويوميا وطوال مدة المحاكمة كنت أقول للاستاذ غنام أن الصحف لا تنشر شيئا .. وكان يطلب من المحكمة ضرورة أن تنشر الصحف ما يدور فى المحكمة .. وكان **أحمد شوقى عبد الرحمن** يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليها أن تنشر ليكون الرأى العام رقيبا على ما يدور .. وكان يطلب يوميا من نائب الاحكام الاتصال بالصحف وأن يطلب منها النشر .. وكثيرا مالام مندوبى الصحافة الذين يحضرون الجلسات .

وهكذا تحولت المحاكمة ما يقرب من الشهرين الى نزهة .. فيها ما فيها من الطرائف ..

وفى احد الأيام ذهبنا كالمعتاد الى المحاكمة .. وقبل ان ندخل قاعة المحكمة خرج رئيس الحرس ليصدر تعليماته للحرس باعادتنا الى السجن .

سألته ..

ـ ماذا جرى ؟ **هل اجلت المحاكمة ؟**

لم يستطع الرجل أن يغالب الضحك وقال :

ـ أيوة أجلت ..

ـ ليه ؟

ـ **لأن القاضى القى القبض عليه !**

وعدنا الى سجن مصر لنمكث فيه شهرا فى انتظار محاكمة جديدة حتى شكلوا مجلسا عسكريا جديدا برئاسة اللواء فؤاد الدجوى .

ومع الدجوى كانت حكايات طريفه ..

موعدنا معك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ؛

١٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (٩)

حبيبتى

بعد القاء القبض على « **القاضى** » **احمد شوقى عبد الرحمن** مكثنا فى السجن أكثر من شهر ونصف . وبدأت محاكمتنا من جديد أمام مجلس عسكرى برئاسة **اللواء فؤاد الدجوى فى أكتوبر ١٩٥٣ .**

لم تبدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كما يحدث فى المحاكم الجنائية . وانما باجراءات المجلس العسكرى الذى يلغى كل اجراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد . بعد أن أقسمت المحكمة اليمين ونادى رئيسها على :

ـ المتهم الأول .. **عبد الرحيم عثمان** ـ هل لك اعتراض على تشكيل المحكمة ؟

ـ اعترض شكلا وموضوعا .

ـ المتهم الثانى (...)

ـ أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة فى الدعوى المرفوعة أمامه بعدم دستورية تشكيل هذا المجلس .

ـ هذه محكمة وليست مجلسا عسكريا .

ـ بل هو مجلس عسكرى .. واحكامه جاهزة .

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد .. وترتفع هتافاتنا .. الدستور .. الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه . ويتداول « القاضى » مع نائب الاحكام .. ويقول :

ـ قررت المحكمة الاستمرار فى نظر القضية .. المتهم الثالث (...) .

ـ تشكيل هذا المجلس غير دستورى وأعترض عليه .

ويسأل « الدجوى » :

ـ وهل تعترض على أشخاصنا ؟

ـ طبعا .. إعترض ..

ـ لماذا تعترض ؟ . سنحكم بالقانون .

ـ لا تملكون .. الاحكام جاهزة ..

ويصرخ الدجوى . يهدد مرة أخرى ويقول :

ـ كل الضمانات مكفولة بالقانون المتهم الرابع (...)

ـ هذا النوع من المحاكمات لا يقدم ضمانات .. لا للقاضى .. ولا للمحامى ولا للمتهم ..

ويعاود الدجوى صراخه .. وتتوالى تعليقات الزملاء :
- أين القاضى السابق ؟
- **أين أحمد شوقى عبد الرحمن ؟**
- **وأين الدفاع عن المتهمين ؟**
- **أين الاستاذ سليمان غنام ؟**
- **فين هيه الضمانات ؟**
- **الدستور هو الضمان .**

وترفع الجلسة .. وبعد خمس دقائق تعود **للانعقاد** . يهدد مرة أخرى ثم ينادى :
- المتهم الخامس (...)
- نرفض التهديد .
- جاوب على السؤال .
- نرفضكم شكلا وموضوعا .

ويعترض المتهم السادس . ثم المتهم السابع .. وكنت أنا المتهم الثامن.. اقول :
- **أين الاستاذ سليمان غنام ؟**

ويصرخ الدجوى ..
- جاوب على السؤال ..
- سأجاوب .. ولكن فى حضور المحامى الموكل عنى .
- محامى لم يحضر .. المحكمة مالها ؟
- المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟

ويتقدم محامى من مكتب الاستاذ غنام .. يقول :
- **الاستاذ سليمان قبض عليه** .. وهو يطلب السماح بحضوره للدفاع عن المتهم .

ويلتفت « الدجوى » الى المدعى العام :
- على النيابة أن تقوم بعمل اللازم ..

ويقول لى :
- جاوب على السؤال .
- لما يحضر الاستاذ غنام ..
- المحكمة ستنتدب محاميا آخر .
- وأنا أرفض أى محام تنتدبه المحكمة ومصر على الأستاذ غنام .
(صمت)

ثم ينادى على المتهم التاسع .. و و . والثالث والعشرين .. الجميع يعترضون على تشكيل المجلس العسكرى من حيث الشكل والموضوع . وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتنعقد فى صباح الغد .

فى مساء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا فى المحاكمة وقررنا

أن تجعل منهـا مظاهـرة سـياسية تطالب بالديمقراطيـة والحـريات السياسية والدستور . ومع أننـى اتفقت مـع الزملاء على أن اقـوم بعمل دفـاع سياسـى . إلا أن الزملاء فى الخارج رفضـوا ذلك . بحجـة أنـه لا يجب التفريط فى موقفـى القانونـى فى القضيـة ، خاصـة وأن « القاضى » السابق كـان قد أبدى رأيا ببراءتى . واتفقنـا على أن يقـوم الزميـل **سعد باسيلى** بعمل هـذا الدفـاع السياسـى وكنت قـد انتهيت من اعـداده قبل أن يلقيه سعد باسيلى بوقت كاف حيث أرسلناه للزملاء فى الخـارج لطبعه وتوزيعـه أثنـاء القـاءه فى المحكمة . وبالفعـل بينما كـان سعد باسيلى يلقى دفاعـه السياسى كان زملاؤنا فى **الخـارج يوزعونـه** وكانـوا قـد أرسلـوه إلى القاضـى وأعضـاء المحكمة وكل المحامين .

وكان مشهدا طريفـا .. **سعد باسيلى** يلقـى دفاعـه السياسـى من ورق مكتوب بخط اليـد .. وعدد مـن المحامين يستمعون إليـه .. ويقـرأون ما يسمعونه فى **كتيب « مطبوع »** .. الصمت يلف قاعـة المحكمة وأعضائهـا وصوت سعد باسيلى يرتفـع .

وتوالـى المحامون يقدمون دفاعهم عن المتهمين وقـد ركزوا على الجانب السياسى فى القضية ولم يكن الجانب القانونى يحتل فى دفاعهم سـوى القـدر الضئيل جـدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف .. بعدهـا سمعنـا اشاعات قويـة تقول بأن القضيـة سـوف تحـول الى محكمـة الثورة . وقد ازعجتنـا هذه الاشاعات . بقانون صدقى « غيـر الدستورى » أقصى عقوبـة ينص عليهـا هـى عشرة أعـوام اشغال شـاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعـدام . وفى أحـد الأيـام همس نائب الأحكام لنـا :

ــ اطلبوا من المحامين الاختصار فى الدفاع .

ــ لماذا انها فرصـة لرؤيـة الأهل وشم الهواء .

قال الرجل بجديـة :

ــ هنـاك اتجاه قوى لتحويلكم الى محكمة الثورة .

واستمرت المحاكمة عـدة جلسـات ، ثـم رفعت الجلسـة وأعلن رئيس المحكمة انتهـاء المحاكمة فى **النصف الثانـى من نوفمبر عام ١٩٥٣** . وبقينـا فى سجن مصر ننتظـر اعـلان الأحـكام ، فالمجلس العسـكرى لا يعلن احكامه فى قاعة المحكمة وانما بعـد التصديق عليهـا من رئيس الجمهورية !

وفى **١٢ ينـاير ١٩٥٤** أعلنت حـالة الطوارىء فى السجن كله وفى كـل المنطقة المحيطة بـه . . لسبب لم نعرفـه ولم يعرفـه احد الا بعـد ان وقف ٢٣ زميـلا فى طابـور ليتلو **ضـابط كبيـر** فى الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا ساحكـى لك عنه فى **الرسالة المقبلة** يا حبيبتى .

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١٠)

حبيبتـــي

كتبت جريدة **المصرى فى يوم ١٣ يناير ١٩٥٤** وصفا للطريقة التى اعلنت بها الاحكام علينا فى ذلك اليوم ، وكانت هى الصحيفة الوحيدة التى انفردت بذلك ، وبالطبع لم يكن ذلك مجرد سبق صحفى قام به **الأستاذ محمود مراد الذى كان مسجونا** ويعالج فى مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احدى نوافذه ما يجرى فى فناء سجن مصر ، وانما كان تعبيرا عن موقف **حزب الوفد** من الحريات السياسية والديمقراطية .

فى ذلك اليوم ظلت **زنازين السجن** كلها مغلقة حتى حوالى التاسعة صباحا وهى عادة تفتح فى السابعة . السجانة يقفون خارج الزنازين لا يعرفون السبب . والمنادى الذى ينادى يوميا على أسماء المساجين الذين يستحقون الزيارة لم يرتفع صوته كالمعتاد . والأهالى الذين كنا نراهم يوميا حول السجن من شبابيك الزنازين الضيقة لم نجد لأى واحد منهم أثرا . الدكاكين والقهاوى المحيطة بالسجن اغلقت كلها . ترى ما الذى حدث ؟ ربما كان **انقلابا جديدا** وفرض حظر التجول منذ الصباح الباكر . سألنا السجانة والححنا فى السؤال ولكنهم صمتوا جميعا .. كما يصمت أبو الهول .

وفى التاسعة صباحا .. فتح باب العنبر .. ثم سمعنا صوتا ينادى .. بعد ان سمعنا ثلاثة أسماء .. عرفنا انهم ينادون على زملائى فى القضية وكنت المتهم الثامن فيها . وبعد الاسم الثالث والعشرين سمعنا صوتا :

ـ الأسماء دى تجيب حاجتها معاها وتنزل .

اذن هى الأحكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء على الموقف اثناء تلاوة الأحكام .

وقفنا صفا واحد حسب ترتيبنا فى قرار الاتهام ..

قال الضابط الكبير وكان يمسك أوراقا فى يده :

ـ كل واحد يسمع اسمه يتقدم خطوتين الى الامام .

وبدأ ينادى ..

ـ المتهم الاول .. **عبدالرحيم عثمان** .

ـ ١٠ سنوات اشغال شاقة .

ويهتف الزميل .

ـ عاش كفاح الشعب المصرى
ـ المتهم الثانى ·· (··) ·
ـ ١٠ سنوات أشغال شاقة ·
ـ عاشت الحرية ويسقط الارهاب ·

وهكذا ·· كل زميل يهتف بعد سماع الحكم عليه حتى آخر زميل وكان حكمه ٥ سنوات وهو أقل حكم · ولم يصدر حكم واحد بالبراءة · لم يعترض احد من الضباط على الهتافات ·· وطوال هذه العملية ران صمت رهيب فى كل انحاء السجن ولم يكن يسمع به سوى هتاف الزملاء الذين يسمعون الأحكام · ثم ارتفعت أصوات زملائنا فى الزنازين المغلقة وهم يرددون نشيد ·· بلادى ·· بلادى ·

كنت انا **ومعى ١٠ زملاء** حكم عليهم بالأشغال الشاقة ١٠ **سنوات** · وتراوحت أحكام الزملاء الباقين بين ١٠ **سنوات و ٥ سنوات سجن** وكانوا قد اعدوا سيارات السجن التى ستنقل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة الى الليمان · وبدأت اجراءات تحويل ١١ زميلا من مساجين تحت التحقيق يلبسون الملابس العادية الى محكوم عليهم بالأشغال الشاقة يلبسون **بدلة زرقاء ·· ممزقة ·· بالية** · بها اعداد كبيرة من حشرات « **القمل والبق** » ·· ويدق فى كل قدم حلقة بها **سلسلة من الحديد تتصل بالحلقة الأخرى ووزنها ٤ كيلو جرام ·· وتعلق فى الوسط بواسطة حلقة أخرى تعلق فى حزام جلدى · ويقضى الحكم بان يظل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة مقيدا بهذه القيود لا يخلعها ابدا ·· سواء فى نومه ·· أو فى يقظته ·· أو حتى عند الاستحمام** ··

على باب سجن مصر الخارجى كانت تنتظر عربتان ·· انا وخمسة زملاء ركبنا احداهما ·· والخمسة الآخرون ركبوا الآخرى ·
سارت بنا العربة الأولى الى **ليمان أبى زعبل** واتجهت العربة الثانية الى **ليمان طره** ·

وعندما تحركت بنا السيارة ·· لمحت على البعد اخى مسعد « رحمه الله » ومعه زوجتى السابقة يلوحان لى من بعيد ·· كانا قد أتيا الى السجن فقد كان هذا اليوم هو موعد زيارتى ! وخلال الرحلة من **سجن مصر الى ليمان ابو زعبل** ·· كنا ننشد نشيد (بلادى ·· بلادى) · وننشد :

اخى ما الحديد اذا البسونا الحديدا
لقد جهلونا اذا حسبونا عبيدا

فجأة .. قال **وليم اسحق** وهو يبتسم وقد أمسك قيوده بيديه
- الا قولّى يا درش .. لما الواحد عايز يستنجم يخلع هدومه ازاى ؟
وتنبهنا الى مشكلة حقيقية سوف تواجهنا عند الاستحمام .

الحلقتان حول الأقدام ضيقتان جدا بحيث لا يمكن أن يخرج منها القدم .. وحاولنا جميعا خلعها دون جدوى .. كل حلقة محكمة حول القدم .. وتصل الحلقتان **سلسلة حديدية ثقيلة** لا يمكن الافلات منها الا على يد « حداد » .. ومتى ؟ **بعد ١٠ سنوات** !!
قلت ضاحكا ..

- على أى حال يمكن أن نستفيد من خبرة من سبقونا .
قال وليم اسحق ضاحكا :
- بقوا استفيدوا انتو بقى .. شوف .
كان يرفع قدمه اليمنى الى أعلى .. ويمسك بالحلقة التى اخرجها منها بيده ..
قال مجدى ضاحكا :
- يا بختك يا وليم .. عملتها ازاى .. ؟
قال بزهو :

- ده فن يا أستاذ .. أمال بنلعب .
كان وليم **نحيفا** الى درجة مخيفة .. ويبدو أن الحداد الذى وضع له الحلقتين فى قدميه لم يجد حلقة أضيق من تلك التى وضعها فى رجله اليمنى .. فقد كانت اليسرى ضيقة جدا فلم يستطع اخراج رجله منها رغم محاولاته .

قلت لوليم ضاحكا :
- انت يمينى يا وليم ..
- انا مالى ده الحداد اللى يمينى ..

بعد حوالى ساعة .. كنا امام **ليمان ابو زعبل** .. على باب الليمان كان يقف **المأمور ومعه ثلاث ضباط** واكثر من **عشرة سجانة** .. من بعيد سمعنا أصوات قيود مئات المساجين العائدين من « الجبل » كان **موكب العبيد يقترب** منا تدريجيا .. وفى الأفق كان شعاع الشمس الأخير يختفى .. والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين العائدين بعد نهار كامل من الشغل فى تقطيع أحجار **البازلت** فى الجبل . ويحيط

بهم عشرات الجنود وهم يحملون مدافعهم الرشاشة ·· وعدد من الضباط يمتطون خيولهم ·

وعلى باب الليمان جلس المساجين « ديز » لاجراء التمام ·· بعد دقائق ضرب بروجي « التمام » والتمام في لغة السجون هو مراجعة عدد المساجين للتاكد من مطابقة العدد لما في دفاتر السجن ·· وهي عملية تجرى يوميا صباحا ومساء عند خروج المساجين للعمل وعند عودتهم ··

« إذن سنكون من الغد أفرادا في جيش العبيد هذا · وهل يطول بنا العمر عشر سنوات على هذه الحال ·· وهل نحتمل هذا العذاب اليومي » ؟ ·

وافقت من تأملاتي على صوت سجان ينادي علينا ان نتبعه · كان السكون مخيما تماما على الليمان ·· العبيد دخلوا عنابرهم ·· عدد من السجانة والضباط يغادرون الليمان الى بيوتهم ·· وعلى باب مكتب المأمور وقف الضابط النوبتجي و٣ سجانة ·· وأمام المكتب وقفنا صفا واحد ·· ما ان خرج المأمور من مكتبه حتى سمعنا صوتا عاليا يقول :

– اقعد « ديز » يا مسجون أنت وهو

لم ننفذ ·· وظللنا واقفين

عاد الصوت اكثر حدة :

– يا مسجون أنت وهوه اقعد

ظللنا واقفين ·· وهم احد السجانة بعصاته كي يضربنا ·· لكن احد الضباط منعه ·· وقال :

– ليه ما بتنفذوش الأمر

قلت بتجرد :

– لم نعتد على هذا ·

– لكن انتو دلوقت محكوم عليكو بالاشغال الشاقة

– ولو

– يعني ايه ولو ؟ ·

– يعني ضروري نعامل بوصفنا مسجونين سياسيين ·

كان المأمور في مكتبه يسمع الحوار وفجأة خرج وهو يصيح بصوت عال :

– انتو هنا في الليمان ولازم اللايحة تتنفذ ·

– وهل في في اللايحة اهانة المسجونين ؟

– بلاش فلسفة ·· حكاية الشيوعية دى مش هنا ·· انتم هنا مساجين ·

– مساجين بس سياسيين ·

زاد غضبــه :

ـ وايه يعني ٠٠ عايزين امتيازات ؟

ـ لا ٠٠ عاوزين بس **تطبيق اللايحــة** ٠

تدخل ضـابط كـان يراقب الموقف صامتـنـا ٠٠ كـانت فـي نظـراته مودة نحونـا ٠٠ همس في اذن المأمور كلاما لـم نتبينه ٠٠ ثـم جـاء الينا وطلب ان نتبعــه ٠ وفي مكتبه دار معــه حديث ودود ٠٠ قال :

ـ انا طبعـا ماليش دعـوة بالسياسـة ٠٠ وانا عمرى ما شـفت شيوعيين لكن باين عليكو ناس مثقفين ٠٠ لكن طبعـا لازم تنفذوا اللايحـة ٠٠ فاهمين اللايحـة ٠ ٠

ـ احنـا لا نريـد غير تنفيذ اللايحـة٠٠

ـ مضبوط ٠٠ يا الله يا سجـان خدهم على **التاديب** ٠ ٠

قلت محتجـا ٠ ٠

ـ منين لايحـة يا حضرة الضابط ٠ ومنين تودونا التاديب ٠٠

قـال ضاحـكا :

ـ تعجبنـي ٠٠ اهو كـده ٠ ٠

ثم تركنا وذهب الي مكتب المأمور ٠

فى السجون زنازين تسمى « **التاديب** » يسجن فيهـا المسـجون الـذى يرتكب مخالفـة فى السجن ٠ وتأديب المسجون هو أن يسجن « انفـراديا » وينـام على **الأسفلت** ٠٠ ولا ياكـل **الا عيش حـاف** وملح الثلاث وجبـات ، ولا ولا يخرج من زنزانته أبـدا ٠

وطبعـا وضعنـا فى هذه الزنازين مخالفـة واضحة للائحـة السـجون ٠

جاء الضابط (٠٠) قائلا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :

ـ أصـل بقى فيـه مشـكلة ٠٠ انتو شيوعين والمأمور مش عـاوز يخليكو مع المساجين فى العنابـر ٠٠

ـ ليـه بقى وهو احنـا مش مساجين ؟

ضحك الرجل وقـال :

ـ خايف عليهم من المبادىء الهدامة بتاعتكو دى !

ـ معنى كـده اننا نعيش هنـا فى سـجن انفرادى ٠٠ يعنى **اشـغال شـاقة وتاديب** كمـان ٠٠

ـ دى مسـالة مؤقتـة

ووجدنـا الأمـر يصلح للمسـاومة ٠٠

ـ طيب كل ثلاثة يقعدوا فى زنزانة ٠٠

قال الضابط :

ـ انا عرضت المسالة دى على المأمور ٠٠ ووعدنى انه بعـد كـام يـوم يخليكو تقعدوا مع بعض كل ثلاثة ٠٠

ونظـر الينـا الضابط نظـرة ودودة وكنـا قـد ارتحنـا اليــه حيث

لسنا منه رغبة جادة فى مساعدتنا .. فوافقنا بشرط ان يتعهد هو بتنفيذ ما وعد به .

وتعهد الرجل بذلك .

فى الطريق الى التأديب .. قال الضابط (...)

ـ والله « التأديب » ده احسن من العنابر .. نضيف ومستقل .. زى الفيلا تمام ..

ثم ضحك وقال :

ـ وعلى فكرة الفيلا اللى انا ساكن فيها بتطل عليكو :

قلت ضاحكا :

ـ يعنى جيران .. والجار له على الجار سبع حاجات

قال :

ـ يا سيدى خليهم عشرة الا حكاية التزاور ..

ـ على الأقل من جانبك .. تزورنا أنت .

قال الرجل بود :

ـ قوى .. كل ما اكون هنا راح امر عليكو .

فتح السجان ٦ زنازين .. دخلها الضابط الواحدة بعد الأخرى ثم .

ـ كل مسجون له بطانية واحدة .. وبرش يا افندم .

قال السجان :

التفت الينا الضابط ضاحكا :

ـ شايفين وادينى بقيت برش ..

ثم وجه كلامه للسجان :

ـ امشى هات لهم كل واحد بطانية زيادة .

وزنزانة « **التأديب** » يا حبيبتى تختلف عن الزنازين العادية فى السجون والليمانات . جدرانها من **الأسمنت المسلح** . ونافذتها **الوحيدة** فى سقفها العالى جدا ، وبابها من **الحديد** . وليس به سوى ثقب صغير يسمونه فى السجون « **نضارة** » ـ أى التى ينظر السجان منها كلما أراد أن يطمئن على وجود « وديعته » ! بعد أن يحرك قطعة الحديد التى تسده من الخارج وينظر منه بعين واحدة . هذا الثقب الذى لا يزيد قطره عن ٥ سم هو الصلة الوحيدة بين المسجون وسجانه عندما يغلق باب الزنزانة .

واذا حدث مرة أن أراد سجان التحدث مع مسجون وهو داخل الزنزانة كى يسلى نفسه فهو مسجون مثله داخل اسوار مبنى « التأديب » . فعليه أن يحرك قطعة الحديد التى تسد الثقب ويمسكها بيده . ويضع فمه على الثقب ويتكلم بصوت عال (كذا .. كذا) .. ثم يسرع بوضع احدى أذنيه على الثقب ليسمع المسجون (كذا . كذا) ومرة ثانية يضع فمه على الثقب ليرد (كذا .. كذا) ثم يضع أذنه

ويسمع من المسجون (كذا • كذا) ، •• وهكذا حتى « يزهق » السجان أو « يتعب » من طول الوقفة ومن وضع فمه على ثقب الباب تارة ، ثم أحدى اذنيه تارة أخرى •• مرات يزيد عددها كلما طال الحديث •

داخل هذه الزنزانة ، وفى ١٢ يناير ١٩٥٤ ، وفى عز البرد ، أمضيت الليلة الأولى • انتقلت فجاة من مسجون تحت التحقيق ، يرتدى الملابس الملكية ويأكل الأكل « الملكى » من عند « المتعهد » أو من الأهالى الى محكوم عليه بالأشغال الشاقة ، يلبس ملابس السجن البالية •• ويأكل ؟ ••• يفتح باب الزنزانة •• وأجد « قروانة » بها شىء لم أتبينه : لم أكن قد جعت بعد فلم أفكر فى معرفة « هذا الشىء » ! لكن « القروانة » كانت « سخنة » ويخرج منها « بخار » • وجلست الى جانبها •• ربما تبعث بعض الدفء فى يدى المرتعشتين ! لسعات أسفلت أرض الزنزانة تخترق « البرش » الذى أجلس عليه ، فأهب واقفا ، وتحتك السلاسل الحديدية بقدمى العاريتين •• أمسكها بيدى •• أزيحها عن قدمى •• فتمتص الحرارة التى أخذتهما من بخار « القروانة » •• دقائق وتتحول « القروانة » هى الأخرى الى كتلة من الثلج • أفرش بطانية مهترئة ، ممزقة ، على البرش ، وأجلس ولكن « أنى » لبرش منسوج من الليف وعليه هذه البطانية أن يحمى جسمى الذى أحاول تمديده من البرد القارص •• أنفخ فى يدى •• وتبعث أنفاسى فيهما الدفء •• لكن جسمى كله يكاد يتجمد •• كتفاى •• وظهرى •• وصدرى •• وقدماى • من أين يأتيهم الدفء • جسم شبه عار •• قيدوه بسلاسل حديدية •• وتحاصره جدران الزنزانة الاسمنتية « وأرضها الاسفلتية » ، والهواء البارد يصب على رأسى لسعاته الثلجية من نافذة الزنزانة العلوية هكذا •• طول الليل •• محاولات يائسة للبحث عن أقل الدفء •• أقف تارة •• وأجلس تارة أخرى •• وأمدد جسمى المنهك مرة ثالثة •• والبرد لا يرحم •• وأصوات الحراس تطن فى اذنى بين لحظة وأخرى :

— تـا •• مـا •• م

— تـا •• مـا •• م

— تـا •• مـا •• م

أى « تمـام » • يتبادل الحراس الذى يقفون على سور الليمان الخارجى النداء بها طوال الليل • منذ غروب الشمس حتى شروقها فى صباح اليوم التالى ••

لا أذكر كم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهل كان نوما ، أم كان سقوطا فى غيبوبة ؟ كل ما اذكره اننى تنبهت على صوت « زقزقة » العصافير التى خرجت من اعشاشها على الشجر المحيط بمبنى « التأديب » تستقبل مولد يوم جديد • شدتنى أصواتها الجميلة وأدخلت فى نفسى هدوءا سرعان ما بدده صوت البروجى يعلن ••

ـ تمـا ٠٠ مـا ٠٠ م ، تـا ٠٠ مـا ٠٠ م ٠

اى طلع الصباح يا مدير الليمان وكله « تمـام » ولـم يهـرب أى أحـد من المسجونين ! ٠ السجان يضـع مفتاحـه فى بـاب الزنزانـة واهب واقفـا وفى يـدى **جـردل** البول لاذهب بـه الى دورة الميـاه ، ولاقضـى « **حاجة** » « **حبستها** » طول الليـل وسببت لـى آلامـا حـادة ٠ عنـد عودتـى من دوره الميـاه ٠ وجدت على البرش ملابس سـجن اخرى ولكـن « احسن شوية » من هذه التى ارتديتهـا فى سـجن مصر ٠

سالت السـجان :

ـ **البسها ازاى ؟**

ـ أنت باين عليك « **كركـى** »

و « **كركى** » معناهـا فى لغـة السـجون هو عـدم المعرفـة بعالـم السـجون والليمانات !

ـ ايـوه « كركـى » خـالص ٠

ويبدأ الرجل فى تعليمى كيف أخلع ملابسى !! وكيف البسها !!

ورغم أن هذا السـجان وغيره كثيرون شرحـوا لى عمليـة خلـع الملابس ولبسـها فاننى لا أذكـر اننى استطعت يوما أن أقـوم بهذه العمليـة المعقـدة دون مسـاعدة السجان قبل كـل استحمام وبعده ٠

اشرح لك يا حبيبتى هذه العمليـة وأعـرف أنـك لن تفهمى منها شيئا !

لا صعوبـة فى نزع السيـور من على « وسـط الجسـم » ٠ وانما الصعوبة فى خلع الملابس ٠ ولابـد لخلع الملابس من براعة كبيرة وحـذق ٠ ان علـى السـجين بعد نزع فـردة السروال اليسرى أن يمررهـا بين « الجحـلة » ـ اى الحلقـة ـ والسـاق ، وأن يعيد امرارهـا فـى الاتجاه المعاكس تحت « الحجلة » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما ٠ ويكـون علـى السـجين بعدئذ أن يمرر فـردة السروال اليسرى تحت « حجلة » السـاق اليمنى ، وأن يعيد امرارهـا ثانية الى الوراء مع فـردة السروال اليمنى ٠

وهذه العملية المعقدة تتم أيضـا عند لبس الملابس !

وبعد أن القـى علـى السجان هذه المحاضرة ٠٠ أغلق باب الزنزانـة ، وذهب الى كل زميل ٠٠ يفتح عليه ويلقى عليـه المحاضرة نفسها ثم يغلق الزنزانـة ويذهب الى زميـل ثـان ٠٠ وهكـذا ٠٠ القـى السـكين المحاضرة نفسها ست مرات ٠٠ فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لانجتمع نحن « الستة » أبـدا خوفـا علـى « **أمن واستقرار** » الليمان ٠ وظللنـا هـكذا **١٢ يوما** ٠ وفى اليوم الثالث عشر قررنا ان نتخـذ موقفا ٠ **الاضراب عن الطعام** ٠٠ والمطالب هـى ٠٠ نقلنـا الى **ليمان طـره** فنحن « **سـابقة اولى** » ومكاننـا هناك وليس فى ابى زعبل الذى يضم « **السوابق** » !

أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم(١١)

حبيبتـــى

فى اليـوم الثالث عشر لوجودنا فى ليمان أبى زعبل لـم أكن أنـا فقط الذى استيقظت مبكرا على صوت « بروجـى » الصباح الذى اختلط بأصـوات زقزقة العصـافير الواقفـة على أغصـان الأشـجار المحيطـة بغـنـرف الزنازين ٠

ـ صباح الخير يا درش

ـ صباح الخير يا وليـم

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا عبد الرحيـم

وكأننا ارتكبنـا جريمة لا تغتفـر ٠٠ جـاء السـجان مذعـورا يقـرع الزنازين بكـل قوتـه ويصيح ٠٠

ـ اسكت يا مسجون إنت وهو ٠٠

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا وليـم

ويصيح السـجان ٠٠

ـ يا مسـجون اسكت ٠٠ المأمور يسـمعكم

ـ وفيها أيـه لما المأمور يسـمع ؟

ـ يا نهـار اسـود ٠٠ فيها أيـه ٠٠ فيها مصيبة ٠٠ فيهـا خصـم ١٥ يوما

ـ ليـه كـده ؟

ويهمس السـجان

ـ ده نـده على من الصبح وقال لـى خد بالك من الجماعـة الشيوعيين دول ٠٠ واوعـى حـد يتكلم مع زميلـه والا راح اوديك فى داهيـة ٠٠

ـ طيب افتح علشـان نروح دورة الميـاه

ـ المأمور قال لـى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط

ـ طيب روح انـده واحد من الضباط

ـ أهو حضرة الضابط جـه

وسمعنا السـجان يشكونا للضابط (٠٠٠) ٠٠ وتفتـح زنزانتـى واقـول للضابط ٠

ـ صباح الخير يا حضرة الضابط

يمسكنى السجان من كتفى وينهرنـى قائـلا :
ـ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
ويبتسـم الضـابط ويقـول :
ـ صحيح ٠٠ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
وارد على ابتسـامته بابتسامة خفيفة
ـ آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** ! !
ـ أيـوه كـده ٠٠ خـد بالك من اللائحة
كان يلمح لنـا بان لا نتهـاون فى تطبيق اللائحـة ٠٠ ورغم ان الضابط كان يحاول جاهـدا أن يبـدو فى مظهـر « ناشـف » امامنـا الا ان السجان كان فاغرا فـاه من الدهشـة ٠٠ كيف يتحدث مسجون **مع ضابط بمثل هـذه البسـاطة ؟**
قلت للضابط :
ـ ممكن أصبح على زملائـى
ـ طيب ما أنت صبحت
ـ يعنى نقف مع بعض شويـة ٠٠
ـ ما فيش مانـع ٠٠ بس اجيب اذن من المامور .
ثم يقول متصنعا الحـده
ـ يا سـجان افتح الزنازين كلهـا ٠ وهـات المساجين عنـدى هنـا ٠٠
فتحت الزنازين الستة ٠٠ وخرجنـا جميعـا نسـلم على بعضنـا البعض بود ومحبـة وكاننا افترقنـا لسنوات ٠٠
الضابط يتظاهر بالانشغال فى امور أخرى ٠٠ والسجان يرتفع صوته عاليا
ـ مـا حدش يكلم حـد يا مسـجون انت وهوه ٠٠
ويتظاهر الضابط بانه قـد تنبه فجـاة الى **جريمة** حديثنـا مـع بعض فيقول بحـدة تبدو مفتعلة ٠٠
ـ أيـه ده يا مسجنون أنت وهوه ٠٠ تعالوا هنـا ٠٠
ونتجمع حوله ٠٠ لكن المنظر لا يعجب السجان ويصيح
ـ أقعـد يا مسجون أنت وهـوه ٠
ويقول الضابط
ـ سيبهم يا سـجان ٠٠ سيبهم واقفين ٠
ويستطرد فى سـخرية
ـ دول ما يستاهلوش الرحمـة ٠٠
كان يشير الى ما حـدث بالأمس مسـاء عندما رفضنـا ان نجلس « ديز » امام المامور ٠
قال الضابط برنـة أفهمتنـا ان علينـا أن لا نقبـل أوامـر المامور التـى يقولهـا ٠

ـ أوامر حضرة المأمور هى ·· **الحبس الانفرادى** ، منوع حد يتكلم مع زميله **زنزانة ولحدة** بس اللى تتفتح مرة الصبح ومرة بعد الظهر ولمدة **خمس دقائق بس** ··

ـ اذا ضبط أى شىء ممنوع مفيش غير الجلد ·· سامعين ؟

ـ دى أوامر ممكن التفاهم فيها ؟

ـ دى أوامر المأمور ·

ـ طيب بقى نتفاهم مع المأمور

ـ المأمور مش عاوز يقابل حد

ـ طيب يبقى فيه طريقة تانية للتفاهم

ـ أيه الطريقة التانية دى ؟

ـ **أضراب عن الطعام** .

ويبدو على وجه الضابط الارتياح ··

ـ يعنى مصممين على الأضراب ؟

وبابتسامة خفيفة أقول .

ـ مصممين جدا

ـ طيب ·· يا سجان أقفل عليهم ·· أنا رايح للمأمور ·

ويستمر أضرابنا عن الطعام **ثلاثة أيام** ·· وكان هذا هو **الأضراب الأول فى ليمان أبو زعبل** والذى لم يشهد مثله طول تاريخه وخلال تلك الأيام الثلاثة كان الضابط يأتى الينا ،

ـ لسة مصممين على الاضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته أن نظل مضربيين

وفى **رابع يوم** جاء الضابط يبلغنا أن **النيابة وصلت** للتحقيق ·· وفى الطريق لمقابلة وكيل النيابة همس الضابط ·

ـ تمسكوا بتنفيذ اللائحة ·

طلب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد أن ما يجرى معنا مخالف لما جاء بها فسأل المأمور عن السبب ·

وكانت أجابته

ـ **الأوامر اللى عندى** ·· اعمل ايه ؟

قال وكيل النيابة بغضب .

ـ أوامر مين ·· انت عندك اللايحة تنفذها ·

وأمر وكيل النيابة بمنع الحبس الانفرادى ·· وإقر حقنا فى **الطابور الصباحى وطابور بعد الظهر** ·

قلنا لوكيل النيابة .

ـ باقى حاجتين ·· ان نخرج الى العمل **فى الجبل** ·· وان ننقل الى ليمان طرة ··

– دى بقى حاجات مش في اللائحة ويرجع فيها الى المصلحة ، ووعدنا برفع مذكرة الى مصلحة السجون .

كانت رغبتنا في العمل في الجبل هو الخروج للشمس والهواء ولو حتى في موكب « العبيد » فلم نعد نطيق الجلوس في زنزانة مقفلة نخرج منها للفسحة في داخل مساحة ضيقة جدا . وكان مطلبنا للنقل الى ليمان طرة يستند الى أن **السابقة الأولى في حكم الأشغال الشاقة** مكانه ليمان طرة حيث العمل في الجبل هو تكسير **الحجر الجيري** أما ليمان أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير **الحجر البازلت** .

ولم يسمح لنا بالخروج الي الجبل **الا بعد شهر .. وكان يوما مثيرا** – اقص عليك أحداثه يا حبيبتي في الرسالة المقبلة ..

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٢)

حبيبتـــى

شهر كامـل منذ جئنـا الى **ليمان ابو زعبـل** ونحن لا نعـرف شـيئا عمـا يجرى فى خارج الأســوار ٠الصحف ممنوعة تماما ، وليست لنـا اى صلة بالمسـاجين ٠ السجان هو صلتنـا الوحيدة بالعالم الخارجـى ٠ وعبثـا راحت كل محاولاتنـا مع سجان الصباح أو سجان المسـاء الذين لـم يتغيرا أبـدا فكلاهما صامت لا يتكلم خوفـا من المامور الذى نبـه عليهما مشددا بعدم الحديث معنا على الاطلاق ٠ وطـوال شـهر كامـل لـم ندخن خلاله نفسـا من سيجارة ٠ كان عزاؤنـا أن **لوليـم اسحق** قـدرة هائلـة على الحديث ٠٠ فكنا نقضى ليالـى بكاملهـا نستمع اليـه ٠٠ حتـى أن زملاء الزنزانـة الأخـرى أحتجوا على وعلى **مجدى فهمى** لاننـا نستأثـر بوليم فاتفقنـا أن يبيت وليم كـل ليلة فى زنزانـة ٠

وفى ذات يوم مرض سجان الليل وجـاء آخر بـدلا منـه كـان اسـمه **عم على** ٠٠ يبلغ من العمر اكثر من **٦٠ عاما** ٠٠ اطلق عليه وليـم اسـم عـم « كاكـا » ٠

ـ لماذا كاكا يا وليـم ؟

ـ هو كـده مفيش اسم ينفعة الا كاكـا ٠٠

فى المسـاء طلبنـا منه سيجارة ٠٠ لم يتردد الرجل ٠٠ أشـعل سـيجارة وتناولناهـا من ثقب الزنزانـة ٠٠ وعندما وصلت السيجارة الى نصفها بعد أن تبادلناهـا نحن الثلاثة ٠٠ جـاء صوت من الزنزانـة الأخرى ٠

ـ عاوزين **نفس** يا عـالم

وجرى عـم كاكا ليعطيهم سيجارة أخـرى ٠

وجرى حديث طريف ، وبعـد أن اطمأن لنـا الرجل سأله وليـم ٠

ـ ايـة الأخبار يا عم على ؟

ـ الحمد الله ٠٠ كله كويس

ـ ما تعرفش حاجة عن أخبار **الحكومة**

ـ ما لها الحكومة كويسـة ٠٠ **النحاس باشا راجل عال العال**

ـ النحاس باشا ٠٠ النحاس باشا ما له ٠٠ جرى لـه حاجة ؟

ـ حاجة ايـة ده **رئيس الحكومة**

ـ **النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على** ٠٠ ؟

ـ ايـوه طبعا أمـال مين ٠٠ ؟

وابتعد الرجل بعيدا .. وراحت كل محاولتنا عبثا من أجل أن يعود الينا لنفهم شيئا .. ولكن يبدو أن الرجل شعر بأنه تحدث معنا أكثر من اللازم فرفض بعناد أن يعاود الحديث مرة أخرى ..

ورحنا طول الليل نحلل **الموقف السياسى** . معقول جدا أن يعود **الوفد** الى الحكم .

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعاده عن السياسة لا يدرى ان **النحاس باشا** بعيد عن الحكم منذ وقت طويل فهل عاد حقا ؟ ومن المؤكد ان عم على يعرف ان هناك سلطة جديدة وحكومة جديدة منذ أكثر من عام .. لا بد أن شيئا جديدا قد حدث .. **معقول جدا ان يعود الوفد للحكم** . ربما رضخت سلطة ٢٣ يوليو لضغط الشعب **وتولى النحاس رئاسة الحكومة** . ومكثنا طوال الليل نحلل الموقف السياسى بعد أن تولى الوفد الحكم وكانه أصبح حقيقة . وبالطبع خرجنا بنتيجة منطقية هى ان **الوفد** سيعتمد فى حكمه **على اطلاق الحريات السياسية والديمقراطية** وبدا أمل الافراج عنا فى الافق ثم رحنا فى نوم عميق نحلم **بالافراج عنا .. بالحرية** .

وفى الصباح الباكر سمعنا صوتا عاليا يطلب أن نستعد للخروج .

صاح وليم اسحق فى سعادة بالغة :

ـ مش قلت لكم .. أفراج .. **يحيا الوفد**

ويقول **مجدى فهمى**

ـ أصبر يا وليم لما نشوف أية الحكاية .. أنت دايما متفائل

ويرد وليم

ـ أنا صحيح فنان ومش سياسى زيكوا .. ولكن عندى احساس

فتحت الزنزانتان وخرجنا منهما .. ليس من أجل الافراج .. ولكن للعمل فى **الجبل** .

علق وليم ضاحكا ..

ـ أهوه برضه خروج .. نشم الهواء ونقعد فى الشمس

ضحكنا من الاعماق .. لم نفقد الأمل أن يكون **النحاس باشا** قد تولى الحكم بالفعل .. وضرورى من كام يوم وسوف يفرج عنا . ولكن أحدا لم يصرح بما فى نفسه لزميله .

كان خروجنا الى العمل فى الجبل أمرا مثيرا لكل المساجين الذين سمعوا عنا ولم يرونا أبدا . كنا محور حديثهم طوال الشهر الذى انقضى . وكثرت الأحاديث حولنا بين المساجين والسجانة . لاحظنا هذا عندما وضعونا فى **مؤخرة طابور** المساجين . رأينا الجمينع ينظر خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه **الحراسة المشددة** أطلقوا علينا اسم « **الفرقة المخصوصة** » وكان يحرسنا **حارسان** وصول وضابط أى أن اربعة يحرسون ستة ، وهذه حراسة خاصة . البى

جانب الحراسة العامة المكونة من عشرات الجنود والضباط .

سرنا فى نهاية طابور العبيد فى طريقنا الى الجبل .. ومن حسن حظنا أن ضابط العمل كان فى ذلك اليوم صديقنا الضابط (...) . اقترب منا ودون أن يلتفت الينا وهو يركب حصانه قال :

ـ أزى الحال ..

ـ الحمد لله .. **أيه حكاية النحاس باشا ؟**

لم يستطع الرجل أن يمسك نفسه من الضحك .

ـ **نحاس باشا مين .. أنت بتحلم .. ؟**

وتبددت كل أحلامنا .. كل التحليلات السياسية راحت عبثا .. جزاك الله يا عم كاكا .

ووصلنا الى مكان العمل .. الى الجبل .. حفرة هائلة يبلغ **اتساعها اكثر من عشرة كيلو مترات** .. يحيط بها **جبل** كبير من حجر البازلت والعمل هناك منقسم .. هذه مجموعة من المساجين تضع الديناميت فى فتحات الجبل ثم تفجرها . وهذه مجموعة ثانية تفكك الاحجار الكبيرة بعد أن ينفجر الديناميت . وهذه مجموعة ثالثة تحمل أحجار البازلت الضخمة الى مجموعات متفرقة من المساجين ليقوموا بتكسيرها بالشاكوش الى قطع صغيرة . وبعيداً عن كل المساجين أجلسونا فى ركن بعيد .. يحرسنا السجانان والصول والضابط أكثر من نصف ساعة لم نتكلم .. ننظر الى ما حولنا مشدوهين .. كلما حاول مسجون الاقتراب منا ، نهره الحراس بشدة فيبتعد خائفا .. ثم جاء الضابط وقال :

ـ دلوقت بقى .. كل واحد يكسر ٧ **غلقان** من الحجر ده .

ـ حجر أيه الى نكسره ده .. ؟

ـ حجر البازلت ده ...

ـ ما عندناش خبرة بالمسألة دى .

ـ كلها يوم وتعرفوا

قلنا باصرار :

ـ لا يوم ولا يومين ـ احنا مكاننا مش هنا .. عاوزين نروح ليمان طره .

وظهرت ابتسامة على وجه الضابط

ـ لازم تعملوا **الطريحة** لغاية ما تروحوا ليمان طرة .

ـ لا طريحة ولا غيره مضربين عن الطعام

وارتاحت أسارير الرجل .. وقال بلهجته التى اعتدناها والتى تعنى التشجيع ..

ـ يعنى **مصرين على الاضراب** .

ـ أيوه مصرين .

بعد أن اتخذنا قرار الاضراب عن الطعام .. كان امامنا **مشكلة**

إرسال خطاب إلى زملائنا في الخارج . كيف ؟ يمكن عن طريق واحد من المسجونين العاديين .. ولكن كيف نتصل بهم ؟ نحن محاصرون من كل جانب . نجلس بعيدا عن كل المسجونين ولا يستطيع أحدا منهم أن يقترب منا . والسجان يلازمنا لا يتركنا لحظة .. والصول يأتي إلينا بين الحين والحين « يتمم » علينا . قلت لوليم اسحق :

– تصرف يا وليم

. يمسك وليم بيد الزميل عبد الرحيم عثمان ويقرأ له الكف .. وكلما يقول وليم شيئا يرد عليه عبدالرحيم .. مضبوط .. تمام . والسجان فاغر فاه من الدهشة .. فجأة يقول لوليم ..

– ممكن تشوف كفي ؟

– قوي .. قوي ..

ويستمر وليم في مشاغلة السجان وقتا يتمكن خلاله مجدي فهمي من لمح مسجون من حي «بولاق» ويتعرف عليه ..

– أنت مجدي فهمي أخو مصطفى فهمي ؟

– أيوه ..

– أنت شبهه تمام ..

– عاوزين خدمة صغيرة ..

– رقبتي .

ويذهب المسجون (...) ويحمل حجرا كبيرا ويأتي به إلينا ويضعه أمامنا .

ما أن يراه السجان حتى يصيح ..

– ايه اللي جابك هنا يا مسجون ؟

– حضرة الصول قال لي أعلمهم ازاي يكسروا الحجارة .

ويقول وليم للسجان .

– خليك معانا انت .. ما تبوظش الشغل .

ويواصل قراءة كف السجان . بينما يتفق مجدي مع صديقه المسجون (...) على توصيل خطاب كتبه على ورقة صغيرة كانت ملقاة في بطن الجبل « وبعقب » قلم رصاص كان المسجون يخبئه في ملابسه . يعطيه مجدي للمسجون (...) ويسأله :

– امتى يوصل الخطاب ده لأخي مصطفى ؟

– النهارده راح يكون عنده !

في اليوم التالي لم نخرج إلى العمل ولمدة أربعة أيام وصلت خلالها إلى ادارة الليمان ومصلحة السجون برقيات من أهالينا تطالب بتحقيق مطالبنا ونقلنا إلى ليمان طره . وفي اليوم التالي (الخامس) وصلت النيابة للتحقيق . كان مطلبنا محددا هو النقل إلى ليمان طرة فنحن سابقة أولى . وأن نخرج إلى الجبل حتى يتقرر نقلنا إلى ليمان طرة

من قبل مصلحة السجون ، وحين اعترض المامور على خروجنا الى الجبل ساله وكيل النيابة عن السبب ٠٠ فقال بغضب ٠٠

ـ يا بيه دول فى اقل من ٤ ساعات اتصلوا باهاليهم وجت التلغرافات ترف ٠

يقول وكيل النيابة :

ـ شدد الحراسة عليهم ٠

ويزد المامور

ـ اكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المامور باصرار ان نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمثابة نزهة وخلال هذا الشهر استطعنا ان نحصل على بعض الصحف وان نرسل خطابات الى الخارج ٠

بعدها نقلنا الى ليمان طرة ٠ ولكن فى منتصف ذلك الشهر جاءت عائلاتنا لزيارتنا ٠ فالمحكوم عليه بالاشغال الشاقة يستحق الزيارة بعد ٤٥ يوم ٠ ٠ وجاء اخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتى ٠٠ وهى زيارة تستحق ان اكتب عنها رسالتى المقبلة يا حبيبتى ٠

اول ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٣)

حبيبتي

مضى علينا شهر ونصف لم نحلق ذقوننا كان كل منا يتصور بشاعة مظهره حين ينظر الى زميله . الأمواس ممنوعة فى السجن . غير ان ذقون كل المساجين ناعمة تماما .. فالجميع عندهم أمواس ويحلقون ذقونهم ... ولم يكن بوسعنا أن نحصل على أمواس حتى يوم فوجئنا **بزيارة اهالينا** :

نادوا علينا للزيارة وسط حراسة مشددة . **والزيارة** فى السجون تتم من خلال **حاجزين** من الاسلاك يبعدان عن بعضهما حوالى **متر ونصف** .. يقف المسجون خلف الحاجز السلكى داخل السجن ويقف الزائر خلف الحاجز الآخر القريب من باب السجن . وبين الحاجزين يقف السجانة حتى لا يتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا **عن القانون** .. أو يقوموا بتهريب ممنوعات :

كان فى زيارتى أخى مسعد « رحمه الله » وزوجتى السابقة .

كما ان علاقة الدم وحدها ليست كافية لقيام علاقة انسانية حقيقية كذلك فان علاقة الزواج وحدها ليست كافية لبناء علاقة حب حقيقية . واليوم بعد اكثر من ٣٢ عاما وانا احاول أن أستعيد ماذا كانت عليه مشاعرى وأحاسيسى حيال أخوتى عامة ومسعد خاصة ، كذا مشاعرى وأحاسيسى حيال زوجتى السابقة أجد أن علاقتى بأخى مسعد كانت علاقة انتماء بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، بينما كانت علاقتى بأخوتى الآخرين مجرد علاقة دم . أما علاقتى بزوجتى السابقة فلم تكن إكثر من علاقة عطف من جانبى ، وحب مريض من جانبها .

وأعود بذاكرتى الى ظروف تعرفى عليها :

ذات يوم من أيام **صيف ١٩٥٠** دعانى زميل فى العمل الى رحلة نيلية الى القناطر الخيرية ، وقبلت الدعوة كنوع من التغيير فى حياتى اليومية التى لا تتغير . العمل صباحا ثم الاجتماعات التنظيمية حتى ساعة متأخرة من الليل ثم أعود الى حجرتى الجرداء من كل شيئ سوى سرير صغير وبعض الكتب الملقاة على أرض الحجرة .. وحيدا لا أجد من اتبادل معه كلمة .

على سطح السفينة المتجهة الى القناطر الخيرية صدحت الموسيقى الراقصة وراح الجميع يغنون وانا جالس بعيدا تتضارب الأفكار فى

رأسى . هل يتفق هذا مع القيم الثورية ؟ مرة أقول لا ومرة أخرى .. ماذا فى هذا ؟ وهل يرقص الثورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى يروح فى الرقص والغناء هل هو وقت ضائع ؟ الثورى لا يحب ان يضيع وقته ؟ كل الوقت يجب أن يكون للثورة . ولكن أليس من حق الثورى أن يستمتع أحيانا بمثل هذه الحياة ؟

بقيت هكذا فترة .. لا أجد اجابة واضحة على ما يدور فى رأسى .. حتى وجدت نفسى مخاطبا بزميلى فى العمل وصديقته وميمى صديقتها .

ـ لماذا لا ترقص ؟

ـ لا أعرف .

قال زميلى ضاحكا :

ـ الرقص لا يتعارض مع السياسة .

ويستطرد :

ـ يا اخى أن لبدنك عليك حقا ./

وقالت ميمى برقة :

ـ أعلمك الرقص .. هناك فى مؤخرة السفينة

وبشكل تلقائى وجدت نفسى أرقص معها .

وبعد قليل صاحت :

ـ أنت هايل .. تعال بقى نروح « البست » .

ومرة أخرى أجد نفسى بين أحضانها نرقص مع الراقصين .

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية .

كانت هذه أول مرة أذهب فيها الى هناك . وبشكل تلقائى وجدت نفسى أسير معها ونجلس على الحشائش وما كدنا نبدأ حديث التعارف حتى سمعت من يصيح عليها . .

ـ ماما .. ماما .. عاوزين نركب فلوكة ..

كانت طفلة عمرها سبع سنوات وطفل لا يزيد عن ٩ سنوات . قالت وضحكة حزينة تملأ وجهها .

ـ تيتى .. ولوسى .. أولادى .

يبدو أن تعبيرات وجهى .. كشفت ما فى أعماقى وقتئذ .. ما الذى كان فى داخلى . كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولم تنشأ بينى وبين امرأة أى علاقة عاطفية أو حسية . فما الذى كان يدور فى رأسى ؟ » .

قالت والدموع تجرى من عينيها :

ـ ولكنى الآن مطلقة .

قلت :

ـ وهل عندكم طلاق ؟

قالت :

ـ اعلنت أسلامى حتى احصل على الطلاق :
وبدأت تحكى قصتها والدموع لا تجف فى عينيها .
كان أبوها الايطالى الجنسية مهندسا معماريا ويشغل وظيفة كبيرة فى وزارة الأشغال . ولدت فى زومـا وحضرت وهى طفلة مع والدها واخوها الذى يكبرها واختها الأصغر منها . بعد سنوات أصبح أخوها مليونيرا من أعمال المقاولات وتزوجت اختها من افريقى وسافرت معه . ولما توفى أبوها وتزوج أخوها وترك المنزل بعد أن تركته اختها ، وجدت نفسها وحيدة فقد توفيت والدتها منذ زمن . كان عمرها يوم مات أبوها ١٨ عاما .. لا تعرف من العربية الا كلمات قليلة وتعيش فى شقة كبيرة وحيدة الا من مربية عجوز ترعاها . وكانت عائلة لبنانية تسكن فى الشقة المجاورة لها . وفى احدى الحفلات التى كانت تقيمها هذه العائلة تعرفت عليها شاب لبنانى وتزوجته حتى لا تعيش وحيدة .
وفى بيت الزوجية وجدت ما لا يتفق مع قيمها الاخلاقية . حفلات يقيمها الزوج ويدعو اليها شخصيات بارزة فى الدولة وبعض رجال الأعمال لعقد صفقات . وكثيرا ما كان يخرج ويتركها مع بعض ضيوفه !

اشتكت اليه مرارا من تصرفات اصدقائه . فى البداية كان لا يعلق على شكواها . ثم انتهى به الأمر ان كان يطلب منها مقابلة بعض أصدقائه اثناء غيابه عن المنزل كى يستطيع ان يعقد معهم صفقات تجارية .. ورفضت باصرار وضربها اكثر من مرة . وذات يوم هربت من المنزل هائمة على وجهها إلى آن استقر بها المقام مع عائلة فقيرة فى حى القلعة . ومكثت هناك ٧ سنوات تحيك الملابس لأهل الحى كى تعيش . وحين أعلنت رغبتها فى الاسلام وجدت من يساعدها من أهل الحى . وباعلان اسلامها حصلت على الطلاق وعادت الى أولادها الذين كانوا فى منزل جدتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر . فأجرت شقة مستقلة ورفض زوجها السابق ان تأخذ أولادها وعاشت معذبة سنوات أخرى حتى سمح لاولادها ان يعيشوا معها كل يوم احد .. يوم عطلتها حيث كانت تعمل فى احد المحلات التجارية .
قالت لها :
ـ أولادك ينتظرونك كى تركبى معهم المركب .
قالت :
ـ نركب كلنا معا .
وتلقائيا وجدت نفسى مع الأم وولديها والمركب تتهادى بنا فى عرض النيل . ووجدت الأولاد يتعلقون فى رقبتى اقبلهم ويقبلوننى .
وخلال رحلة العودة الى القاهرة والتى بدأت مع مغيب الشمس ، ظللت

ارقص معها طول الوقت .. ضممتها الى صدرى .. وضمتنى وغبنا اكثر من مرة فى اكثر من قبلة .

ومن مرسى الباخرة فى روض الفرج ركبنا الترام حتى باب الحديد ، ومن هناك ركبنا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتها تمسك بيدى فترة .. ثم يحتج الابن ويطلب حقه فى ان يمسك يدى .. حتى اوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة .

وجدت نفسى افكر فى هذا الذى حدث اليوم عندما انفردت بنفسى فى حجرتى على السطوح فى حدائق القبة . لم اصل إلى شىء محدد سوى اننى فى حاجة الى امرأة .. ولكن ليست أى امرأة .. ربما كنت فى حاجة الى امرأة من أجل علاقة حسية .. لكن تجربتى كشاب اكدت لى ان ما اطلبه ليس مجرد علاقة حسية .. انما اطلب شيئا آخر .. اطلب الحب . ولكن ما هو الحب ؟ حقيقة لم اكن اعرف .. ولم اعرفه بعد ذلك الا أخيرا وبعد أكثر من ٢٢ عاما .

فى مساء اليوم التالى كنت انتظرها على باب المحل التجارى الذى تعمل به . فوجئت بى فلم نكن على موعد سابق . عرضت عليها ان نذهب الى سينما صيفى فوافقت . وبعد السينما ركبت معها المترو حتى بيتها . وعندما عدت الى منزلى سالت نفسى مرة اخرى .. ما الذى اريده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجة الى علاقة انسانية .. فى حاجة الى حنان حرمت منه بعد وفاة أمى التى كانت تحبنى حبا يفوق كل حبها لاخوتى . وتذكرت يوم ماتت أمى .. اصرت على ان تضع رأسها على رجلى وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة .. كانت أخر كلماتها .

ـ خد بالك من مسعد يا مصطفى .. خليه يكمل دراسته .. مسعد امانة فى رقبتك انت يا مصطفى .

وعادت بى الذاكرة الى عامين قبل ذلك اليوم . بعد وفاة أمى تحول المنزل الى جحيم . كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت اعمل بالسياسة وكانت تخاف على وعلى مسعد ، ولكنها كانت تحمينا من أبى ومن اخوتى الكبار . بموتها فقدت أنا ومسعد الحماية فى منزلنا بشبرا فتركناه الى غرفة فى العباسية ، واتفقت مع مسعد على اقتسام مرتبى حتى يكمل دراسته ويجد وظيفة .

ربما كنت فى حاجة الى حنان ؟ ولكن ليس فقط حنان الأم .. انما حنان المرأة فانا اريد حقا ولكني أيضا أملك القدرة على العطاء .. والعطاء بسخاء . حقا اننى أعطى للنضال الثورى كل ما أملك من حياتى .. ولكن هل يغنينى هذا عن علاقة خاصة جدا مع امرأة ؟ .. وهل هذه المرأة هى التى يمكن ان تنشأ معها مثل هذه العلاقة ؟

وظل السؤال بلا جواب حاسم .. وجدت نفسى فى ذات الوقت

أقابلها يومياً أما في عملها أو في أى مكان آخر كلما سنحت لي ظروف العمل السياسي . وذات يوم كنت اقوم بتوصيلها الى منزلها قابلت وليم اسحق ومعه صديقته التى تصادف انها تعرفها . وذهبنا جميعا الى مرسم وليم وكان يطيب لي ان اذهب اليه كلما سنحت لي الفرصة في جلسات انسانية رائعة .

بعد أيام عرضت على وليم هذا السؤال الذى لا أجد له جوابا ..

سألني : هل تحبها ؟

سألته : وما هو الحب ؟

قال : علاقة انسانية وعاطفية

قلت : وفكرية أيضا .

- اذا توفر يكون أفضل

- اذن فانا لا أحبها

- ولكنك لا تستطيع الاستغناء عنها

- ربما

- بل من المؤكد

- لنفترض ذلك

- فلتكن علاقة

- حسية ؟

- وانسانية

- احساسي انها لن تكون تلك العلاقة التى انشدها

قال ضاحكا :

- وما هى مواصفات هذه العلاقة التى تنشدها ؟

قلت بأسى :

- المصيبة لا أعرف مقوماتها

واعدت مناقشة هذه المسالة مع عدد من الزملاء المقربين . بعد المناقشة ازدادت حيرتي . مشكلتك هى العلاقة الحسية .. ولتكن قاصرة على هذا فقط . مشكلتك هى الاستقرار فى بيت وحاجتك الى الحنان . يا اخى تزوجها واخلص فسوف يساعدك ذلك على الاستقرار النفسي حين تحل مشكلتك الحسية ... و . و . و . وتضاعفت حيرتي عشرات المرات وكادت تتحول الى أزمة نفسية .

وذات مساء . . ودون أى حديث سابق .. طلبت منها ان نتزوج . وافقت فورا وسألتني امتى ؟ قلت الآن وفورا . وذهبت الى مأذون فى شارع الجيش ومعى صديقان مررت عليهما فى الطريق وجاءا معي كشاهدين على العقد وفى اليوم التالى قمت بايجار غرفة مفروشة حتى اسسنا شقة قامت هى بالنصيب الأعظم فى مصاريفها . ومكثت معها ١١ شهرا بعدها القى القبض علي . وخلال تلك الشهور رغم كل العناية التى

كانت توليها لـي ، ورغم حنانهـــا وحبها وتفانيها الذى وصـل الـى حد تكليفهـا ببعض الأعمـــال التنظيمية ، فاننى لـم أشــعر يوما بان هـــذه هى العلاقــة التــى احتاج اليهـــا ٠

حبيبتـــى ٠٠

لقـد افضت فى حديثى عن زوجتى السـابقة قبل ان القاها فى أول زيارة بعـد صدور الحكم على **بالأشغال الشـاقة ١٠ سنوات** ٠ ربمـا هى محاولة لتفسير مسلكى الجـاف معهـا فى الزيارة ٠

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى بتشنج ٠٠

واحترت ٠٠ هل تبكى حزنا على مظهرى ٠٠ الملابس الممزقـة ٠٠ **والقيـود** فى اقدامى ٠٠ ونقنى الطويلة ! ٠٠ أم تبكى لافتراقنا ؟ قلت لهـــا بـــلا أى مقـــدمات

ـ انا افضل الانفصـــال

رفضت بشـدة رغم الحاحى وقالت انهـا تفضل الموت على الانفصال ٠٠ غير أنـه بعـد ٦ **سنوات** لـم تقـم خلالها بزيارتى الا مـرات قليلة وصلنـى **حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال** ٠

الغريب اننى لم افكـر فى مسالة انفصالى عنها الا فى الدقائق الاولى من الزيارة ٠ والاغـرب اننى لم أشعر بأى أسف بعـد الزيارة ولا بعـد ان انفصلنا ٠ حتى إننى خشيت ان يكـون موقفى هذا لا انسانيا ٠ على ان الاعجب من هذا وذاك هو اننى بعـد خروجى من السجن **بعـد ١٢ عـاما** ورغم مقابلتى الجـافة لهـا حين جـاءت لمقابلتى فقـد تزوجنا مـرة أخـرى بعـد خروجى بشهرين ثـم انفصلت عنهـا بعـد شهر واحد ولم أرها بعـد ذلـك ابـدا حتى اليـوم ٠ وايضـا لم أشعر بأى أسف رغم انهـا قامت بـكل ما يمكن ان تقـوم بـه امرأة من أجل رجل تحبـه حبـا مريضا ٠

لكن حصيلة الزيارة كانت انسانيـة أحكى لك عنها فى الرسـالة المقبلـة ياحبيبتـــى

٣ ابريل ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتـــي :

رغم شـدة القيـود التى كانت مفروضة علينـــا خلال الزيارة ، فقد كانت الحصيلة كبيرة ٠ الأربعة أعـداد الأخيرة من «رايـــة الشـعب »جريـــدة الحزب والعدد الأخير من « الحقيقة » نشرة الحزب الداخلية ٠ ورسـالة مـن زملائنا فى الخارج، عرفنامن الرسالة أننا سوف ننتقل قريبا الى ليمان طره،وان حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنـــا من قبل الاحزاب والقوى التقدميـــة فى أوربـــا قـــد أحـدثت أثرهـــا ٠ وقرأنـــا اعـداد « رايـــة الشـــعب » و « الحقيقـــــة » وكانـــــت لنـــا عليهـا بعض الاعتراضات أرسلناهـــا للمكتب السـياسى للحــــزب ٠ أمـــا عن حالتنـا المعيشـية فقـد ارتفعت نسبيا حيث أصبح فى مقدرتنا أن نشترى سجاير وحـــلاوة طحينية فقـد وضع اهالينـــا فى كانتين السجن ٢ جنيه باسم كل منـا ٠ وهذا شىء عظيم جـدا ، فقـد أصبح فى وسـعنا ان نشـترى علب سردين وسلامون وبعض المأكولات الأخـرى ٠٠ كانت سعادتنا كبيـرة وقضينـا الليـل كله تقريبـا فى القراءة والمناقشة والدردشة،واحتلت أخبار الزيـارة جـزءا كبيرا من الوقت ٠ ٠ كان مجدى فهمى يملك القدر الاكبـر من حصيلـة الزيارة ٠٠ حكى لنـا كيف تقـوم والـدته التى تقـدم بها السن بنشـاط كبير بين اهالى المسجونين السياسيين ٠ تجمعهم أحيانا كى تذهب بهم الى مصلحة السجون لتقـديم مذكرة بشأن سـوء المعاملة مثـلا ٠ وترسل البرقيات للمسئولين اذا اضربنـا عن الطعام لتطلب النيـابة للتحقيق ٠ وحـدث حين وصل اليهـا خطاب مجدى الخاص باضرابنا الأخير ٠ ٠ رفضت ان تسـلمه الى أحـد الزملاء الا بعـد ان تاكـدت من اخى مسعد بأنه يمكن الاطمئنـــان اليه ٠ ومجدى فهمى أصغر أخوته وهو أقربهم الى أمهم ٠٠ لا لأنه آخـر العنقود ٠٠ ولكن لأنه « حتين » وانسـان كمـا تقول أمـه دائما ٠٠ وتكمل ٠٠ خصوصا بعـد ما بقى سياسى ٠٠ وكانت تخشى ان تقـول « شـيوعى » خوفا عليه ، حتى بعـد القبض عليه لم تقلها كى لا تـكون دليـلا ضـده فى المحاكمـة ، ولكن بعـد الحكم عليه لم يعـد هنـاك ما يمنعها من ذلك ، وزوجـــات أخـوة مجدى وأولادهم يحبونـه كثيرا ٠ عند كل زيارة تحـدث خناقـة بينهم ٠ من الذى يذهب للزيـارة ؟

الام تمسكت بحقها في الزيارة باستمرار .. لكنهم اعتبروا ان هذا انانية . واتفقوا على ان يقوم مجدى بحل المشكلة وكان الحل هو ان تأتى أمه في كل زيارة يصحبها من تقع عليه القرعة بين الباقين الذين لم يزورونه بعد . وفي الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « منى » ابنة أخيه والتى كان مجدى في شوق شديد لرؤيتها . . فقد جاءته في « الحلم » قبل الزيارة الأخيرة بايام !

ـ واخبار **الجو** أيه يا وليم ؟

لم يستطع ان يخفي رنة الاسى في صوته .. وقال بسخرية :

ـ جو ايه اللى انت جاى تقول عليه

ويكمل مجدى ضاحكا ..

ـ وهو « الجو » يعرف برضه معنى الحب ايه ؟ ..

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالألم :

ـ حب ايه .. و« جو » ايه .. سيبونا من الحكاية دى .

وليم اسحق فنان عبقرى .. وإنسان يفيض رقة وعذوبة .. قدرته على العطاء « هائلة » كانت له تجربة مع فتاة كنت اخشى عليه منها .. كان يحبها حبا جنونيا .. رسمها في أكثر من **٢٠ لوحة** ، وكانت كلما تدللت عليه كلما ازداد تعلقا بها .. كان يدرك انها لا تحبه ولكنها لاتتركه لحظة واحدة حين يكون في مرسمه ..

ذات يوم وكنت في مرسم وليم .. لاحظ انني وضعت عددا من اللوحات التى رسمها لصديقته (...) ورحت اتأمل فيها قال :

ـ عاوز تعرف أيه ؟

ـ عاوز اعرف ما تقوله فرشاتك .. ولا يقوله لسانك .

ـ وهل عرفت ؟

ـ لم اعرف .. وانما احس .

ـ وماذا تحس ؟

ـ لم اصل بعد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام .

ويضحك بصوت عال محاولا اخفاء المه .

ـ انت يا درش .. ذكى جدا .. وغويط خالص .

كنت في خوف دائم على وليم من اى حديث مباشر عن صديقته .. انه يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط .. ولكنه كان يهرب دائما من هذه الحقيقة مكتفيا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه في المرسم قال لى فجاة ..

ـ هى قالت لك حاجة

فوجئت بالسؤال . ما دفعنى الى محاولة معرفة شعور وليم نحوها من خلال مقارنة لوحاتها المختلفة ، هو انها قالت لى بوضوح انها لاتحبه .

بحيث لاتجد فيه الاخر الذى تريده وهو بالنسبة لها فنان كبير وانسان عظيم يملأ جانبا من حياتها !

قلت ..

– راح تقول أيه يعنى ·· دى معجبة جدا بيك يا وليم

ادركت انى اخطات التعبير · · وحاولت تصحيح الخطا ·· لكنه اسرع يقول والالم يكاد يمزقه ·

– ما انا عارف ·· مجرد اعجاب ··

وساد الصمت دقائق :·· ثم جاءت صديقته (···) ·· ورأيت تعبيرات أخرى على وجه وليم ·· تعبيرات طفل عثر على لعبته التى ضاعت منه ·

كان من المستحيل أن يستمر الحديث مع وليم عن صديقته ·· لكننا فهمنا كل شيء · وتاكد فهمنا بعد ذلك ·· بعد القبض على وليم دخلت الفتاة فى علاقة أخرى مع آخر كنت اعرفه ولا ارتاح اليه سياسيا واضع أمامه علامة استفهام ·

وسادت فترة صمت رحنا بعدها فى نوم عميق حتى استيقظنا على صوت « **البروجى** » وزقزقة العصافير الواقفه على الاشجار المحيطة بمبنى « **التاديب** » ··

عندما فتح السجان الزنزانة قال :

– حضروا ملابسكم ·· حضرة الضابط جاى ·

– ليه خير ·· فيه أيه ؟

– والله ما انا عارف ··

عرفنا أننا مرحلون الى ليمان طره ·

قال الضابط (···) وهو يبتسم ·

– والله راح توحشونا يا جماعة ·· يعنى هية طره احسن من هنا ·

وتبادل الضابط معنا حديثا وديا · شكرناه على حسن معاملته وسعة أفقه · وتمنى الرجل ان نلتقى به فى ظروف افضل ·

وحتى مامور السجن الذى استقبلنا عهد حضورنا بطريقة سيئة اعتذر عن ذلك بحجة الاوامر من **الجهات العليا** · وتاثر الرجل كثيرا حين قلنا له اننا نقدر موقفه تماما · واننا من جانبنا نعتذر أيضا أذا كنا قد سببنا له اى ازعاج فقد كان من الضرورى ان يكون لنا موقف منذ البداية ولكنه ليس موقفا ضده ·

وكانت مفاجاة أن وجدنا بعض الاهالى على **باب الليمان** فى انتظارنا·· وبدات المساومات مع الضابط رئيس الحرس حول مقابلتهم والجلوس معهم قليلا خلال الطريق الى **ليمان طره** · كان الضابط متاثرا الى حد كبير يريد ان يحقق لنا مطلبنا · · لكنه يخشى أن يراه أحد من **ضباط المباحث** · · قال بود ·

ـ طيب سيبوني اتصرف ..

وطلب من الاهالي ان يسبقونا وينتظروا في منتصف الطريق من الليمان حتى محطة السكة الحديد .. وهو طريق طويل خال من المارة تماما . وسارت بنا عربة السجن التي تقلنا وعندما مرت بالاهالي وسبقتهم بحوالي ٢٠٠ متر طلب من السائق أن يتوقف .

قال للسائق :

ـ أنا نسيت اوراق في ظرف على مكتب المأمور .. خد العربة وروح هاتها بسرعة .. والحرس ينتظر هنا مع المساجين .

وحتى عاد السائق وكان قد مضى وقتا لا يقل عن نصف ساعة بحثا عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالي على قارعة الطريق في زيارة خاصة أكلنا خلالها لحما ودجاجا واطعمه أخرى دسمة .

وقبل ان تسير بنا السيارة مرة أخرى قال الضابط بود

ـ ان شاء الله ممكن نعمل لكم زيارة ثانية عند ليمان طره

وخرجت دعوات كثيرة من الأمهات ..

ـ ربنا يحميك لشبابك يا ابني أنت واللي زيك ..

وعند ليمان طره تحقق ما وعد به الضابط .. وهكذا زرنا أهلنا **٣ مرات في أقل من ٢٤ ساعة** حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود والاخبار .

وفي ليمان طره قابلنا زملائنا الخمسة ... جمعونا في زنزانة واحدة مع **الحراسة المشددة** .

احكي لك قصة الليلة الأولى في ليمان طره في الرسالة القبلة يا حبيبتي .

٥ ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتى :

لم ننـم طـول ليلة وصولنا الى ليمـان طـره •• فبعـد أكثـر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشـاقة وفى زنزانة واحـدة • وكـان جمعنا فى زنزانة واحدة امتيـاز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراسـة المشددة والخطرين الذين يجب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنزانـة فى ليمان طـره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجونا • وبينما تطـفأ الأنوار فى الزنـازين فى ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطـرين » لا تطفـأ أنوارها طـول الليل •• أيضـا كاجـراء من اجراءات الحراسة المشددة •• وكـان هذا ايضـا امتيـاز اعطانا فرصـة اعـادة قراءة المطبوعات التى حصلنا عليهـا فى ليمـان أبو زعبل والتى حصل عليهـا زملاءنا فى ليمان طـره قبل حضورنا • كمـا ناقشنا وضعنا الجديد فى الليمـان على ضوء خبـرة زملاءنا الذين سبقونا اليـه منذ شهور • الفـرق بين ليمـان طـره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حى الزمالك وحى بولاق • الأول يضم « **وجهـاء** » « المجـرمين » والثانى يضم **حثالتهم** فضـلا عن ذوى السوابـق الكثيرة • **والفقراء** الموجودون بليمان طـره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين ينوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم الثأر » وغيرها من تلك الجرائم التى يتفق مرتكبوهـا مع المسئولين على أن يحل محلهم « فرافير » وكله بثمنه • هؤلاء « الوجهـاء » بحكم أوضاعهم الطبقية وما يملكون من مـال ، يملكون ايضا « السلطة » •• فهم لا يخرجون للعمل فى الجبل ، واذا خرج بعضهم لسبب أو آخـر ففـى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بـدلا منهم • والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق فى التجول فى كـل انحاء السجن ، ويأتيهم من بيوتهم أو من « جروبى » أفخـر أنـواع المأكولات والمشروبات • حتـى الممنوعـة قانونا • أمـا زياراتهم فهى تتـم دائمـا فى مستشفى السجن حيث يدخل الزوار الى حجراتهم بالمستشفى ويمكثون معهم بالساعات تحت سـمع وبصر ضباط السجن مع ان مـدة الزيارة « الخاصـة » لاتزيد عن نصف ساعة • و « الجرائم » السياسية يعامل أصحابها حسب نـوع « الجريمـة » •• **كريم ثابت** « **المستشار الصحفى للملك فـاروق** » • مثلا كـان يعيش فـى الليمـان « **كباشـا** » اذا سـار يحيط به عـدد من الضباط •• ويضرب لـه الجنود « **تعظيم سـلام** » عندما يمر بهم •• ولا يمنع هذا ما يعرفونه عـن الدور الحقيقى الذى كـان يقـوم به كريم ثابت خارج السجن •

. ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الفقراء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التى يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بلديات »

هدف اتصالنا بالمسجونين اذن هو تنفيذ اللائحة . ووسيلة اتصالنا بهم هى **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار .. يراسلونها .. ويوزعونها فى **العنابر الأربعة بأدوارها الستة عشر دورا** . فكيف تختارهم فى ظروف هذه الحراسة المشددة علينا ؟ .. نحن لا نحتاج فى البداية سوى لأربعة أنصار .. لكل **عنبر** نصير واحد . لكن اختيار الأربعة يحتاج الى حذر شديد ففى الليمان **جواسيس** وعملاء للادارة وآخرون للمباحث العامة . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة .. حيث سيكلفون بالاتصال بنا لمعرفة « الاخبار » و « الاحوال » .. كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سبقونا الى هذا الليمان .. وبالطبع لم يعرفوا شيئا .

كانت المشكلة الأساسية اذن أمام صدور « **الجريدة** » هى الاتصال بالمساجين . فكيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ الزنزانة التى نعيش فيها فى الدور الثانى **فى عنبر** ٤ تفتح علينا فى الصباح بعد خروج كل المساجين الى العمل فى الجبل كى نذهب الى دورة المياة التى **يخلونها** تماما حتى من المساجين الذين يقومون بتنظيفها . ثم نعود الى الزنزانة . وتتكرر هذه العملية بعد الظهر ويغلق علينا باب الزنزانة حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « **ثقب** » الزنزانة معدومة تماما . فالحارس يقف على بابها لا يفارقها ليمنع أى مسجون من الاقتراب منها .

وكان قرارنا فى تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت للجريدة . وتكليف الزميل الذى يذهب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ أن يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون فى المطبخ أو الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .

وبعد حوالى شهر صدر العدد الأول من « **الطريق** » شعارها **حمامة سلام** وقد مزقت **القيود الحديدية** برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » .

كيف استجاب المساجين للعدد الأول من « **الطريق** » ؟

وماذا كان موقف الادارة ؟

أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٨ ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٦)

حبيبتــى :

كان صدور العدد الأول من جريدة « **الطريق** » يعنى بالنسبة لنـا علاقــة وثيقــة بالمساجين ، وعلاقة متوترة بالادارة • كان الليمان كله من رجـال الادارة والمساجين يعرفون اننـا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل• وبقـدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعـا بقـدر ما كـان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وأنها لـم تعرف بصدور الجريدة الا بعد العـــدد **السادس** ، أى بعـد شهرين ونصف فقـد كـان تصدر كل ١٥ **يومـا** • وقبل ان يقع العدد السادس فى ايـدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمـر المسجونين الذين بـداو فجاة يطالبون بحقوقهم ويهددون **بالاضراب عن الطعام** ويرسلون الى النيـابة شكاواهم •• الخ • اذكـر ان مامور السجن جـاءنا يومـا على رأس حملة من السجانة لتفتيش زنزانتنـا بعـد منتصف الليـل وهذا لا يحدث أبـدا الا فى حـالات خاصة فالمفـروض ان الزنزانة بعد التمام لا تفتح الا بامر من **النيابة العامة أو بامـر مدير مصلحة السجون** • فـى تلك الليلة كنت أول من استيقظ على صوت مفتاح الزنزانة •• ثـم صوت عال ••

ـ انتبـــاه ••

و« **انتباه** » تعنــى أن يقف المسجونون اسـتعدادا للتفتيش •

ما كدنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط **للتفتيش**•• لم يجدوا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من الشاى الناشف والأمواس حتى الورق والاقـلام والكتب والمنشورات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليـل يثبت علاقتنـا بالجريدة • وكنـا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مامور السجن (•••) بدهائه استطاع أن يحصل على نسخة من الجريدة من أحـد المسجونين الذى كان يثق بـه • والواقع أن هذا المسجون كـان لـه العذر حين وثق بالمامور الذى استطاع بدهائه أن يكسب ليس فقط ثقـة عدد كبير من المسجونين ولكن أيضـا عدد من زملائنـا الذين خـدعوا فيـه • فقـد كـان الرجل يطمع فى أن يكـون هو مديـرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا • وسعى الرجل الى كسب ثقـة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطـرق حتى شـاع بين الجميع بانه سـوف يرقى الى رتبة لـواء ويتولى منصب المدير • غير انه فوجىء كما فوجىء الجميع بتعيين مدير جديد لليمـان وكـان هذا المدير مكروها من الضباط لان عسكريته « **ناشفة** » **ومكروها**

من المساجين الذين يعرفونه قاسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم ييأس المأمور (...) بعد قدوم المدير الجديد وراح يعمل على احراجه أمام المسئولين فى مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه غير كفء لهذا المنصب .

ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد الذى وصله فقد وصله عن طريق نفس المسجون العدد الخامس . ولما لم يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العددين ، اطمأن اليه المسجون، بل أن بعض زملائى اطمأنوا اليه حتى انهم حين عرفوا بخبر وصول العدد السادس له لم يتوقعوا هذه الحملة التفتيشية وكانت هذه النقطة محل نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وانتهت بتوقع حدوثها فى نفس الليلة لاحراج المدير الجديد الذى لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة أيام ، وبالتالى اراد أن يستغل الفرصة .

قال المأمور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة خبيثة :

ــ لا مؤاخذة .. يا جماعة .. اعمل أيه .. أوامر المدير .

ــ خير ان شاء الله .. أيه الحكاية ؟

ــ المدير الجديد ياسيدى .. ضبط المجلة .. كان حقكوا تاخدوا بالكو

قال أحد الزملاء بسخرية :

ــ مجلة آخر ساعة .

ــ آخر ساعة مين يا راجل .. دى مجلة الحكومة .. مجلة تانية .. شوف ومد الرجل يده لى .. لاحظت ان كلمة « العدد السادس » قد مسحت بعناية وكتب « العدد الاول » .

ــ ده العدد الأول .. لحقتوا تضبطوها ؟

وأدرك الرجل أن أمره قد انفضح امامنا .. وأن تظاهرنا امامه بالثقة فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى . فقال غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفتيش

ــ واقفين كده ليه .. فتش كويس

قال أحد الضباط :

ــ فتشنا يا افندم .. مفيش حاجة ..

قال بغضب أكثر :

ــ فتش فى الحيطان .. فى الأرض .. فى كل حته

ثم قال لأحد الجنود :

ــ روح هات شاكوش ..

قلت بسخرية .. بينما الجنود والضباط فى دهشة من هذا الطلب الغريب

ــ وليه بقى الشاكوش ؟..

ارتفعت نبرات صوته الغاضب

ـ أنت عارف كويس ·· بلاش استهبال
قلت بحـــدة :
ـ حضرة المأمور ·· قم بمهمتك حسب القانون ·· ولا تـزد ··
وكــان السجان قـد جـاء بالشاكوش ·· أخذه المأمور وراح **يدق بــه** على جميع جدران الزنزانة وعلى أرضيتها ·· لكن رجع كل الدقات كــانته صماء · كان يبحث عن مخبـا فى الأرض أو فى الحائط ولكن دون جـدوى· كان المخبا على غيـر العادة فى **سقف الزنزانة** ·. لا أحـد يتصور عمل مخبـا فى سقف عـال ·· فكيف الوصول اليـه ؟ لحفـر المخبأ ، ثـم لاستخدامه بعـد ذلك يوميـا · لكننـا لمدة **شهر ونصف** كان شغلنا الشاغل هو عمـل هذا المخبا · حفرناه بموس حلاقة ، وكــان الزميل الذى يقوم بالحفر يحمله زميل آخـر ويحمل الزميلان زميل ثالث · وكان العمل يبدأ يوميا بعد **منتصف الليل** حتى الفجـر ·
ولما لـم يعثـر المأمور على ضالته ، أراد بعـد افتضاح أمـره أمامنــا أن لا يقطع حبل « الود » · قال ··
ـ يا جماعة أنا متأسف ·· دى أوامر المديـر ·· تصوروا صحانى مـن النــوم وأمـرنى بتفتيشكم بعـد ما جاب موافقة مديـر مصلحة السجون ·
قلت :
ـ واشمعنى احنـا بالــذات
ـ متفهمش ·· دى المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية .ومـد يـده يناولنى الجريدة
ـ حتى خـد شوف ·· اقـرأ .
تظاهرت بتصفحها سريعًا وقلت :
ـ طيب ما تصرفوا لهم ملابس الصيف
ـ هو انا لحقت ـ المدير الجديد جه من هنـا وكل حاجة وقفت من هنــا
ـ وقفت ايــه
ـ مستنى أوامـر ··
ثـم استطرد وابتسـامة لئيمـة تملأ وجهـه ·
ـ والا أيـنـه ؟
قلت بابتسامة لهـا معناها
ـ لك حق ·· وأنت الاحق
وفهم الرجل ما أقصده ·· انـه أحق من المديـر الجـديد بهـذا المنصب أردت أن اطمئنه فهو وان افتضح أمــره بالنسبة لنـا ·· يمكن الاستفادة من تناقضه مع المديـر الجديد المكروه من الجميع ، بشكل اكثـر ولصلحـة كل المسجونين ··
وفى صباح اليوم التــالى بعث المأمور فى طلبى ودارت مناقشة صريحـة وان بدأت بالرمز · قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد ان اخلى مكتبه واضاء اللمبـة الحمـراء

ـ انا متأسف قوى يا أستاذ ·· انت عارف دى أوامر
قلت بسخرية
ـ أمرك يا سيدى !
قال وقد زالت ابتسامته ·
ـ أحسن نتكلم بصراحة ·
ـ أحسن ·· والمصلحة مشتركة ·· على الأقل لفترة
ضحك الرجل وقال ··
ـ وليه لفترة ؟
ـ لغاية ما تتعين أنت مدير
ضحك مرة أخرى وقال
ـ ابدا ·· ابدا ·· هوه يعنى المنصب راح يغيرنى
ـ يعنى ··
ـ يعنى ايه ؟
ضحكت وقلت
ـ الهدف راح يتغير ··
قال بخبث
ـ وبالتالى التاكتيك
ـ أهو كده ··
ـ يعنى نتفق على التاكتيك
ـ تمام ··
ـ وفيك من يكتم السر
ـ فى عاشر بير ··
ـ وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟
ـ سرين ·· واحد مؤكد ·· والثانى استنتاج حتى اعرف منك ·
ـ ايه هوه المؤكد ؟
ـ حكاية المجلة
ـ مضبوط ·· والاستنتاج ؟
ـ مترتب على الأول
ضحك الرجل بصوت عال ··
ـ برافو انا اللى طلبت من المصلحة اذن بتفتيشكم ·
قلت بابتسامة
ـ معلهش ·· طلبت «أوته» المرة دى
ـ يبقى نتفق ··
ـ نتفق ·· على ايه ؟
ـ ما انت فاهم ··
ـ شيلنى واشيلك ؟

ـ تعجبنـي .
ـ والضمان ؟
ـ طلباتـــك ؟
ـ كله بوقتــه .
ـ يبقى اتفقنـا .

السياسة كمـا يقولون فن . والشاطر هو الذى يلعب على التناقضات في صفوف الأعداء . هذا المأمور داهيــة ذكى ، ناعم ، لــه بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته في معركته ضـد المديـر الذى ، اغتصب ، حقه فـي منصب المديـر . والمدير يتميز بالغبـاء الشديد مكـروه من الضباط والساجين والجنود ولا يدرى أن المأمور يعبىء الليمان كلـه ضـده لاحراجه أمام رؤساءه: ولقـد خلقت هذه المباراة ظـروفا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريدة ولتحقيق أكبـر قـدر من مطالب المسجونين ، فضلا عن امكانية إكبـر لتحركنا بين الساجين والاتصال بهم وفى المقابـل لعب هذا المأمور الداهيـة لعبتـــه بذكاء ضد المدير الى حـــد جعله مهزلة امـام كل المسجونين .

أحكى لك واحدة من ألعابه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـي .

١١ ابريل ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم (١٧)

حبيبتي

صدر العدد **السابع من مجلة الطريق** في وقت كان فيه الليمان في قمة الغليان • المأمور الداهية لم يعد يتصدى لحل أى مشكلة للمسجونين كما كان يفعل قبل قدوم المدير الجديد،وكان ضباط السجن معه بشكل أو بآخر •

وبالطبع استطاع المأمور في ظل هذا الجو أن يورط المدير في عدد من الأعمال الاستفزازية ضد جميع المساجين حتى أتى عملا استفزازيا ضدنا وتحديناه باعلان **الاضراب عن الطعام الذى استمر ١٨ يوما** • كنا نخرج الى الجبل يوميا عدا زميلنا **وليم اسحق** حيث تعفيه اللائحة **من الأعمال الشاقة** اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحتملها • وكان خروجنا الى الجبل بناء على طلبنا وان كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المأمور • وفي يوم من الأيام كان وليم يسير في حوش الليمان مع حارس ولما رآه المدير أمر الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفا بذلك اللائحة ، وحين اعترض وليم على ذلك سبه وانهال عليه ضربا ، ثم حمله عدد من السجانة الى الجبل •

ولم تمض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عدد من الجنود وقد أحاطوا بنا من كل جانب تحت سفح الجبل ومعه المأمور وعلى وجهه ابتسامته الصفراء المعهوده • صاح المدير بأعلى صوته :

ـ يا الله يا مذنب أنت وهوه •• كله يشتغل

لم يتحرك احد منا من مكانه •

صاح مرة ثانية وبصوت أعلى ، والمأمور الى جانبه لا يتكلم وتملأ وجهه ابتسامته الملساء •

ـ بعد دقيقة واحدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة •• والا راح استخدم القوة •

تقدمت اليه وقلت بهدوء •

ـ إحسن استعمل القوة

صاح بغضب

ـ أنت بتتحداني •

قلت بهدوء أكثر

ـ لا اتحداك وانما **اللائحة** هي التي تتحداك •

جن جنون الرجل •• وابتسامة المأمور تتسع أكثر :

ـ اللائحــة ·· اللائحة ·· كل المساجين بتقول اللائحة ·· مالها اللائحة

ـ اللائحة تمنعك من اخراج زميلنــا بالقوة والاعتداء عليه :

ـ إنا ما اعرفش حاجة اسمها لائحــة

ـ لكن احنــا نعرفها ونطالب بتطبيقها ! ··

وازداد جنون الرجل فسب اللائحة اللى مجنناه وواضعى اللائحة الذين لا يفهمون ، وقــال :

ـ انا أوامــرى هى اللائحــة

ـ ونحن نتمسك باللائحة ·· ونعلن **اضرابنا عن الطعام** ·

تدك الرجل وازدادت ابتسامة المأمور اتساعا · وهز الضباط رؤوســهم يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنتشرين تحت سقف الحبل يبلغونهم الخبــر ·

وبعــد دقائق مرت فى صمت · انتحى المأمور بالمدير وهمس فى اذنــه ببعض كلمــات قال المأمور بعدها

ـ سعادة المديــر كلفنى انى اتفاهم معاكم ··

ـ نحن نفضل التفاهم مع النيــابة

صاح المديــر بغضب

ـ ودخلها ايــه النيابــة ؟

قلت بهدوء

ـ واجبهــا التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام

قال المأمور بلهجتــه التى نعرفها

ـ يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى ·· وكل شىء بالتفاهم ·

ـ لن نتفاهم الا مع النيــابية

وبخبث شديد وجه المأمور كلامه الى المديــر

ـ يا سيادة المدير ·· اتفضل سعادتك وانا راح إتكلم معاهم ·

لوى المديــر لجام حصانه ليعود الى الليمــان ونظرات الضباط والجنود والمساجين الســاخرة تلاحقــه ··

همس المأمور فى اذنى

ـ واضح انكو مصرين على الاضراب

ـ أيــه رايك أنت ؟ مش فرصة برضــه ؟

ـ وبمدين ويــاك ؟

ـ يعنى علشان نأكــد لك ان احنا فاهمين بعض ·

كان موعــد الغذاء قــد حل وأصوات تنــادى علينا بالذهاب « **بالقروانات** » لاستلام العدس أو الفول الذى كنــا نطلق عليه « **السوس الفول** » بــدلا مــن « **الفــول المسوس** »

التفت المامور الى أحـد الحراس وقال .

ـ روح هات لهم الغداء ... ثم التفت الى وقال

ـ والا أيــه ؟

قلت

ـ آه طبعـا هـات الغدا امـال ايـه ؟

امتقع وجه المامور وتعبيرات وجهه نتسائل ، هل عدلنـا عن الاضراب ، وقال

ـ آه طبعـا مفيش داعى للاضراب

ـ احنـا مضربين

صاح المامور بغضب :

ـ أمال عـاوز الغدا ليـه ؟

ـ علشان يا حضرة المامور تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضنـاه وتثبت ده فى **المحضر** .. والا ايـه ؟

ـ لك حق ...روح يا سجان هات الغدا بتاعهم ووديه الليمان فى مكتبى .. وانتو بقى تتفضلوا تروحوا الليمان وبكـره انشاء الله نعمل المحضر .

ـ بكره زى دلوقت .. والا أيــه يا حضرة المامور ؟

قال بلهجـة تاكيـد

ـ **طبعا . طبعا .. أنا فاهم اللائحـة .**

تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد **٢٤ ساعة** من ساعة الاضراب . لكن ادارة السجن عـادة لا تنفذ هذا النص الا بعـد مرور ٤ أيـام على الأقل . وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسـائل **الارهاب** حتى يعدل المسجون عن **الاضراب** وبالتـالى لا يثبت فـى أوراق السجن ان اضرابا عن الطعام قـد حدث . وبالطبع كنـا متاكدين ان المامور سوف يفتح لنـا المحضر فى الموعـد الذى تنص عليه اللائحة بعـد ٢٤ ساعة . هكذا بـدأنا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط والسجانة ، ومع تاكدنا بأن المامور سوف يبلغ ادارة السجون بخبر الاضراب بأقصى سرعة امعانا فى احراج المدير . ونحن فى الطريق الى الليمـــان اقترب منى مسجون ـ **من هيئة تحرير الطريق** . وهمس :

ـ أيه رايك نصدر عدد خاص من الطريق ؟

ـ موافق وبأقصى سرعة

ـ وسنرسل الخبر الى الاهالى وكل الجهات المسئولة

ـ همتك أنت وزملائك .

ـ رقابينا .. انتو بتضحوا وتجوعوا علشاننا احنا الغلابة .

بعـد **٢٤ ساعة** بالضبط كنت فى مكتب المامور لعمـل **المحضر** . فوجئت بان المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمـام مسئولية الاعتـــداء على وليم وخرق اللائحة . كذلك سب اللائحة والذين وضعوها .

بعد ان قرات المحضر قال المامور :

ـ ايه رايك ٠٠ انا قلت ابتدى اكتب المحضر ٠ ٠ اظن تمام كده ؟

قلت مبتسما ٠٠

ـ عظيم جدا ٠٠ بس شوية اضافات كده

ـ قوى قوى ٠٠ قول :

ـ يعنى مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا **مسجونين سياسيين** ، وصرف استحقاقات المسجونين من **الغذاء والملابس** وغيره

وقام المامور باثبات هذه الطلبات ٠

عدت الى العنبر كى نحمل متاعنا « **البرش والبطانية** » ونذهب الى « **التاديب** » ٠٠ زنازين انفرادية يسجن فيها **المخالف للنظام والمضرب عن الطعام** ٠ كان المسجونون فى العنابر الأخرى والمنتشرين فى الحوش ومكاتب الادارة والورش يلوحون بايديهم **تحية** لنا وتشجيعا ٠ ومن استطاع منهم أن يقترب منا كان يعرض خدماته ٠ وعلى باب التاديب كان هناك من ينتظرنا كى يعطينا العدد الخاص من مجلة « الطريق » ٠ كان هذا العدد هو الثالث الذى تحرره اقلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منا كانت افتتاحية العدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنا وليم ثم موقفنا من المدير تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهدف تحسين معاملة المسجونين جميعا وصرف الملابس والاغذية التى يستحقونها ٠ وطالبت الافتتاحية فى الختام بمساندتنا والوقوف الى جانبنا وذلك بتوصية اهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيابة لسرعة حضورها للتحقيق ٠

أصعب الاوقات التى يواجهها **المضرب عن الطعام** هى الايام الثلاثة الأولى بعدها تكون المعدة قد تعودت على عدم استقبال الطعام ، ثم يبدأ التعب فى هد الجسم ٠ وعادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تاتى فى موعد لا يزيد عن **٤٨ ساعة** منذ بداية الاضراب ٠ ومع أن مأمور السجن ارسل التحقيق الادارى الى المسئولين فى مصلحة السجون التى عليها ان ترسل فى طلب النيابة **فقد** مضى **اليوم العاشر** ولم تأت ٠ والعدول عن الاضراب قبل ان تاتى النيابة للتحقيق يعتبر هزيمة لنا ٠

كان عدم حضور النيابة شكل من اشكال الضغط التى بدات **الحكومة** تمارسها علينا فقد انهالت عليها **البرقيات** من عدد كبير من **الهيئات والمنظمات والأحزاب التقدمية العالمية** فضلا عن **المظاهرات اليومية** التى كان الأهالى يقومون بها عند **رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية ومصلحة السجون** ٠ وأمام هذا الضغط المحلى والعالمى رفضت الحكومة أن تبلغ النيابة حتى لا يثبت فى أوراق رسمية ما يدل على اضرابنا بسبب الاعتداء علينا ٠ اخذت المعركة طابعا

سياسيا . وقررنا الاستمرار فى الاضراب عن الطعام مع مضاعفة الحملة فى الخارج وبين الاهالى .

وفى اليوم الحادى عشر صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته حول استمرار اضرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا لنا تعمل الحكومة على اهداره حتى تبرر موقفها امام الرأى العام العالمى . ونشرت المجلة مقتطفات من البرقيات المطولة التى وصلت الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم تنشرها ، ومقتطفات من البيانات التى ارسلها اهالى المسجونين الى الجهات المسئولة .

وفى اليوم الثالث عشر ساءت صحة زميلين الى درجة خطيرة ومع ذلك لم ينقلا الى المستشفى الا فى اليوم السابع عشر بعد أن أعلن الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب وتناول العلاج الضرورى . فمع انه فى اليوم الثالث عشر بعد أن كشف عليهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت عن تنفيذ توصية الطبيب هربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام وبالتالى امتنع هو الآخر عن الحضور اليهما فى الزنزانة .

وفى مساء اليوم السابع عشر نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما امتنعا عن تناول العلاج حتى تأتى النيابة لاثبات اسباب دخولهما المستشفى . وفى صباح اليوم الثامن عشر علمنا أن الزميلين بين الحياة والموت وأن الطبيب كتب تقريرا بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة السجون بعد أن أثبت فى دفاتر السجن سبب دخول الزميلين المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى . وعلمنا أيضا أن البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت مناضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم .

وفى مساء نفس اليوم الثامن عشر ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت الزنازين فجأة ، أخيرا حضرت النيابة ومعها المدير والمامور وطبيب السجن وقبل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

ـ قبل حضورى الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بأن لا تخرجوا الى الجبل .

قلت :

ـ قبل هذا كله .. ارجو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن عشر منذ بدأ اضرابنا عن الطعام .

قال :

ـ أنا يا ابنى جيت بمجرد ما بلغونا .

ـ وهذا هو بالتحديد ما اريد اثباته وهو ما يمليه عليك واجبك .

وجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

ـ هل اخطرتم المصلحة بالاضراب فى الموعد القانونى ٠٠؟
التفت المدير الى المامور الذى قال :
ـ أنا من ناحيتى حولت المحضر لسيادتك ٠
قال المدير :
ـ وانا أرسلته الى المصلحة ٠
سأله وكيل النيابة :
ـ متى ؟

لم يجب ، وانتحى بوكيل النيابة جانبا وأخذا يتهامسان ٠ ورغم الاعياء الشديد الذى كنت اعانيه ٠ كان ذهنى يقظا لكل ما يدور حولى ٠ انتهز المامور فرصة انشغال وكيل النيابة مع المدير وهمس لى وهو يبتسم بخبث :
ـ سمع كلامهم الشفوى بالتليفون وعطل ارسال المحضر عشرة ايام وطبعا هو اللى راح يتحمل المسئولية ٠
عاد وكيل النيابة ومعه المدير وبدأت مساومة ، قال :
ـ سيادة المدير مستعد لان يجيب كل طلباتكم ٠
ـ متشكرين ٠
ـ يعنى موافق ٠
ـ ازاى ما اوافقش على اجابة كل طلباتنا ٠
ـ يبقى اتفقنا ٠
ـ طبعا بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما ٠٠
ـ أمال يبقى اتفقنا على أيه ؟
ـ على تحقيق مطالبنا ٠٠
قال الرجل فى محاولة لاثارة عطفنا على المدير الذى سيتحمل المسئولية ٠
ـ وأيه لازمة المدير يتحمل المسئولية وكان عنده أوامر ؟
ـ على من يتصدى لموقع المسئولية ان يتحمل نتيجة موافقته ٠

وأمام اصرارنا انصرف المدير تاركا كل شىء فى يد وكيل النيابة والمامور ٠ أرسل المامور لاحضار دفاتر السجن كى يثبت عدم مسئوليته وبالتالى يلقى المسئولية على المدير الذى تأخر فى ارسال محضر بدء الاضراب عن الطعام ٠ وبعد أن اثبت وكيل النيابة ذلك كما اثبت واقعة الاعتداء على زميلنا وليم ، حاول المامور ان يوحى لوكيل النيابة بانهاء المحضر فقلت :
ـ نتكلم بقى عن مطالب المسجونين ؟
قال المامور بغضب :

ـ أنت مالك بقى ومال المسجونين ؟

ـ لأنني مسجون زيهم .

وادرك وكيل النيابة أن في الأمر شيئا لا يعرفه .. انتحى بي جانبا وسأل .. فقلت :

ـ أصل المأمور هو المسئول عن هذا الموضوع .

وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين .

ـ ملابس الصيف لم تصرف .

قال المأمور :

ـ بل صرفت ..

سأل وكيل النيابة ؟

ـ متى ؟

ـ أمس .

سأل وكيل النيابة :

ـ أمس فقط .. الصيف قرب يخلص .

والتفت الى وقال :

ـ وايه كمان .. قول :

ـ كمية العسل قليلة .. ووزن اللحمة أقل من المقرر .. و ..

واثبت الرجل كل شيء . وقفل المحضر بانهاء الاضراب عن الطعام وعلامات الغضب بادية على وجه المأمور الذى قال :

ـ يعنى احنا حرامية يا أستاذ ؟

ثم اشار الى حذائه وقال :

ـ يا أخى ده أنا جزمتى مقطعة .

قلت بسخرية :

ـ إذن ده مش دليل كاف

قال بغضب :

ـ يعنى بتتهمنى ؟

ـ الجهة التى تملك الاتهام .. آهى .

وتدخل وكيل النيابة :

ـ يا حضرة المأمور أفتكر بقى تعمل اجراءات فك الاضراب .

ولأن المعدة لا تحتمل بعد توقفها عن العمل مدة فالمفروض أن تبدأ نشاطها ببعض السوائل . وحين أمر الطبيب باحضار عصير قصب الذى ما كدنا نبدأ فى تناوله حتى فوجئنا بالمدير يأتى ومعه سجان يحمل كميات من البرتقال وعصير البرتقال وأكواب . وراح الرجل بنفسه يوزع علينا كميات البرتقال والعصير . ولما شكرته قال بتأثر :

ـ يا ابنـي انتـو برضـه زى أولادى ٠
تأثرنا جـدا بموقف الرجل وكدنـا نطلب من وكيـل النيابـة أن يعـدل المحضر حتى لا تقـع أى مسـئولية على المديـر ٠ ان الثورى الذى يحسـبه الناس قاسـيا ولا قلب لـه ، فى أعماقـه طفـل يتأثـر بأى عمـل طيب أو لمسـة انسانيـة ، والغريب أننا شعرنـا بعـد انتهـاء الاضراب ولأكثر من أسـبوع بأنه كان يجب أن لا نحمـل المديـر أى مسـئولية وخصوصـا وأن المسـئولية الحقيقيـة تقـع على **الحكومة** وعلى وجـه التحديد **وزيـر داخليتهـا** الذى ينفـذ سياستها ، لقـد ظـل تساؤلنـا هذا قائما حتـى يـوم الاجتماع الكبير الذى دعـى اليـه مدير السـجن ٠ فماذا حـدث فى ذلك اليوم المشـهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرسـالة المقبلـة يا حبيبتـى ٠

٢٥ أبريل ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتـــــى

في رسالتـي السابقة حكيت لك قصــة **اضرابنــا عن الطعــام** واسبابه .. واهدافــه المباشرة داخل السجن . غير أن ابعـــاد هذا الاضراب كانت أكبـــر من ذلك بكثير . كانت لـــه ابعـاده السياسية داخل البـلاد وخارجهـا . فقد أصبحت قضيــة معاملتنــا كسياسين قضيـــة حيـة في أذهـان الناس وعلى عكس مـا كـان يتوقعـه **مدير الليمان** الذى عطـل ارسـال محضر الاضراب الـى المسئولين حيث كـان ينتظـر مسائلتـه قانونيـــا ، فقـد أطلقت يـده بشـكل كبير فـى الليمـان كـى يعيـد اليه « **النظـام** » ، الذى «**اختل**» خـلال الاضراب . لكن المديـر لـم يفهم ماذا تعنيـه « **أوامـر** » اعـادة النظـام . أما المأمور فقد فهمها جدا . فهم انهـا مضايقتنـــا الى أقصى حـد ومحاولة استفزازنـا وعزلنـا عن المسجونين الذين تدعمت علاقتنـا بهم . واقامـــة الدليـل على أننا وراء صـــدور جريدة « **الطريـق** » ، وحتى لا ينفضـح أمـر المأمور أمامنـا وامـام المسجونين عامة راح الرجـل يوعز الى المديـر بتطبيق نظـام صـارم فى الليمـان كله ليســتطيع من خلالـه أن ينفذ مهمته ازائنـــا .

وبدأت الأوامـر تنهـال : ممنوع بيـع السـكر في الكانتين حتى لا يستخدمه المساجين في عمل الشـاى فى الزنازين ، فاشـعال أى **نـار** تحرمه اللائحـة لا يصرح لأى مسجون أن يشترى أكثر من **٣ علب سجاير** فى الاسبوع وبحيث لا يدخن الا خارج الزنزانـة نهارا فالمفروض أن لا يكـون مـع المســجون **كبريت** . وهكذا سلسلة من الأوامـر التى راح يصدرهـا المديـر لاعـادة « النظـام » بايعـاز من المأمور الذى كـان يجرى يوميـا تفتيشـا وهميـا لزنازين بعض المسـجونين ، وتفتيشـــا يوميا لزنزانتنـــا بهــدف اســتفزازنـا .

كانت مجموعـة من زملاء « **حدتو** » قـد حـكم عليهم بالاشـغال الشـاقة ووصلوا الى السـجن خـلال إضرابنـــا عن الطعـام وبعـد صـدور حوالـى سـبعة اعـداد من مجلة الطريـق . وكان المأمور بحـكم صلاتـه يعـرف أن هنــاك خلافـا بيننا وبينهم ، وبـدأت خطتـه لتحقيق هدفـه بمحاولـة تعميق الخلافـات بيننا وبينهم . ومع أن الزملاء كانـوا متنبهين الـى ذلك

غير ان الرجل استطاع أن يخدعهم لفترة طويلة ، فهو حين يقوم بتفتيش زنزانتهم يشكو لهم منا وكيف اننا لا نفهمه على حقيقته رغم أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل الشعر مع **زكي مراد** ، ويسمح للدكتور **شريف حتاتة** بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى أثناء غياب طبيب السجن . لعب الرجل على خلافاتنا السياسية مع الزملاء بذكاء ومهارة الى حد أثر بشكل بارز على علاقتنا معهم . ومع أننا قلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمنى الذى جرى معه حتى افتضح أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا فى صراعه مع المدير الا انهم ارادوا أن يدخلوا التجربة بأنفسهم .

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتمل المسجونين هذا التضييق على حياتهم ، تكثرت لقاءاتهم مع المدير الذى كان يصر على اعادة « النظام » والمأمور الذى كان « يناضل » للتخفيف عنهم ولكن المدير « نظامى جدا » ! . وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحشد المسجونين من أجل الاضراب عن الطعام اذا لم تلغ الادارة أوامرها التعسفية فى موعد أقصاه **عشرة أيام** . ويبدو أن ما نشرته « الطريق » عن التهديد بالاضراب العام قد وصل الى المدير ، وربما يكون الذى أبلغه هذا الخبر هو المأمور الذي أوحى له أن يدعوا الى **اجتماع عام لكل المسجونين** لمناقشهم فى مطالبهم نبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج المساجين الى العمل فى الجبل وفى كل الورش .

حوش الليمان واسع جدا . تتوسطه منصة عالية يسميها المساجين « **البرج** » . كان **المأمور الانجليزى** يحشد المساجين فى هذا الحوش ويجلس على هذا « البرج » العالى **ليتسلى** بمنظر السجانة وهم يضربون المساجين بالعصى والكرابيج .. وبعد أن ينتابه الملل يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! .

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت **الادارة البريطانية عن السجون** . حوالى ٤٠٠٠ مسجون يجلسون القرفصاء فى شكل مجموعات . يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون **المدافع الرشاشة** ، وكان مكاننا فى آخر الصفوف حيث جلسنا القرفصاء . يحيط بنا عدد أكبر من الجنود المسلحين بالرشاشات وثلاث ضباط على رأسهم أحد مأمورى السجن ، (...) الذى كان يقف قريبا منى .. سألته :

ـ ايه الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذى كان بالنسبة لنا كنوز شمعة فى ظلام السجن الحالك :

ـ والله ما انا عارف . علمى علمك .

كان المدير يجلس منتفخا فى « برجه » العالى والى يمينه يجلس المامور الأول « اياه » وبدأ أغرب اجتماع شهدته فى حياتى بكلمة من المدير قال :

ـ انتو عارفين . أنا راجل شديد طول عمرى من يوم ما كنت **ضابط ملازم هنا** . فاكرين ؟ . وسرت همسات بين المساجين .. قطعها الرجل بصوت جهورى .

ـ النظافة أهم حاجة عندى . احنا **مسلمين** ونحب النظافة . تبادلت النظرات مع (...) الضابط المسيحى .. وسرت همهمات بين المساجين المسيحين .. واستطرد الرجل :

ـ وعلشان كده لازم كل واحد يطلع فرشته « **البرش** » « والبطاطين » من الصبح لغاية **التمام** .. حسب اللوائح والقوانين .

وعلت الهمهمات بين المساجين .. وبدت علامات الغضب والضيق على وجوههم وطلب احدهم الكلام .. لكن المامور طلب منه الانتظار حتى ينتهى « **سعادة المدير** » من نصائحه وحديثه .. ويرتفع صوت الرجل :

ـ وممنوع الاتصال بالخارج منعا باتا .. الجوابات .. والأكل اللى بييجى من بره ممنوع .. **العسكرى اللى بياخد ١٠ أو ٢٠ قرش من** المسجون ده حرامى ..

وبان الضيق على وجوه السجانة .. وسرت همهمات بينهم .. واستطرد المدير :

ـ والضابط لازم يفرض النظام .. مسألة **البلديات** دى لازم تنتهى .. الضابط الى يحابى بلدياته لا يقوم بواجبه ..

هكذا استطاع المدير « بعبقريته » الفذة أن يكون جبهة ضده .. **المسلمون والمسيحيون والضباط والسجانة .**

وعلت الهمهمات بين الجميع .. ووضع السجانة **الرشاشات** الى جانبهم بعد أن كانت فى وضع الاستعداد .. واختلت صفوف المسجونين المنتظمة .. خرج بعضهم عن الصف .. ووقف البعض الآخر .. وطالب بعض المسجونين **بالتعقيب** على كلام المدير .. غير أن المامور بعد أن همس فى اذن المدير وهو يشير الينا .. قال :

ـ بعد سعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسمح لكم بالتعقيب ..

ويستطرد المدير :

ـ وهناك **قلة** لا وزن لها .. سنضربها بيد من حديد ..

وشعرنا أنه يشير الينا .

ـ **الست** اللى تبعت برقية تقول فيها ان احنا بنضرب هذه القلة دى تبقى ست (...) .

وغلى الدم في عروقنا .. ووقف **سعد باسيلي** يقول :

ـ نحن لا نسمح بهذا الكلام الذى يحاسب عليه القانون .

ووقف الزميل **زكي مراد** وقال :

ـ نحن نحتفظ بحقنا برفع دعوى ضدك ، قضية **سب علنى لاحدى زوجاتنا أو شقيقاتنا أو بناتنا** !

ووقف عدد من المسجونين يندد بكلام المدير ويطلب التعقيب .. وساد الهرج والمرج .. ووقف كل المسجونين يعلنون احتجاجهم .. ليس دفاعا عنا وعن شرفنا الذين أهين علنا ولكن أيضا عن حقوقهم .. وارتفع صوت المدير في محاولة للحديث ، وبعد أكثر من نصف ساعة .. تركه المسجونون يكمل .. قال وهو يشير الينا :

ـ أنا يا ولادى ما أقصدش حد من قرايبكم .. دى واحدة من ايطاليا بتقول انها سكرتيرة منطقة ميلانو .. باعته تحتج ..

ووقف زميل ثالث :

ـ وهذه أيضا لا نسمح لك باهانتها ..

ووقف مسجون يطلب الكلمة .. قال :

ـ يا حضرة المدير احنا عارفينك من زمان .. انت طول عمرك شديد .. واحنا طول عمرنا ضدك .. ومش راح نسمح أبدا بأيام زمان تتكرر تانى .

ووقف ثان .. وثالث .. ثم وقف الجميع يهتفون ضد المدير وظلمه وتعسفه .. لم يقترب منهم جندى واحد .. أو ضابط .. عجز المدير عن عمل أى شيء .. وامتلك المأمور الموقف كله .. قال وابتسامة صفراء تكسو وجهه :

ـ يا للا يا سجانة كل واحد ياخد المسجونين بتوعه على العنبر .. لكن المسجونين لم يتحركوا من أماكنهم .. وقال المأمور :

ـ سيادة المدير راح يطلب عدد منكم علشان يتكلم معاهم عن مطالبكم

قال مسجون :

ـ لا عاوزينه يتكلم هنا .. معانا كلنا ..

وقال آخر :

ـ لازم يسحب كل الكلام اللى قاله

وقال ثالث

ـ مطالبنا لازم تتحقق ..

وقال رابع :

ـ الفرش مش راح يطلع بره **الزنزانة** ابدا .. والكانتين لازم يرجع زى ما كان ..

وهتف خامس :

ـ يسقط الظلم ••

وارتفعت أصوات المساجين تردد وراءه ••

ـ يسقط الظلم •• يسقط الظلم ••

ويتقدم الضباط الذين يتعاطفون مع المساجين يطلبون منهم الهدوء •• ويستجيب المساجين •• ويقول المدير بصوت ضعيف :

ـ يا أولادى انتم فهمتونى غلط • راح انظر فى مطالبكم •

لم يكترث به المساجين ، قاطعوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لم يحاول السجانة أو الضباط اعادة الضبط والربط ، وبصوت منهوك طلب المدير من المامور أن يصرف المساجين • وعاد المسجونون الى عنابرهم فى شبه مظاهرة لم يشهدها الليمان من قبل يهتفون يسقط الظلم •• يسقط الظلم • نريد حقوقنا • نريد حقوقنا • هل سيعدل المدير عن أوامره التعسفية ؟ ، وما العمل اذا لم يعدل عنها ؟ المدير فى موقف ضعيف ، والمساجين فى الموقف الأقوى ، ويجب الاستفادة من هذه الظروف • كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحة • واتفق على أن يصدر عدد خاص من « الطريق » ، بعد يومين يتضح خلالهما الموقف •

وبعد ثلاثة أيام صدرت الطريق **تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين** • ولأول مرة فى تاريخ ليمان طرة يضرب كل المسجونين عن الطعام حتى تجاب مطالبهم • وبالفعل تحققت كل مطالب المسجونين •

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى •

٣ مايو ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم(١٩)

حبيبتـــى

في رسالتـــى السابقة حكيت لك ما انتهـــى اليـــه اجتماع مدير الليمان بالمسجونين • كان من الطبيعـــى أن يســـود المسجونين جـــو من الثقـــة بعـودة الحياة فى الليمان الـى ما كانت عليـه قبـل الاجـــراءات التـــى فرضهـا المديـر • لكننا كنـا نرى غير ذلك • ان تراجـع المدير عـــن الاجراءات التى اتخذهـــا ـ على الرغم من أنهـا كانت محـل مؤاخـــذة من رؤسـائه ـ سـوف يخلق ظروفـــا مواتية للمتسجونين لتطبيق كـل بنـود اللائحة ، وهو أمـر لا يريد بعض **كبار الضباط** حيث يسد بابا « **للرزق** » هم حريصـــون على أن يظـل مفتوحـا • هذا الدافـع الذاتـى سيدفـع بهم الـى اتخـاذ اجراءات شـاذة « **لتطهير** » افـكار المسجونين من الأفـكار « **الهدامة** » :

وكنا نتوقـع أمرين : الأول : عمليـة تنكيـل بالمسجونين الذين تحـــدوا المدير اثناء الاجتماع العام ، والثانى : تشـديد الحراسة علينـا لمحاصرتنا وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزازنـا أو فـرض **معركـــة للتنكيـل بنـا** • ومر يومـان ولـم يبـد فى الأفـق ما يشير الى عـدول المدير عن الاجـــراءات الشـاذة التى وعد بالغائهـــا • وعبثـــا راحت كـل محاولات المسجونين لمعرفـة مـا يـدور فى رؤوس المدير وكبـار الضباط فـى مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والمأمور •

المأمور الذى كان دائـم الصـلة بالمسجونين وعلى وجهـه ابتسـامتـه التقليديـة ، وعلى شـفتيـه الوعـــود بتحقيق مطالب المسجونين اختفـــى تماما • والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصـا فى اظهار تعاطفهم ويبذلون جهـــدا لاخفـاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرا **للاجتماعات الكثيرة** التى تتم بين كبـار المسئولين فـى مصلحة السـجون وبين المديـر ، فهم على الأرجح كانــوا لا يعرفــون • حتـى السجانـة كانـوا يتوقعـون شيئا **رهيبـا** ضدنـا بشـكل خاص ، وضـد المسجونين بصفة **عامـــة** • وكنا نرى فى عيونهم نظرات العطف ، وابـدى بعضهم استعدادهم لمساعدتنـا :

فى مساء **اليوم الثالث** عقدنـا اجتماعا لمناقشة كل احتمالات المعركـــة التى سوف تفرضها علينـا **الدولة** • أرسلنا الى التنظيم تقريرا وافيـــا عن الوضع واقتراحات بعمل حمـلة واسـعة من البيانات الى المنظمـــات الجماهيرية والنقابية والمهنيـة ، والى الهيئات الأهليـة الديمقراطيـــة •

والى الصحف ، والمسئولين ورئاسة الجمهوريــة ، كما أرسـلنا خطابات الى اهالينـا لتكوين وفـود تذهب الى المسـئولين . وأخـرى لتتواجــد بشـكل **دائـم خــارج السجن** لترقب الموقف والتحرك بسرعـة اذا حـدث شـيء ضدنا . وكان قرارنـا هو الصمود مهما كلفنـا ذلك من تضحيـات ، حتـى **الحياة ذاتهـا** ، بعـد هذا القرار ، كان أمامنـا فى تلك الليلة مشـكلتـان : الأولـى **توصيـل** مـا كتبنـاه الى التنظيم والى الأهالـى باقصى سرعـة ممكنـة . والثانية هى الاتصـال بهيئة تحرير « الطريق » لاصدار العـدد المتفق عليه بعد الاجتماع « اياه » ليدعو المسجونين الى **الاضراب العـام عن الطعام** . كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فـى زنزانـة مغلقـة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجـى ؟ الوقـت يمضى بسرعـة **والمؤامـرة** بـدت خيوطهـا خـلال اليومين الماضين فى عيون المديـر ونظراته الكريهة ، واختفاء المامور المفاجئ وغيز المبرر ، ونظـرات العطف والاشـفاق فى عيـون الضباط الذين لا يعرفـون ما يجرى فى مكتب المدير ، وتعليقـات بعض السجانـة التى تحمل **الخـوف** من المصير الــذى ينتظرنـا ، كانـوا يعرفـون أن المثـل الشعبى « وقوع البـلاء ولا انتظاره » يعبر أصـدق تعبير عن المعانـاة التى يعانيهــا من ينتظـر « البـــلاء » فيتعجل وقوعـه ليتخلص من معاناتــه وآلامـه الأكثر قسـوة من آلام البـلاء ذاته . ومع أننا كنـا نعانـى من انتظـــار « البلاء » الا أننا لـم نتعجـلـه ابـدا وفضلنـا المعانـاة الأشـد ألـمـا والاكثر قسـوة ، ساعدنـا علـى ذلك حـالة التحدى التى هيأنـا أنفسـنا لها مسـاء اليـوم الذى جرى فيــه اجتماع المدير بكـل المسجونين ، حيث لـم تخدعنـــا الظروف التى نتجـت عن ذلك الاجتماع . كذلك لـم تكن المســألة بالنسبة لنـا مسألة ذاتيـــة ، وانما كانت فى الأساس موقفا موضوعيـا .

كان صوت **سجان صـديق** .. تبينـا صوتـه ولكننا لـم نعرف من هو . قـام **مجدى فهمى** من علـى « برشـه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقـب باب الزنزانـة . قـال مجدى فهمى بعـد أن تبين ملامح وجـه الســجان بصعوبـة .

ــ اهـلا .. أنت « ... » جيت امتى ؟

تشـاء الصـدف أن يكـون هذا الصـديق هو السـجان الذى يعرفـه مجدى فهمى من حـى **بولاق** والذى قـام بتوصيــل الخطابات التى ارسلناهـا الـى الأهالـى من **ليمان أبى زعبـل** .

قـال الصديق :

ــ نقلت من ليمان أبو زعبل الى هنا .. من يومين فقط .

قـال مجـدى :

ــ لكن دى الادارة حاطـة سـجان من بتوعهـا من ثلاث أيــام .. ولـم يتغير ليـل ولا نهـار .. ايـه اللى جرى .. ؟

ضحك الصديق وقال :
- جاله مغص وخدوه على المستشفى وجيت بداله ٠
- ايه الصدفة الغريبة دى ؟
قال الرجل بكل الصدق :
- ده تدبير ربنا ٠٠ انتو ناس جدعان
قال مجدى فهمى بنبرة صوته الودودة :
- الله يخليك يا « ٠٠٠ » عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة ٠
- رقبتى يا مجدى ٠٠ ان ماكانش علشان انتو رجاله ٠ فعلى الاقل علشانك أنت ٠٠ ابن حتتى ٠
أعطاه مجدى التقرير والخطابات وقال له :
- دول لازم يوصلوا بأقصى سرعة
- قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لأصحابهم ٠
- متشكرين جدا ٠٠ أنت راجل عظيم ٠
- يا مجدى لا شكر على واجب ٠٠ أنا متأكد اننى باعمل خدمة لوطنى ٠
ثم يستطرد ٠٠
- على قد ما اقدر بقى أنا مش زيكو
- اللى بتعمله ده ما يقلش أبدا عن عملنا ٠
ويستطرد مجدى :
- بنس فيه مهمة ثانية ٠٠ يمكن تكون صعبة شوية ٠
- مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ٠٠
ويبدأ مجدى فى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « **الطريق** » ٠ ويقاطعه الرجل :
- أيوه أنا سمعت عنها ٠
- قريتها ؟
- لا ٠٠ لكن كل المسجونين بيمدحوا فيها وبيحبوها ٠
ويعلق مجدى :
- وأظن منتظرين صدورها **بكره** ٠
- تمام ٠٠ تطلب ايه منى ؟
ناوله مجدى خطاب موجه الى هيئة تحرير مجلة الطريق ٠٠ وقال :
- عاوزين الجواب ده يوصل **لعنبر ٢ للمسجون** (٠٠٠) قبل السجن ما يفتح ٠٠ ممكن ؟
- صعبة أوى الحكاية دى ٠٠ لكن راح أتصرف ٠
ويصيح مجدى :
- إنت عظيم ٠
وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى ٠

ويضحك السجان الصديق :
ـ هيه كل حاجة عظيم ·· عظيم · فين العظمة دى ؟
ويضحك مجدى :
ـ طيب هايل ·· بلاش عظيم ·
ـ يا عم لا هايل ولا عظيم ·· انا فى الخدمة ، ناموا انتو بقى وأنا راح أتصرف ·
ـ لا مش راح ننام قبل ما نعرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ ·
ويقول الرجل بثقة غريبة :
ـ ماشى ·· استنى شوية لغاية ما أرجع لك تانى ·
لم يكن لدينا ادنى أمل فى ان يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان الصديق مسجون مثلنا تماما · الفرق الوحيد بينه وبيننا ، اننا داخل زنزانة بابها مغلق علينا · وهو داخل عنبر واسع يضم اربع أدوار ، وبابه الخارجى مغلق عليه · تكيف يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر ٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير الطريق » ؟
بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة ·· أسرع مجدى لينظر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :
ـ كله تمام يا رجالة ·· ناموا بقى ·
ويصيح مجدى بفرح غامر :
عظيم ·· انت هايل ·
ـ تانى ! ·· عظيم وهايل ·· !
ويسأل مجدى فهمى :
ـ لكن ازاى وصل الجواب لعنبر ٢ ·
ـ يا سيدى ده شغلنا بقى ·
ويلح مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة الى عنبر ٢ ـ زنزانة رقم ٣٢ ! ، ويحكى الرجل :
بسيطة قوى ·· كان معايا علبة سجاير هوليود « لارج » فكيت الورق « القزاز » بعناية وكذا العلبة · واخذت منها سيجارة وحطيت بدالها سيجارة تانية فيها الجواب · وطلبت من السجان اللى فى الحوش يوصلها لصاحبى وابن حتتى (·····) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ ·
ويسأل مجدى :
ـ لكن أنت متأكد ان العلبة وصلت ؟
ويجيب الرجل بثقة :
ـ الا متأكد ·· ودى فيها كلام ··

ـ يعنـــى
ويقاطعه الرجـل ••
ـ يعنى أيـه بقـى •• امـال فين الثقة بالشعب ••
ويرد مجدى بلهجة ودودة :
ـ لك حق •• متاسـف •

ما كدنـا نطفـىء أنـوار الزنزانـة اسـتعدادا للنـوم حتى رأينـا خيـوط فجر يوم جديد تخترق قضبـان نوافـذ الزنزانـة لتبـدد ظلامها الدامس • وجاءنـا صـوت مالوف على اسماعنـا يؤذن لصـلاة الفجـر • كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنـا بان الرسالة قـد وصلته ، وكنـا قـد اتفقنـا معه على أنـه فى حـالات محـددة ، وبعـد أن يبـدا مؤذن الجامـع المجـاور لليمان بأذان المقطـع الاول يبدا هو فى الأذان • وتاكدنـا من وصـول الرسـالة ومن اعـداد العـدد الخاص من « الطريق » الذى يدعو الى الاضراب العام عن الطعام • وعن هذا الاضراب أكتب لك رسالتى المقبـلة يـا حبيبتـى •

١٢ يونيو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٢٠)

حبيبتـــى

الأقنعـة الزائفـة وإن بـدا بريقهـا يخطف الأبصـــار ، فـى لحظـة من اللحظات ، لا تســتطيـع أن تخفـى تماما وجـه صاحبها القبيـــح • عين الإنسـان الصـادق تستطيـع أن تخترق تلك الأقنعـة لتلحظ أقـل تصرف ذاتـى وتضـع أمامـه علامة استفهام ؟ ويبـدأ سـقوط الأقنعـة : قناعـا وراء قنـاع حتى يتعـرى تماما وجـه صاحبهـا ، ويبدو علـى حقيقته ، شريراً ، دنسـا انتهازيـا يسخر كل شىء وأى شـىء من أجل ذاتـه • الغاية عنـده تبـرر الوسيلة • • ذكـاء صـفة أسـاسـية من صفـات الانتهازى تعطيـه القـدرة على الخـداع حيث يسـتطيـع استخدام كل الظروف لصـالحه • لكن ، لأنـه يفتقـد جوهـر الانسـان يفتضـح أمره لكـل المخدوعين بـه عنـد وضعه فى تجربـة انسانيه •

المأمور (• • •) الذى حدثتك عنه فـى رسائلـى السابقة ، واحـد من انتهازيين كثيرين منتشرين بين كل طبقـات وفئـات المجتمـع ، هـذا الرجل الذى زعم يومـا أنـه صديق لنـا وللمسجونين وخدعنـا فيـه بعض الوقت ، وكنـا أكثر ذكاء منـه حين استخدمناه لصالح المسـجونين ، وبالتالـى لـم يفضـح أمـره تماما لكـل المسجونين ، سـقطت كـل اقنعتـه الزائفـة فى لحظة واحـدة •

فى ظهر يوم الاضراب العام عن الطعام والذى دخله كـل المسـجونين ـ عدانا وباتفاق سابق ـ وعـدا الاخوان المسلمين ـ فلم يكن لهم اى علاقة بنشاط المسجونين ، اغلقت زنزانتنـا ـ على غير العـادة ـ ، بعدهـا فتح بـاب الزنزانـة لنجدهـا فى لحظـة وقـد امتـلأت بعدد كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المأمور •

قـال وعلى وجهه ابتسـامة كالحـة :

ـ هما الجماعة دول مضربين ليـه ؟

ـ جماعة مين ؟

ـ المسـجونين •

ـ مسجونين مين ؟

ـ المسجونين كلهم •

- لكن إحنا مش مضربين ٠
- ليه ؟
- علشان كده ٠
مو القيادة مش لازم تضرب المثل ؟
- اسأل القيادة ؟
- طب ما انتو القيادة ٠
- عاوز أيه بالضبط ؟
- عاوز اثبات قانونى ٠
- لكل مجتهد نصيب ٠
- وانا مجتهد ٠ ٠ والا ايه رايكو ؟
- فعلا ٠ ٠ بس انتهازى ٠

ووسط ضحكات الزملاء العالية والساخرة ، وابتسامات على وجوه عدد من الضباط والسجانة ، ارتفع صوت المامور عاليا :

- يا له يا سجان انت وهو ٠ ٠ فتش كل حاجة ٠ ٠

بعض السجانة قام **بتمزيق كل ملابسنا** ، والبعض الآخر كان يفتش بطريقة **شكلية** ٠ وتناول المامور « **جاكوش واجنه** » كان يحملها أحد السجانة وأخذ بنفسه يحفر اجزاء من أرض الزنزانة ، ومن جدرانها ، آملا فى أن يعثر على مخبأ يجد فيه الدليل القانونى الذى يثبت صلتنا **باضراب المسجونين** ٠ وبعد أكثر من ساعتين ، انصرف المامور ومن معه وقد تركوا كل ملابسنا ممزقة ، وجدران الزنزانة وسقفها وأرضها وقد امتلأت بالحفر ٠ وبعد أقل من عشر دقائق جاءنا السجان الصديق يحمل لنا رسالة من مسجون صديق أرسلها من « الجبل » ٠ ووقف على باب الزنزانة المغلقة حتى نقرا الرسالة ونعطيه الرد عليها ٠ وكانت الرسالة تحمل وصفا دقيقا للأسلوب الذى تم به الاضراب ، وللدور القذر الذى قام به **المامور** ضد المسجونين لتحطيم الاضراب ٠

فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالعادة للعمل فى « الجبل » ٠ كان كل شىء طبيعيا ٠ انتظمت الفرق المختلفة وبدات فى عملها ٠ العمل يبدا عادة فى الساعة الثامنة حتى نوبة الظهر فى الساعة ١٢ حيث يأخذ المسجونون راحة لتناول الغذاء ٠ وعندما نودى على المسجونين لاستلام وجبة الغذاء ذهبوا جميعا كالمعتاد وفى صفوف منتظمة يحملون « **القروانات** » ٠ وبدلا من أن يتجمعوا كعادتهم كل يوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبوا بنفس الصفوف المنتظمة الى **مامور « العمل »** ورصوا أمامه كل القروانات ، ثم عادوا الى حيث يجلسون لقضاء فترة راحة الظهيرة ٠ ذهب اليهم المامور ومعه عدد من السجانة يسالهم ٠

ـ أيــه الحكاية يا مسجون انت وهو ٠٠ ؟
ويقف واحد من المجموعة ويقــول :
ـ مضربين عن الطعـــام ٠
ويذهب الى مجموعة أخرى :
ـ مضربين عن الطعـــام ٠
ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعـة ٠٠ الخ :
ـ مضربيين عن الطعـام ٠
لـم يفعل الضـابط شيئا ، ولم يعلق ، فهـــو من جانب يواجه موقـــف لـم يحدث فى الليمان من قبل ، وهو من جانب آخـر متعاطف مع المسجونين وارسـل الـى المدير من يبلغـــه الخبر الخطير ٠ وبعـد اقـل من نصـــف سـاعة جـاء المامور « ٠٠٠ » ، يحمل الحصـــان جسـده السمين ، ويحمل وجهـه ابتسـامته الصفراء :
ـ أيــه الحكاية يا جماعــة ؟
ـ **مضربين عن الطعـــام ٠**
ـ لكم حق ٠٠ لكن كان لازم تعطونى فرصــة ٠
ـ بقا لنـــا اربع أيـــام والاجزاءات زى ما هيــة ٠
ـ لكن أنــا كنت فى أجـازة ٠
ـ واديك جيت ٠٠ حقق مطالبنـــا ٠
ـ انتـم عارفين ٠٠ أنا مش فى ايدى حاجة
ـ طيب عاوز فرصــة ليــه ؟
ـ علشـان اتصــل بالمســئولين ٠
وكـــاد بعض المسجونين أن يخـــدع بقولـــه ٠ قـــام مســجون صـديق وقـــال :
ـ على العموم الاضراب مستمر حتى تتحقق مطالبنـــا ٠
ـ لكن المسألة تاخذ كـام يوم ٠ ٠
ـ راح نفضــل مضربين الكــام يوم دول ٠
ـ طيب تعالــى انت ومعاك ثلاثة تانيين معايـا نتناقش مع المديـــر والمســئولين إلى زماتهم وصـــلوا الليمان ٠
وذهب معه اربعـــة ٠ اثنـــان من هيئـــة تحرير « الطريق » واثنـــان من قـــادة المسجونين الى الليمان ٠ كان فى مكتب المديـــر عـــدد من **كبـــار ضبـــاط مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش** ـ قيـــل أنهم من **المخابـــرات** العامـــة ـ وحاولت هذه المجموعـــة من الضباط بالارهـــاب تـــارة والترغيـــب تـــارة أخرى انتـــزاع اى كـــلام منهم يشير الى أننا نحن الذين وراء الاضراب ٠ ولكن عبثـــا راحت كل محاولاتهم ٠ قـــال زميـــل من الزملاء الأربعـــة :
ـ **احنا مش صغيرين ٠٠ مفيش حـد وراء الاضراب ٠**

سأله احـد الضباط :
ومين اللى بيصدر مجلة الطريق ؟
قـال بكـل شـجاعة :
ـ أنا المسئول عنهـا •
قال الضـابط مهـددا :
ـ ده اعتراف ٠٠ أنا راح اقدمك للمحاكمة •
قـال الزميـل :
ـ ليس فى المجلة ما يتعارض مع القانون •
ـ طيب ليه بتطلعوهـا بطريقـة سرية ؟
ـ لأن الادارة لـم تسـمح لنـا باصدار جريدة علنية •
ـ وانتـو محتاجين لجريدة ليـه ؟
ـ علشـان تدافـع عن مطالبنـا • •
ـ وأيـه مطالبـكم ؟
ـ تطبيق اللائحـة •
تدخل واحـد من **ضباط الجيش** :
ـ وايـه اللى مش مطبق من اللائحـة ؟
ـ حاجات كتير ٠٠ الملابس لا تصرف لنـا فى المواعيـد المحـددة • كمية الغذاء من لحـوم وعسـل وخلافـه ٠٠ كلها وزنها اقـل من الوزن المقرر فى اللائحة •
ووجه ضابط الجيش حديثه الى **مدير الليمان والمامور** :
ـ صحيح الكلام ده ٠٠٠ ؟
قال المامور :
ـ أبـدا غير صحيح • •
قال الزميـل :
ـ ارجو الرجوع الى محاضر النيابة •
سأل ضابط الجيش مدير الليمان :
ـ أيـه محاضر النيابة دى ؟ ٠٠
لـم يجب
وحين كـرر الضابط السـؤال ٠٠ قال المامور :
ـ يا أفنـدم ده قصـده محاضر النيابة الخاصـة باضراب الشـيوعين عن الطعـام ٠٠ وسـادت فتـرة من الصمت • •
قال ضابط الجيش موجهـا حديثه الى الزملاء الأربعة :
ـ طيب انتو بقـى تروحوا لشـغلكوا ٠٠ وتفكوا الاضراب ٠٠ وراح نتفاهم
قال واحـد من الزملاء الأربعـة :
ـ ارجو أن تسمح لنـا بالاستمرار فى الاضراب حتى يتـم التفاهم •

ـ لكن أنا وعدتك ..

ـ يا أفندم سمعنا وعودا كثيرة قبل كده ..

قال ضابط الجيش :

ـ لكن يا ابني احنا ضباط اتصال من قيادة الثورة ..

قال زميل ..

ـ يا أفندم نحن نحترم ونقدر اهتمام قيادة الثورة .. لكن ..

ـ لكن ايه ؟

ـ ممكن تصدروا أوامر فورا بالغاء الاجراءات الأخيرة ..

ـ طيب روحوا انتو للشغل .. ثم نادى على المامور وهمس في اذنه ..

وبينما كان الزملاء الاربعة يعودون الى عملهم بصحبة واحد من ضباط السجن وعدد من السجانة .. كان المامور يتجه ومعه عدد من ضباط السجن والسجانة الى عنبر ٤ زنزانة رقم ٦٤ حيث يقوم باجراء التفتيش الذى حدثتك عنه من قبل .. وفى الوقت الذى كان المامور فيه يجرى تفتيش زنزانتنا كان مدير السجن فى الجبل يرتكب احدى حماقاته . توجه المدير بنفسه الى هناك تحيط به مجموعة من الضباط والسجانة ورجال « الهجانة » .. هذا يحمل مدفعا رشاشا .. وهذا يحمل بندقية .. ورجال « الهجانة » يمسكون بكرابيجهم المعروفة .. كانت مظاهرة عسكرية لارهاب المسجونين .. وبعد مناقشة لم تدم أكثر من عشر دقائق صاح المدير باعلى صوته وهو يشير الى الزميل المسجون الذى كان يناقشه :

ـ اجلدوا المسجون ده عشرين جلده ..

أسرع عدد من السجانة ينصبون « العروسة » .. ويمسكون بالمسجون لربطه عليها لتنفيذ حكم الجلد .. وقبل أن يبدأ التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المدير بكلام لم يسمعه المسجونون. صاح المدير مرة أخرى :

ـ أجرى يا سجان هات طبيب السجن ..

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حكم الجلد إلا بعد كشف الطبيب على المحكوم عليه بالجلد ليقرر اذا كان يتحمل الجلد أم لا . كذا ! القانون لا يمنع جلد المسجون بالسياط . ولكنه حريص على أن لا يموت ، لاحبا للانسان ولكن خوفا من المحاسبة ، لا مانع من تعذيب المسجون حتى يصل الى حافة الموت .. هذا ما يكفله القانون للطغاة الصغار .. يتسلمون السجون حيا وعليهم أن يحافظوا عليه حيا على حافة الموت فقط . أما الطغاة الكبار فلا شىء يحد من طغيانهم .. فهم أصحاب البلد وما عليها من بشر وما بها من ثروات !..

جـاء طبيب السجن ٠٠ شاب حديث التخرج ٠٠ عرفنـاه من قبـل ٠ فقد وقف موقفا مشرفا خلال **اضرابنا عن الطعام** منذ مدة - وقد أشرت اليه في رسالة سابقة ٠ كان وجهه يجسد كل ما يعانيه من آلام ٠ تبا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكون صادقا في مثل هذه الحالة ؟ الواجب يحتم ذلك ٠ وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغها الطغاة لارهاب موظفيهم ٠ من يثور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف ٠٠ الفصل من الوظيفة على اقل تقدير ٠ ومن يطرح ضميره جانبا فهذا هو الموظف الجيد ، فهو يقوم بواجب الوظيفة ! ما أفدح الثمن الذى تدفعه نظير صدقك ! أن تكون صادقا مع نفسك ومع الآخرين فانت بطل اسطورى ٠ الصدق فى العالم يا حبيبتى شيء نادر ٠ وهو اكثر ندرة فى عالم الطغاة ٠

بدأ الطبيب الكشف على المسجون المحكوم عليه بعقوبة القرون الوسطى خلال النصف الثانى من القرن العشرين ! وضع الطبيب الشاب سماعته على صدر المسجون ٠٠ وبدأ الارتياح على وجه الطبيب ٠ واتسعت معالم الارتياح على وجهه حين قاس ضغط المسجون ٠ كتب تقريره ، وهم بالانصراف صاح المدير :

ـ يا للا يا سجان نفذ الحكم ٠

قال الطبيب :

ـ نفذه على مسئوليتك ٠ ٠

ـ كيف ؟

ـ الضغط واطى ٠٠ ونبضات القلب سريعة ٠٠

وأسقط فى يد المدير ، انه لم يتعود على مثل هذا الموقف ٠ ان كشف الطبيب بالنسبة له اجراء شكلى ليس الا ، اجراء لاستكمال الشكل القانونى ! **فالحكم يجب أن يكون بالقانون** ! ، صاح المدير :

ـ يا دكتور قم بواجبك ٠٠

قال الطبيب بهدوء :

ـ لقد قمت بواجبى على اكمل وجه ٠

صاح المدير :

ـ سأستدعى طبيبا آخر :

قال الطبيب وهو أكثر هدوءا :

ـ افعل ما شئت ٠ ٠ ولكننى لن أسكت اذا نفذ **الحكم بالجلد** ٠

صاح المدير :

ـ سأجد طبيبا آخر يقرر ما أريده ٠

قال الطبيب فى تحد ٠ ٠

ـ لن تجد ٠ ٠

وانصرف

كان هناك أربعة اطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب . رفض زملائه الثلاثة اعادة الكشف على المسجون .

عاد المدير مع مظاهرته العسكرية يحمل خفي حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بانفسهم وبوحدتهم واطمأنوا الى انه حتى فى ظلام السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضاياهم العادلة . ما أعظم الانسان هذا الكائن الغريب . انه حتى وهو بين فكي مفترسيه لا يفقد جوهره الانساني . المسجونون يلتفون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد التى لم تنفذ . يحتضنونه بحب . يقبلونه ويهنئونه . وعدد من الضباط ، والسجانة يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذى تفيض بها عيونهم . كانوا يكتفون بنظراتهم العطوفة التى تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبادلونهم نظرات الحب والتقدير . كان هذا اللقاء الروحي أقوى من صخر الجبل الذى يحيط بهم من كل جانب . أقوى من الأرهاب والتعذيب والسلاسل التى تقيد ارجل المسجونين .

ارتفع صوت البروجي يعلن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته باصوات المسجونين .

ـ الله أكبر على الظالم . . الله أكبر على الظالم .

وفى سرعة لم يشهدها « الجبل » من قبل انتظم الجوعى وأشباه الموتى المنهكين فى مجموعاتهم ، رنات مئات السلاسل فى أقدامهم تمتزج بنغمات البروجي وأصوات المساجين الهادرة .

ـ الله اكبر على الظالم . . الله أكبر على الظالم .

انتظمت صفوف موكب « العبيد » ، يحملون « قزواناتهم » بها وجبة الغذاء من العدس ليسلمونه الى ادارة السجن لعمل محضر اضراب عن الطعام . كانت الشمس تختفي وراء الأفق . يبدد الظلام أشعتها ، ونبضات قلوب « العبيد » فى موكبهم تعلو على رنات قيودهم الحديدية التى تكبل أقدامهم ، تؤكد ثقتها وايمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس . شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحاياه .

وعلى غير العادة كان مدير الليمان يقف على الباب الكبير لليمان الذى يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن . وقبل أن ينصرف المسجونون الى زنازينهم يجرى « التمام » كى تطمئن الادارة على أن احدا لم يهرب . فى ذلك اليوم أمر المدير بان لا ينصرف المساجين بعد « التمام » عليهم ، تحدث اليهم عن مطالبهم وأعلن أنه قد الغى كل الاجراءات التى اتخذها ، وأن كل شيء سوف يعود الى حالته الطبيعية . وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام . وقف

الزملاء الأصدقــاء من هيئة تحرير « الطريق » واحــدا بعــد الآخــر وأعلنوا باسم المسجونين انهاء الاضراب عن الطعام . كانت هذه أول مــرة يتحــدث فيهــا مسجون باســم زملائه . فالمفروض أن يتكلم كل مســجون باســمه فقط وكانت هذه أول مــرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية .

لكن أمــرا كان مبيتا ضــد الزملاء الأربعــة الذين قادوا المعركــــة وأمــرا آخــر كان مبيتا ضدنــا ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجــع المديــر عــن كل الاجــراءات التي اتخذهــا .

وفي الرسالة المقبلة ، يا حبيبتــي : احكي لك ذلك .

١٥ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢١)

حبيبتي

هكذا وبالاضراب العام عن الطعام وبوحدة كل المسجونين الرائعة تحطمت كل الاجراءات الشاذة التي اتخذها مدير ليمان طرة ٠ وصدرت « الطريق » في اليوم التالي من صفحة واحدة ، تحيي وحدة المسجونين باعتبارها الأداة الفعالة لتحقيق مطالبهم ٠ وحذرت « الطريق » من محاولات الادارة التي لن تتوقف لضرب وحدتهم بمختلف الوسائل ، فهي أي « **الادارة** » اذا كانت قد تراجعت فانها سوف تنتهز أول فرصة مناسبة لها للانتقام من هزيمتها التي لم تحدث من قبل في تاريخ السجون في مصر ٠ ومضى يومان لم يحدث خلالهما ما يشير الى أي شيء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد في الليمان جو ودي وأخوي بين المسجونين وضباط الادارة والسجانة ، وكان مدير الليمان يتودد اليهم بطريقة تتعارض مع طبيعة تكوينه الانساني والنفسي ، فضلا عن أنه هزم في معركة كانت موجهة ضده في الأساس ٠ وبذل مأمور السجن جهدا كبيرا بين المسجونين كي يعود الى موقعه القديم قبل أن يفضحوه ٠ حتى نحن ، خففت الادارة **قيود الحراسة** المشددة علينا ، وعاد المأمور يتودد الينا بشكل مبالغ فيه ٠ حتى المدير لم يكن يعترض على بعض مطالبنا التي كان يرفضها من قبل ٠ لم نقابل هذا الجو العام بالارتياح ، فنحن مسجونون في قبضتهم يستطيعون التنكيل بنا في اي لحظة وليس هناك أدنى شك عند الادارة في أننا كنا وراء هذه المعركة التي هزمت فيها ٠ فضلا عن أن المعركة كان لها طابعها السياسي رغم جوهرها الاقتصادي ، وبالتالي فان الدولة لن تقف مكتوفة الأيدي ، **وأن مؤامرة تدبر ضدنا** ٠ كان هذا ملخصا للرأي الذي انتهينا اليه بعد مناقشة في مساء اليوم الثالث للاضراب العام ٠

وتشاء الصدفة أن يصلنا في نفس الليلة ما يؤكد تحليلنا للموقف ٠ كان هناك سجانان يتبادلان حراستنا اثناء الليل بصفة دائمة ، وسجان ثالث يتولى حراستنا خلال النهار ٠ وكان هؤلاء الثلاثة لا يتغيرون خلافا لما يتم بالنسبة لباقي المسجونين ، وذلك كي تستطيع الادارة فرض الرقابة على هؤلاء السجانة وتفتيشهم تفتيشا دقيقا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفا من احتمال قيامهم بادخال أو اخراج رسائل لنا ٠ وكان من بين هؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراسته

وصلته بالمباحث العامة • كان هذا الرجل يقوم كالمعتاد فى تلك الليلة بنوبة حراسته علينا التى تبدأ من غروب الشمس ـ موعد اغلاق الزنزانة ـ حتى منتصف الليل ، لكننا لاحظنا أن زميله فى الحراسة لم يتسلمها منه كالمعتاد ، واستمر هو فى الحراسة • فى الظروف العادية يمكن أن لا يثير ذلك انتباهنا • وضعنا علامة استفهام وقررنا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذى كان دائم الاستفزاز لنا أن نجرى معه حوارا نعرف منه سبب استمراره فى حراستنا وهل هو أمر عادى ؟ أو هو مرتبط بحملة تفتيش فى الصباح ؟ هذا الرجل يأتى باستمرار فى كل حملات التفتيش ومهمته الرئيسية هى استفزازنا ، وكان خلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة ينظر من ثقبها ليرى ما نفعل ، واذا غابت عينه اليمنى أو اليسرى عن ثقب الزنزانة فهو لا يستطيع أن يرى بعينيه معا من هذا الثقب الصغير ـ يتصنت علينا ليسمع ما نقول دون أن نراه • وكنا على حذر دائم منه ، ورغم مقاطعتنا له تماما الا أننا كنا نحتفظ بأحد الخيوط معه ، وكان خيطنا هو وليم اسحق الذى بدأ حوارا معه ، تبيننا منه أن المسألة لم تكن مجرد تفتيش مفاجىء استفزازى ، وانما هو أمر أخطر من ذلك بكثير ، صاح وليم ينادى :

ـ يا شاويش (•••) « اسم الحارس الآخر الذى لم يحضر » • •

ـ عاوز أيه يا مسجون ؟

ـ الله •• هو أنت • ؟

ـ لا •• خيالى •

ـ وهو الخيال بيتكلم برضه ؟

ـ عايز أيه ؟

ـ خلاص بقى ، كنت فاكرك الشاويش (•••) •

قال الرجل بضيق :

ـ لا يا سيدى •• جيت اسلمه قالوا لى ما تسلمهوش واستمر أنت ••

ـ ليه هو • عيان ؟

قال ورنه الغضب فى صوته •

ـ عيان أيه ده زى الطور •

قال وليم وهو يضحك :

ـ والله ما لهم حق • • بوظوا مشروعاتك •

ـ مشروعات أيه ؟

ـ يعنى •

ـ يعنى أيه يا مسجون ••

ـ يعنى •• انت برضه لسة متجوز جديد •

أصابت الكلمة الرجل فى الصميم • وقال بأسى وحزن :

ـ وانا كنت جاهز على الآخر !

ـ م! هو انت ممكن تستحمل ٠٠ لكن هى بقى ٠٠
قال الرجل بانزعاج ٠٠
ـ هى أيه ؟ ٠٠ ما هى تستحمل برضه ٠
ـ على العموم ما تفكرنيش ٠٠
ـ ما أفكركشى بايه ؟ ٠
ـ لا مالوش لزوم ٠٠ اضايقك ٠٠
ـ تضايقنى ؟ ٠ ازاى ؟ ٠
ـ أصل انا حصلت لى ظروف كده زيك ٠٠
ـ وبعدين ؟
ـ فى يوم كده كنت جاهز زيك ٠٠ ومراتى منتظرانى ٠٠ وما روحتش ٠٠
اشتد انزعاج الرجل وقال :
ـ حصل ايه بس ٠٠ قول ٠٠ ؟
ـ حصل اللى حصل بقى ٠٠
ويكمل وليم
ـ على العموم ما تشيلش هم ٠٠ مش كل الستات زى بعض
ـ أيه بس اللى حصل ٠٠ ؟
ـ رأسها والف سيف لازم تتطلق ٠٠
ـ يا ساتر للدرجة دى ٠٠
ـ اصل ما عندكشى فكرة ٠٠ الست مش زى الراجل ٠٠ لما تجهز لازم يحصل ٠٠
ـ طب واذا ما حصلش ٠
ـ والله بقى ٠٠ مش عارف أقول لك أيه ٠
ـ يا نهار أسود ٠٠ طب دنا مسافر بكره ٠
ـ مسافر ٠٠ فين ؟
ـ أنا عارف قالوا لى أعمل حسابك بكره علشان تسافر فى مهمة من الصبح ٠
ـ واشمعنى انت يعنى ؟
ـ فيه سجانة تانيين وضباط ٠٠ راح يسافروا ٠
ـ همه راح ينقلوا السجن والا أيه ؟
ـ أيه بتهزر ؟
ـ على العموم ما تاخدش فى بالك ٠٠ راح تتاخر كتير ٠٠ ؟
ـ أنا عارف راح اتهبب قد أيه ٠٠ الله يخرب بيت بتوع السياسة ٠٠
ـ وبتوع السياسة مالهم ٠٠ ؟
ادرك الرجل انه قد استدرج ، عرفنا نحن أننا سوف **نرحل** فى الصباح **الى اين ؟ هذا ما لا نعرفه** ٠ هل يعرف الرجل ؟ واستمر وليم فى حواره الطريف معه ٠ وبدأ **مجدى فهمى** يعاونه الزملاء فى الاستعداد للرحلة

الى المجهول صباح الغد • اخذوا فى تخبئة ممتلكاتنا من نقود وكتب لأخذها معنا • سلاحنا الدائم معنا هو الكتب • ونحن دائما جاهزون للرحيل نأخذها معنا اينما نذهب وبوسائلنا الخاصة •

ويستمر **وليم اسحق** فى حواره مع السجان :

ـ وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟

ـ ما اعرفش • أنا قلت حاجة ؟

ـ ولا انا سمعت حاجة •

ـ امال بتسأل عن أيه • • ؟

ـ يا شاويش (• • •) احنا رجاله وانت عارف •

ـ وانا مالى • • رجاله ولا مش رجاله • •

ـ يعنى رقبتنا ولا يمكن نقول ان احنا عرفنا منك حاجة

ـ حاجة أيه ؟ وانا قلت حاجة ؟

ـ يعنى • • احنا برضه بنفهم • •

ـ وفهمت أيه ؟

ـ فهمت اننا راح نترحل بكره •

ـ وفهمت من مين ؟

ـ يعنى • • الكلام أخذ وجاب معاك • •

ـ لكن انا ما قلتش حاجة • •

ـ يا راجل واذا كنت قلت • • احنا رجالة • • رقبتنا يا شاويش (• • •) • •

ويرد الرجل مستعطفا • • •

ـ لكن انا عملت فيكو كثير • •

ـ يا راجل ما تقولش الكلام ده • • احنا اخوات • •

ويستطرد الرجل بندم :

ـ صحيح يا أخى • • لسانك حصانك ان صنته صانك •

ـ يا راجل ولا كانى سمعت حاجة • • لكن راح يرحلونا فين ؟

ـ لا ما اقدرش أقول بقى ؟

ـ على العموم • • يعنى راح نعمل أيه لو عرفنا راح نترحل فين ؟

ويرد الرجل بود لم نعهده من قبل • •

ـ ربنا معاكو • •

ـ اهو سجن زى كل السجون ؟

ـ مين عارف • •

ـ حيكون أيه يعنى • • ابو زعبل ؟ • كنا هناك • •

ـ يا ريت • •

ـ فيه اكتر من ابو زعبل ؟ •

ـ أيوه فيه • •

ـ فين ؟

- وراء الشمس .

وانصرف الرجل ، وعبثا راحت كل محاولات وليم لمعرفة هذا المكان الذى يقع **وراء الشمس** . وأخذنا نضرب أخماسا فى أسداس . ربما سنرحل الى **معتقل الطور** ؟ لكن **معتقل الطور** يستقبل منذ العهد الملكى أفواجا من المعتقلين واصبح مثله مثل كل السجون . ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرحل اليه صباح غد والذى يقع وراء الشمس . كان من الضرورى أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى **الزنزانة المجاورة** . وصاح وليم باعلى صوته :

- دكتور شريف حتاته :

وصاح السجان :

- اسكت يا مسجون .

- يا شاويش عاوز اسأل الدكتور شريف على اسم دوا .

- طيب قول وانا اسأله .

- أصل اسمه بالانجليزى ..

ويصيح شريف من الزنزانة المجاورة ..

- فيه ايه يا وليم .. مالك ؟

ويقاطعهما السجان :

- اسكت يا مسجون انت وهو ..

ويقول وليم :

- يا شاويش طيب هات ورقة وقلم علشان أكتب اسم الدوا للدكتور شريف :

ويطير صواب السجان ويصيح باعلى صوته :

- يا نهار أسود .. ورقة وقلم أنت عاوز توديني فى داهية .

ويقول وليم :

- طيب تعالى اسأله أنت

ويحضر السجان ليعرف اسم الدواء ويطلبه من الدكتور شريف . ويقول له وليم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجان أن يستوعب كلمة منه . وأخيرا يقترح وليم أن يطلب من الدكتور شريف أن يقف على «**جردل البول**» وسيقول له اسم الدواء أمامه . يقبل السجان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاح أن لا يقول له شيئا عن مسألة ترحيلنا . وينقل وليم الخبر الى الدكتور شريف حتاتة بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حول ضرورة مواجهة وضعنا الجديد بوحدة تامة لا تسمح بأى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا . كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد أعددنا أنفسنا للرحلة **الى المجهول** ، الى وراء الشمس كما

وصـفه السـجان • اخلينـا كـل المخابـئ من ثروتنـا الثمينة من الكتب ، وقمنـا بتخبئتها بوسـائل خاصـة تتبع عند الرحيـل • وبـدأ دور مجدى فهمى المعروف • أخذ يحدثنـا بطريقتـه العبقريـة فى رفـع معنوياتنـا وشحذ هممنـا ، وتاكيـد ايماننـا بالقضية العادلـة التى وهبنـا حياتنـا مـن اجلهـا ، قضية مصر الحبيبـة وشـعبها العظيم وترابهـا المقدس • ثـم اخذنـا نردد نشيد بلادى • بلادى • ونغنـى أغانـى سيد درويش • ومـع الاشعة الأولى لشمس اليـوم الذى سنرحل فيـه الى **المجهول** كنا نغنـى : طلعت ياما أحلى نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما أحلى نور الشمس الذى يجدد الحيـاة حين يعطـى اشـارة العمل للكادحين • ما احـلاه حتى لنـا نحن الذين لا نعرف حتى هذه اللحظـة ، اي مكـان هذا الذى سنرحل اليـه ، هذا المكان المجهول الذى يقـع وراء الشمس • •

كيف رحلنـا ؟ والى أيـن ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ،،

٢٠ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٢)

حبيبتـــى

الايمــان ، الالتزام ، اليقين ، الانتمــاء ، كلمات تتداولهـــا كثيرا ادبيات السياسة والفكر والأيديولوجيـــة ٠ والمناضلون هم أكثر الناس ادراكـــا ووعيـا بدلالاتها لأنهم يعيشونها ، لكن المحـن المختلفـة التـى يتعـرض لهـــا المناضلون ، وبصـفة خاصـة فى السجن تجسـد امامهم كـل ما تعبر عنهـــا من مسئولية ٠ فان تكون مؤمنـــا بفكرة ، ملتزما بالنضـــال من اجلهـا ، وعلى يقين من انتصارهـــا ، وتتحمل مسئولية الانتماء اليهـــا وأنت خارج السجن أمـر مختلف تماما عنـه وأنت داخـله ٠ فى السـجن تجـد نفسـك أمـام اختبـار حاسـم أمـا الاستمرار مهما كانت التضحيات ، أو الانهيـار والاستسـلام ٠ والثورى انسـان تمر بـه لحظـات ضـعف كما تمر بكـل انسـان ، لكن ما يفـرق الثورى عن الانسان العادى ، هـو قدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الـذات وهذه هى البطولـة ٠

ولحظـات الضعف التى مـرت بى وبزملائى خـلال الساعات القليلة التـى سبقت ترحيلنـا الى « وراء الشمس » كانت من اقسى اللحظات التى مـرت بنـا خـلال السـنوات السـابقة ، فى سـجن مصر ، وليمـان ابو زعبل ، وليمـان طـره ، كدنـا نصل الى يقين باننـا ذاهبون فى مكـان لاتمتــد اليـه الا يـد البطش والارهاب والتعذيب حتى الموت ٠ ولم يكن أمامنـا كى نجتـاز تلك اللحظـات الرهيبـة من الضعف الانسانى الا أن نؤكـد من جديد المعانـى العظيمة التى تحملها كلمات الايمان ، والالتزام ، واليقين ، والانتماء تـارة بمخاطبة عقولنـا ، وقـد توليت أنا هذه المهمـة ، وتـارة بمخاطبة الوجدان ، وتولاها مجدى فهمى بأسلوبه الساحر وتارة باستثارة كل مكنونات الانسان الخيرة وقـام بهـا وليم اسحق ، ثـم بحماس الشبـاب واندفاعة وكان محمـد خليفـه ـ عمره يومذاك ١٩ سـنة ـ ونحن نـردد وراءه الأناشيد الثورية والوطنية ، ثـم وحتى الدقائـق الأخيرة لمعرفة المكـان الذى سنذهب اليـه ، باستعادة مواقف بعض الرواد الأبطال الـذين عـرفتهم البشرية فى مختلف الميادين السياسية والعلمية والدينيـة ٠ هكذا قضينـا الساعات الأولى من صباح يـوم ترحيلنا بعـد فتح بـاب الزنزانة ، كـان المأمور على رأس الحملة التى قامت بالتفتيش بطـريقة عـادية تمامـا ٠

لاحظ المامور وجـود رمـاد ورق محروق فى « جردل البـول » هز راسـه وابتسـم ابتسامة خبيثـة وقـال :
ـ ايـه الورق المحروق ده ؟
ـ كنـا بنعمل شـاى ٠
ـ شـاى ولا شيوعيـة ؟
ـ ظـريفة ٠
ـ عجبتك ٠٠ ؟
ـ تعجب الباشـا ٠٠
ـ ما خلاص مفيش باشوات
ـ كل سنة وانت طيب
ـ قصـدك أيـه ؟
ـ قصدى اللى قلتـه
ـ والمعنى فى بطن الشـاعر طبعـا ؛
ـ فى اى بطن تمجبك
ـ كلام يحاسب عليـه القانون ٠
ـ قـم بواجبك
ـ غلبت وغلب غلبى معاكو
ـ ولسـه
وابتسم الرجل ابتسامة ماكـرة حاقدة ، وقال بصوت كـريه :
ـ كل واحـد يلم هدومه راح نرحلكو من هنـا
ـ فين ؟ ٠
ـ راح تعرف لـما توصل
وتحـرك الرجل بخطوات متثاقلة نحو باب الزنزانة ، وقال :
ـ سيبوهم ياخدوا الورق اللى عاوزينـه ٠٠ هو مين هناك راح يقـرا مجـلات !٠
وسال سـجان :
ـ والكتب يابيـه ؟
ـ ياخدوها معاهم ٠٠ مفيش اى خطـر منها هنـاك ٠٠
ويستطـرد :
ـ وكمان اذا لقيتوا منشـورات سيبوها لهم ٠٠ لاضرر منها هنـاك ٠٠ الشطارة بقى تجيبوا غيرها ٠
ويـرد عليه مجدى فهمى بتحـدى ٠٠
ـ طول مافينا نفس ٠٠ لن يتوقف نشاطنا ٠
وينصرف الرجل مسرعا ٠٠ بينمـا يقـوم السجانة بتفتيش شكلى ٠٠ ويهمس ضابط صديق :

ـ الواحات الخارجة ••

ويهمس آخـــر :

ـ شدوا حيلكو •• ربنـا معاكو ••

الواحات الخارجـة ! من هو هذا الفاشى الذى تفتق ذهنـه الشرير عـن فكـرة **نفينـا فى قلب الصحراء** • كـان الفاشست يلقـون بالمنـاضلين الوطنيين الى **أفـران الموت** • وهؤلاء الفاشست ، هل يسوقونا الى المـوت جوعـا وعطشـا هـل دبروا لنـا الموت **بسم الثعابين فى الصحراء** • وانتبهنا فجأة على صوت سجان شرير يقـول :

ـ لدغـة « **الطريشة** » هناك هـى والقبر على طول ••

وترتسم ابتسامة هادئة على وجـه **وليـم اسحق** ويقـول :

ـ مين عارف •• يمكن أول لدغـة « **طريشة** » تكون من نصيبك ••

وتظهر ملامح خـوف على وجه هذا السجان الجبـان • لحظـة صمت رهيب •• يقطعهـا صوت **الضابط الصديق** :

ـ يا جماعة ما تسمعوش كلام السجان ده •• مش للدرجة دى •

ويصيح فى السـجانة :

ـ يالله بقى •• مش خلاص ؟

ويلتفت الينـا ويقول بصوت ودود :

ـ شـوية كده ••• ارتاحوا •• لغاية ما ننادى عليكو ••

وتمضى أكثـر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعـد أن اغلقت علينـا الزنزانة من جديد • **مجدى فهمى** باسلوبه البسيط المقنع يؤكـد لنـا أن النظـام اضعف من أن يقـوم بعمليـة ابادة جماعية لنـا ، فمثل هـذا العمل الاجرامى لايمكن أن يمـر بسهولة ليس فى مصر فقط ، وانمـا ايضـا فى العـالم التقدمى • ويذكرنا بموقف القـوى التقدمية ومساندتها لنا خلال **الاضرابات عن الطعام** التى قمنا بهـا **ووليم اسحق** بصوته الانسانى العميق يحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل **افكارهم وآرائهم** • **ومحمد خليفه** بصوته الجهورى الذى يفيض شبابا وحيوية ينشد وترتفع أصواتنا وراءه تقـول بكل التحـدى ••

ـ شتتونا فى المنافـى •• واملأوا منـا السجون •

سوف تأتيكم ليـالى •• برقها عصف المنون

ثـم تنضم اصواتنا الى اصوات زملائنا فى الزنزانة المجاورة ••

بلادى بلادى •• لك حبى وفؤادى •

وتفتح الزنازين •• وتستمر اصواتنا جميعـا تردد من الاعماق مصر انت اليوم حـــرة •• فوق جبين الدهـر درة •

يا بلادى عيشى حـرة •• واسلمى رغم الاعـادى •

وبين صفين من السجانة الذين يحملون **البنـادق والرشاشات** ، تعـلو هتافاتنا **بحياة مصر وشعب مصر** • وبالديمقراطية ، والحريات السياسية •

انتظـار ترحيلهم تمتزج مع أصواتهم التى تردد ·· **الله اكبر ولله الحمـد** ·· وتصل أصواتنا الى أسماع عـدد من **الأخوان المسلمين** الذين سبقونا فـى وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفـة المشجعة (كنـا قـد نظمنا معهم مناقشات سياسية ساكتب لك عنهـا فى رسـائل مقبلة) ··

وكان **مدير الليمـان** يقف منفوشا كالديك الرومى ، يحيط به عـدد مـن السجانة يحملون **سلاسل حديدية** ، طويلة ، وغليظة ، وعـدد آخـر يحمـل **مطارق وسنادين** ، وارتفـع صوته المرتعش يقول :

ــ أى نــوع من المقاومة ستقابل **باطلاق الرصاص فـورا** ·

وترتفع أصـواتنا :

ــ دماؤنا فداؤك يا مصر

ويعود صوت المديـر يـردد :

ــ أى خروج على النظـام ·· معناه عصيان ، والعصيان فـى السـجن يقـابل **بضرب الرصاص فـورا** ·

ماذا يريـد المدير من وراء ترديده هذه الكلمـة ؟

هل تبـدأ مؤامرة أبادتنـا باطـلاق **بعض الرصاصات الميته** لبعضنـا لارهاب من يبقى حيـا · ترديد هذه الكلمـات اذن هى محاولة لاستفزازنا وجرنا جـرا الى **المؤامـرة** · وبسرعة اتخـذنا قـرارا بالتوقف تمامـا عن الهتافات وترديد الاناشيد · ومضت دقائق فى صمت رهيب سـاد الجميع ، المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الـذين يحرسـونهم ، والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجـرى وما سوف يجـرى لنـا · حتـى المدير نفسه توقف عن اصدار الأوامر واطلاق كلمات التهديد · صوت قطار يأتى من بعيـد يبـدد هذا الصمت الذى ران على الجميع ، ودخـان أسـود كثيف يخرج من مدخنة القطار ليغطى سـماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة فى أشعة الشمس القـوية حين يتوقف نعيق « **قطار المـوت** » ويهمس صوت الضابط الصديق ··

ــ أرجوكم ·· نفذوا الأوامـر ·· وتوقفوا تماما عن الهتافات والاناشيد·

لقـد صح ما توقعناه اذن · هذا الصـوت الودود المخلص نثق فيـه · حياتنا ثمينـة ويجب أن نحافظ عليهـا · كانت هتافاتنا واناشيدنا من أجل رفع روحنـا المعنـوية ولقـد ادت دورها · حقـا ، إن الانسان موقف · لقـد اخترنا بارادتنـا موقفنـا قبل السجن ·· النضال من أجل حـرية مصر وحق شعبها فى أن يحيـا حيـاة كريمة · · وهو موقف ازداد اقتناعنـا بـه خـلال السجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولن نحيـد عنـه حتى آخـر لحظـة مـن حياتنا ، وفى هذه اللحظـة الحرجة التى تتعرض فيهـا حياتنـا للخطـر لـن يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » · نعم لن نساوم على أفكارنا ، ولن نستسلم

للارهاب . ولكن يجب أن ندرك أن شعرة واحدة تفصل بين الموقف الثورى وبين الموقف المغامر . وقررنا أن ننفذ نصيحة **الضابط الصديق** .

وارتفع صوت المدير في محاولة أخرى لإستفزازنا وجرنا الى **معركة الموت**:

ـ أكرر مرة ثانية .. اى حركة من اى مسجون ستقابل **بضرب الرصاص** .

ويلتفت الى حاملى **البنادق والمدافع الرشاشة** :

ـ الجنود .. **في وضع الاستعداد** ..

وفى لحظة رأينا أفواه البنادق والرشاشات مصوبة الى **صدورنا** .. ويسود الصمت الجميع .. لاكلمة واحدة من أحد .. بل ولا حركة . **نحن والاخوان المسلمون** نجلس القرفصاء على الأرض . أفواه البنادق مصوبة **نحونا** . والجنود يحيطون بنا من كل جانب ، **والقطار** يقف بعيداً عنا ، وفجأة يبدد هذا الصمت الرهيب صوت « **البروجى** » يعلن قدوم « **اللواء** » مدير مصلحة السجون ويرفقته عدد من **ضباط الجيش** والسجون وعدد من الأفندية ضباط المباحث العامة **والمخابرات** . يتقدم اليهم مدير الليمان والمامور .. يلقون اليهم التحية .. ويتقدمون جميعا نحونا . ويرتفع صوت غليظ ..

ـ انتباه ..

ونقف جميعا صفوفا منتظمة ..

ويرتفع الصوت الغليظ مرة أخرى :

ـ اقعد ..

ونعود الى جلسة القرفصاء « الديز »

ويعود الصمت مرة أخرى ، لكن همسا يدور بين أصحاب « **الكابات** » الحمراء **والنياشين الكثيرة** على صدورهم ، و « **الافندية** » **الذين** تبدو عليهم البساطة اذا قورنوا بزملائهم القادمين بصحبتهم . ولكن الحقيقة انهم هم أصحاب الأمر والنهى .. ويستمر الهمس دقائق تمر كالدهر ، نشعر خلالها بان آخر أنفاسنا معلقة بما يدور بينهم من همس . ربما يعنفون مدير الليمان الذى لم ينجح فى تدبير **مجزرة** يروح ضحيتها عدد منا ؟ ربما يدبرون **مؤامرة بديلة** ؟ ويناقشون « أفضل » طريقة لاستفزازنا ؟ .. على اى حال لن نستجيب لأى نوع من أنواع الاستفزاز ، دون اى تفريط فى كرامتنا ، كما لن نقبل اى اهانة لافكارنا . .

ورأينا على البعد .. واحدا من « **الافندية** » يقبل نحونا ، الابتسامة الصفراء تكسو وجهه . يبدو انه رجل **مخابرات خطير** ، ويصيح سجان بصوته الغليظ :

ـ انتباه ..

ونقف صفوفا فى انتظار القادم . ويهمس الضابط الصديق :

ـ لا تستجيبوا لأى استفزاز ..

ويذهب سريعـا الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه .

ماهوذا « الافندى » يسير بين صفوفنـا فى خيلاء وغطرسة الجبنـاء ، ينظر الينا ، ويقف بين الحين والحين أمام واحد من الزملاء . واستمر هكذا دون أن ينطق بحرف واحـد . لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخـالى من أى تعبير ثـم عـاد الى « هيئة اركان حرب » وراح يتحدث معهم ، وساد الصمت مـرة أخـرى .. التفت الينـا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات ودودة ، ثـم تركنـا واتجه الى حيث يقف الضباط الكبار والافنديات بعد أن همس لنـا :

ـ اروح أشـوف الاخبار .

ما الذى كان يريده ، هذا « الافنـدى » ؟ وما معنى صمته التـام ؟ انـه لـم يوجـه الى أحـد منـا كلمة واحـدة لاستفزازه ، فقط كـان ينظر الـى عيوننا ، ما الـذى كـان يريـد أن يراه فيها ؟ انـه بالتأكيد لـم يـر فى عيونـا شيئا مما كان يريـد أن يـراه . لـم ير فيها غير بريـق التحـدى والاصرار . وهؤلاء البشر يا حبيبتى جبنـاء .. انهم بكل ما يملكون من ادوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمـام نظـرة تحدى واحـدة . ولقـد شهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، فهل عـدل عن تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استقظت فجـأة نبضـة من ضميره الميت فاستجاب لهـا انسانيا ، وربمـا جبن أمـام نظـرات التحدى التى وجدها فى عيوننـا . ونرى من بعيـد الاجابة على وجه الضابط الصديق القـادم الينـا من جديد بعـد أن أصدروا اليـه الاوامـر التى لـم نسمعهـا . كنـا نعـرف ما يريـد أن يقوله لنـا من خـلال تعبيرات وجهه، كنـا قـد امتلكنـا القـدرة على أن نعـرف ماذا تحمل لنـا ابتسامته حين تكون انسانية ودودة . وحين تكون حزينـة ، وعرفنـا من ابتسامته كـل شيء قبل أن يقـول لنـا :

ـ اطمئنوا انا سأسافر معاكم ..

مهمـا يكن الامـر ، فان وجود هذا الضابط الصديق معنـا سوف يخفف كثيـرا من آلام رحلة العذاب الى « وراء الشمس » .

قـال الصديق :

ـ أرجو أن تنفذوا كل الاوامـر حتى تركبوا القطار ويتسافر بيتـا . اتفقنا؟

ـ اتفقنـا ..

وبـدأت عمليـة اعدادنا للسفـر الى الواحات ، عمليـة تستحق رسـالة بكاملها ، فالى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى ..

٢٢ يونيـو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٣)

حبيبتي

في حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة في أقفاص من الحديد كي لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليها • وفي السجون يضعون **المحكوم عليهم بالاعدام** في زنازين تشبه هذه الاقفاص ، ليس خوفا منهم على الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمة الحارس الذى لا يفارق قفص المحكوم عليه بالاعدام هي أن لا يعطيه فرصة **الانتحار** ! فهل كانوا يخافون على الناس منا ، أم يخافون علينا حين كدسونا مقيدين **بالسلاسل الحديدية الغليظة** في اقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، الملحقة بالقاطرة التي جرتها الى **الواحات** ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وانما كانوا يخافون أن نهرب ! **الشيطان** نفسه لا يستطيع أن يهرب لو قيدوه بالسلاسل كما قيدونا ، ووضعوه في زنزانة جدرانها من اسياخ **الحديد الصلب** ، وعلى كل باب من أبوابها يجلس **حارسان** يمسكان **بالمدافع الرشاشة** وكل خمسة أشخاص مقيدون **بسلسلة واحدة غليظة** ، اذا تحرك شخص واحد فلابد أن يتحرك الأربعة الآخرون معه ، وفوق هذا كله فالقطار يجرى بسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلو مترا في الساعة !

مازلت أذكر بكل التفاصيل الصغيرة عملية اعدادنا للترحيل الى **الواحات** • قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زملاء ينادون عليهم بالاسم من كشف كان في يد المدير • بعد أن يتجمع الخمسة يحيط بهم ٤ سجانة وضابط ويذهبون الى ورشة الحدادة في الليمان حيث يجرى **دق السلاسل في اقدامهم** ، في سلسلة طويلة ، ثم يذهبون الى « الزنزانة » في القطار وفي كل « زنزانة » تكدست خمسة مجموعات • أى ٢٥ زميلا في زنزانة لا تزيد مساحتها عن ٢ × ١,٥ متر • جدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وسقفها الواح سميكة من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من الأوساخ والقاذورات • وبعد أن انتهوا من عملية تكبيل كل **الزملاء والأخوان** المسلمين وتكديسهم في « زنازين » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحو رحلة « المجهول » شهدنا من خلال القضبان مشهدا بشعا ترك في أعماقي جرحا لن يندمل أبدا •

كان أصحاب الكابات الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور • ومعهم « **الأفندية** » ومدير السجن يقفون بعيدا في ركن من أركان حوش

الليمـان ، وكان عـدد من السجانة يحمل « **العروسة** » ـ التى تستخدم لجلد المسجونين ـ وينصبونها فى وسط حوش الليمـان • وبعـد قليل شبـهدنا اثنين من زملائنا المسجونين من هيئة تحرير « **الطريق** » ـ وقـد كبلت أقدامهم وأيديهم **بالسلاسل** ، يجرهم السجانة وعلى رأسهم المأمور • وعند **العروسة** يصدر المأمور أمـرا بفك سلاسل أحـد الزميلين واعـادة **تقييده « بالعروسة »** ثـم يصدر أمـرا بالجلد • أكثـر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العـارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آهه واحدة أو صرخة • ثـم اعادوا تكبيله من رجليه ويديـه بالقيود الحديدية • وتكـرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر ـ لو أن هـذه السياط نزلت على ظهـرى مـا تألمت مثلمـا تألمت فى تلك الدقائق • كنت أرى الألم يعتصر زملائى الذيـن يشاركونى **القيـد الحديدى** • كنـا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شيء حتى مجـرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بشجاعة نـادرة وتحد كبير • كنـا نعلم أنهمـا ينـالا جزاء صداقتهم لنـا وصلتهم بنـا •• وتبادلت مع **مجدى فهمى** الذى كـان يشاركنى **القيـد الحديدى** حوارا بالـغ الأهميـة فى دلالتـه ••

ـ انهما يؤديان ضريبة صداقتهما لنـا •

ـ بالتأكيـد بعـد أن فشـلوا فى الحصول على اعتراف منهما ••

ـ من أين يستمدون هذه الشجاعة النادرة ؟

ـ انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟

ـ وهما يتعاطفان معنـا انسانيا فقط ؟

ويتدخل **وليم اسحق** ـ وكـان فى سلسلة أخـرى ـ :

ـ وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الإنسانى هو الأساس •

ـ وهل نقف هكذا مكتوفى الأيـدى ؟ •

ويضحك وليم ، ويقـول :

ـ السنا مكتوفى الأيـدى والأرجل كمـان ؟

وابادله ابتسـامة من بعيـد :

ـ السنتنا لـم تصل اليهـا القيود الحديدية بعـد

ويتدخل **مجدى فهمى** :

ـ يمكن ان يسكتوها الآن ، والى الأبـد ••

ـ كلمة احتجاج على الأقـل ••

ـ ربمـا تكون هذه الكلمة الدليل الذى لم يستطيعوا الحصـول عليـه منهمـا •• ويستطرد •••

ـ وربما تكون كلمـة السر •• بعدها تنطلق مؤامـرة **لذبحنـا** كلنـا أو بعضنـا

ـ معك حق •• ليس أمامنا إلا أن نعتصر الألـم ••

ـ ما يخفف آلام اللحظـة •• أن تعايش المستقبل فـى الوقت ذاتـه

ويأتي صوت وليم اسحق الساخر :

ـ لحظة وتفوت ولا حد يموت .. ياعم درش .

وتهدأ نفسي الثائرة قليلا .. لقد كدت أن ارتكب « حماقة » كنت على وشك أن أصرخ احتجاجا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشي لمجرد انهما صديقان لنا . ولو انني فعلت ذلك فقد كان من المؤكد أن جميع الزملاء كانوا سيحتجون بمختلف الطرق ، الأمر الذي كان سيعطيهم مبررا لاطلاق الرصاص علينا . **مجدي فهمي** بهدوئه وسلوكه الموضوعي هو الذي منعني من ارتكاب هذه الحماقة التي كانت ستكون بالتأكيد اشارة البدء للمؤامرة التي كانوا يدبرونها وفشلوا حين لم يجدوا مبررا لها .

وتنتهي عملية **جلد** الزميلين .. ونشهدهما يساقان مرة أخرى الى زنازين « **التأديب** » أيديهم مكبلة بالقيود وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبار والافندية يسير ناحية مكاتب الادارة ، وتزعق صفارة القاطرة بصوت مزعج بينما تنفث مدخنتها دخانا أسود كثيفا ، يكاد يخفي أشعة الشمس الساطعة ، ايذانا ببدء الرحلة الى ما « **وراء الشمس** » .

الناس حين يسافرون الى بلاد أخرى يذهبون الى محطات السكك الحديدية أو المطارات .. لكن أمثالنا من البشر تأتي اليهم القطارات حيث يسكنون . والناس ياحبيبتي مقامات ! لم يكن منظر القطار غريبا علينا ، فقد كنا نراه يوميا في الجبل يملأ المساجين عرباته بالاحجار البيضاء التي يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننا لم نر أبدا قطارا داخل حوش الليمان ، لكننا كنا نرى قضبانا ، وأذكر اننا كنا نسأل عن سر وجود هذه القضبان التي لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتلال البريطاني الذي قام « جنوده » بتشييد هذا الليمان الضخم كان يستخدم القطار في نقل الاحجار من الجبل الى موقع البناء ، اختصارا للوقت والتكلفة حتى تم تشييد الليمان الذي لم يدخله القطار بعد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى **الواحات** ! وكانت هذه أول مرة يخرج فيها القطار من الليمان محملا « ببشر » . وكانت هذه أيضا أول مرة يسير فيها قطار خاص في بطن الجبل عرباته من **زنازين** ، وليست عربات بضائع فكل القطارات التي اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! **هكذا** كان الحال منذ **الاحتلال البريطاني** ، وكان هذا هو الجديد ! ومتى ؟ بعد الاستقلال وتوقيع اتفاقية الجلاء !

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابة السجن ، كان من المألوف عند خروجنا في موكب العبيد اليومي الى الجبل أو العودة منه أن نرى أمام بوابة السجن عددا كبيرا من اهالي المسجونين يلوحون على البعد لذويهم الذين يلمحونهم خلال ذهابهم أو عودتهم فيطمئنوا الى انهم ما زالوا على قيد الحياة . وكنا نرى ايضا الاهالي الذين

يأتون للزيارة ، ونرى باعة الفاكهة والمرطبات منتشرين في المنطقة يقدمون للأهالي بضاعتهم . وكثيرا ما كان طابور العبيد ينتظر مرور القطار المتجه الى حلوان أو القادم منها .. فمن المعتاد ان يتخطى الطابور قضبان مترو حلوان ، وكنا نانس كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا استطاعت عيوننا ان تلتقط صورا غير واضحة المعالم لامرأة أو فتاة . كنا نرى كل يوم خلال ذهابنا الى الجبل أو عودتنا منه صورا من صور الحياة التي لاتتوقف ، فيزداد حبنا للحياة ويزداد تعلقنا بها .. ويتضاعف أملنا في أن نعود اليها يوما .

لكنهم في ذلك اليوم حرمونا حتى من هذه الصورة الانسانية ، المنطقة خالية تماما من أي إنسان سوى طابور طويل من الجنود يقف على الجانبين يبدأ من بوابة الليمان وينتهي عند بطن الجبل ، يحملون المدافع الرشاشة الموجهة الينا نحن الذين نقبع في الاقفاص الحديدية وإقدامنا مكبلة بالقيود الحديدية ! وعلى بابي كل « زنزانة » يقف حارسان في ايديهما المدافع الرشاشة ! والى جوار القطار الذي يسير ببطء شديد تجري عدد من الخيول التي يمتطيها ضباط السجن ، تبطيء احيانا وتسرع احيانا أخرى . وعلى البعد يقف مدير الليمان ومأموره مع أصحاب الكابات الحمراء والأفندية ، ويسير قطارنا نحو المجهول بين قطارين أحدهما قادم من حلوان والآخر متجه اليها وقد أخليا تماما من الناس . ترى كم ساعة تعطلت خلالها اعمال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين اليها ؟ وهل يعرفون أسباب هذا التعطيل ؟ ومن الذي يحملونه مسئولية تعطيلهم عن اعمالهم ؟ وتحمل القضبان التي اعتادت أن تحمل قطارات الاحجار قطار زنازيننا الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة وليس من داخلها . وهكذا سار القطار من ليمان طره حتى محطة مصر بين رمال كلها صفراء . ونباتات كلها شيطانية على سفوح الجبال ، والتلال . محطة مصر التي لا تتوقف فيها حركة ركاب الوجهين البحري والقبلي كانت خالية تماما منهم . وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران من جنود البوليس يمسكون بمدافعهم الرشاشة ومعهم عدد من ضباط البوليس وعدد من « الأفندية » يروح ويجيء على طول الرصيف ، وينتشر هنا وهناك عدد من لابسي الجلاليب واللبد الذين يعرف هويتهم كل الناس ، جميعهم ينتظرون مقدم قطارنا ! على البعد كنا نرى مجموعات مكدسة من البشر ، في انتظار الانتهاء من هذه الحالة الشاذة ليركبوا قطاراتهم . وما أن يقف « قطارنا » على رصيف الصعيد حتى نسمع صيحة مدوية لامرأة تبدد السكون الرهيب الذي فرضوه على الناس والمكان في عز الظهيرة :

— الدستور .. الدستور .

وكأنما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين في انحاء المحطة بمس كهربائي

جانا بأصوات عديدة تعلو فى قوة ، أصوات اهتزت لها مبان محطة مصر .

ـ الدستور .. الدستور ..

وترتفع أصواتنا من كل « **الزنازين** » ـ **نحن والاخوان المسلمين** فى صوت واحد :

ـ **الحرية .. الدستور .. الاحزاب**

وفى لحظة واحدة تختل كل اجراءات الأمن المشددة .. ولايستطيع البوليس المدجج **بالسلاح** ولاصيحات « **الافندية** » من أن توقف زحف أهالينا والجماهير التى تعاطفت معها نحونا ونحن قابعين فى « الزنازين » تنوعت الهتافات .. الدستور .. الديمقراطية ، الحرية للشعب .. وتوحدت أصواتنا بأصوات الأهالى والجماهير وهى تردد نشيدنا الخالد .. بلادى .. بلادى لك حبى وفؤادى .

امتلأت محطة مصر بالجماهير تردد معنا فى حماس وقوة نشيد بلادى . بلادى . وقد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عدد كبير من الاهالى أمام القطار كى لا يتحرك الا على **جثتهم** . وبدأت أغرب مفاوضة فى التاريخ بين أهالينا وبين رجال المباحث العامة . تقدمت زميلة يحيط بها عدد من **الامهات والزوجات والأخوات والأطفال للمفاوضة** ، قالت :

ـ نريد فرصة لمقابلة أولادنا ..

ويقول رجل المباحث :

ـ ولكنى لا أملك ذلك

ـ اتصل برؤسائك

ـ عندى أوامر بعدم الاتصال

ـ الأوامر يمكن أن تتغير .

ـ وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟

ـ لن يتحرك القطار الا على **جثثنا** ..

وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهن يجلسن القرفصاء وهن يحملن أطفالهن واطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبان ، وتقول الزميلة :

ـ **فلتكن مجزرة أخرى من مجازركم العديدة** ..

وتذهب زميلة أخرى الى سائق القطار وتقول له ..

ـ انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحدا .

ويرد السائق :

ـ يا ستى ما تخافيش .. أروح فين من ربنا !

وتعلو أصواتنا من جديد تهتف بحياة الدستور .. وتنشد : بلادى .. بلادى . وتردد الجماهير والاهالى الهتافات والنشيد . والجنود ما زال

مستنقع بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فتــرة قصيرة ويعود اليهـا مــرة أخــرى ويسأل :

– انتو عاوزين ايــه علشان القطار يتحرك ؟

– أن نتحدث لبعض الوقت مع أولادنا ..

– ماشى .. نصف ساعة تكفى .

– وان يسمح لهم باخذ ما اتينــا به من اكل وملابس .

– موافق ..

– وأن نعرف أين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ..

– الى **الواحات الخارجة** .. وسوف يعيشون فى خيــام ..

– وكيف سيعاملون ؟ ..

– ليس أسوأ من معاملتهم فى **الليمــان** ..

– ومن يضمن هذا ؟ .

– هذا مالا أعرفه .. ربمــا زيارتكم لهم ..

– نريــد تصريحا بالزيارة .. غــدا .. او بعــد غــد .

– هذا مالا أملكــه ..

– من الذى يملك ؟

– ادارة السجن ..

– مدير الليمــان موجود ..

ويهمس **رجــل المباحث** فى اذن مدير الليمــان الذى يقول :

– الزيارة حسب اللائحـة .. من يستحق ســوف يسمح لـه بالزيارة

– نريــد استثناء من القاعدة ..

– ساكتب لك تصريحــا ..

– ليس لى ..

– لمن اذن ؟

وتتقــدم احدى الأمهات تحمل على كل يــد من يديهــا **طفــلا** .. تقول :

– **الطفلين دول لازم يشوفوا ابوهم** ..

ويطلب المديــر ورقة ليكتب عليهــا اذناً بالزيارة بعــد أن يسجل اسم الأم واســم زوجها وهو احــد زملائنا « **مصطفى كمال خليل** » . كان قد قبض عليه فى نفس اليوم الذى قبض على فيــه ولم يكن قــد مضى على زواجه اكثــر من **عــامين** . شهد مولــد احداهما ولم يشهد مولد الآخر .

ومضت نصف ساعة امضيناها مع اهالينا فى احاديث مختلفة . ومتصلة والجماهير تحيط بهم تنظــر الينــا بحب وعطف . ربمــا لاول مــرة تتعاطف جماهير الماركسيين والاخوان حول موقف انسانى . فنحن والاخوان مكبلون فى زنازين وراحلون **نحو المجهول** . وربمــا كــان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحــد شعاراتنا الدستور ، الحريــة ، الديمقراطيــة . ومن المؤكــد

انــه خلق تقاربا بيننــا وبين عدد كبير منهم فى النظرة السياسية ـ كمــا سأتناوله في رسائلي المقبلة •

كان منظرنا غـريبا ـ كقـرود او اسود او نمور فـى أقفاص خديدية ـ نتناول الأكل والفاكهة من بين **القضبان** •• المحظوظ منا هو من كانت والدته او زوجته أو اخته هي التي تزوره ، فقـد استطاع ان يأكـل كميـات أكبـر من « طبيخ » البيت الذي كدنا ننساه وقبل ان يصادر لصالح الجميـع •

ومع أن أخي المرحوم « مسعد » كان قـد حضر لرؤيتي وأحضر معه كميـات من الأكل الجاهز ، « كبـاب » مثـلا ، حيث كـان ما زال أعزبـا ، فقـد استطاع أن يحصل لي من الأهالي على كميـات من « المحشى » الذى لـم أكن قـد ذقتـه منـذ سنوات ! ودار بيننــا حوار سريع لم يتسع سـوى لكلمات معدودة عن أخوتي أو زوجتي ، قـال :

ـ ميمي لـم تستطع الحضور ••

ـ مش مهم •• لكن لـماذا ؟

ـ لم التق بهـا منـذ مـدة •

ـ والأخوة ••

ـ كويسين •• كل واحـد فى حاله •

ـ المهم انت عامل أيــه ؟

ـ كلفت بالاتصـال بكم ••

ـ عندك آخـر الاخبار ؟

ناولني علبـة سجاير هوليود « لارج » وقال :

ـ فيهـا كل ما تريدونه •

ـ ثـروة عظيمـــة ؟

ـ أعظم مـا تتصور ••

ومن بين قضبان « **الزنزانة** » كنت اعانقه •• بينمــا كانت صفارة القطار تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهبب » بظلالـه السوداء أروع صورة انسانية شهدتها محطة باب الحديد • وتحرك القطار وارتفعت هتافات جميع المسجونين والاهالي بحياة الدسـتور ، والوحـدة الوطنية ، وما كـاد يغـادر محطـة مصر حتى ارتفعت أصواتنا بنشيدنا الحبيب الى قلوبنـا : بلادى •• بلادى ••

وحين مـرق القطار بمزلقان « السبتية » تبادلت مع **مجـدى فهمي** نظـرات خاصة • **هنـا فى حي بولاق** عاش مجدى فهمي وناضل مع رفـاق أعــزاء من عمـال السكة الحديد وشبرا الخيمة ، وهنـا ولد وعاش مع امـه وأخوته ، ومع اهالي الحى البسطاء لـه ذكريات انسانية • وشارع ابن الرشيد حيـن نعبـر مزلقـان السبتية ، فى حـارة حبيبة الحكيمة عشت أجمل سـنوات حياتي بعـد ان اتيت مع أبي وامي واخوتي من بور سعيد عــام ١٩٣٩ •

كنت ما زلت طالبا فى مدرسة تقع فى نفس شارع السبتية . فى هذا البيت ماتت أمى مبكرا بعد حضورنا الى القاهرة باربع سنوات ، وكنت قد انتظمت فى صفوف المناضلين من أجل مصر وشعبها . يالها من أيام .. وجدت دموعا تجرى من عينى ، وأخرى من عينا مجدى .. قلت له فى محاولة لتخفيف آلاما أعانيها ويعانيها هو أيضا :

ـ فاكر يا مجدى البنت الطالبة فى مدرسة الأميرة فوزية ؟

ابتسم بهدوء وقال :

ـ وهو حد ينسى **احسان** .. كانت آية .. !

كانت « **احسان** » طالبة فى مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التى تقع أمام الورش الأميرية بحى بولاق . وكانت تسكن مع اهلها فى شارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة جبيبة الحكيمة » . لم أكن وحدى الذى انتظر نزولها من بيتها صباح كل يوم وهى ذاهبة الى مدرستها سيرا على الاقدام . كان كثيرون غيرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقان السبتية ، ثم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع الشارع الذى تقع فيه المدرسة أمام الورش الأميرية كانت فتاة بارعة الجمال ، خدودها كحمرة الخوخ ، وقوامها فارع ، وتقاطيع وجهها .. سبحان الخلاق . لم أشعر يوما بان واحدا من المعجبين بها نطق كلمة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحييها بأدب شديد واحترام كبير ، وترد عليهم التحية وابتسامة ودودة تكسو وجهها الجميل :

ـ ياترى اين هى الآن يا مجدى ؟ .

ـ نسيت أسال أمى .

ـ وأنا نسيت أسال مسعد ..

ـ آخر مرة شفتها امتى ؟

ـ يمكن من خمس سنين (٣ فى السجن و ٢ قبل السجن) .

ـ أنا أسعد حظا منك .. شفتها قبل القبض على بأيام ..

ـ اتجوزت ؟

ـ وخلفت .

ـ ولسه حلوه ؟

ـ وأحلى من الأول ..

ـ لازم تجربة حب عظيمة ؟

ـ الحب الحقيقى يضفى على الانسان جمالا .

ـ معنويا .. نعم .. لكن بيولوجيا ؟ .

ويبتسم مجدى ابتسامته الودودة :

ـ طبعا .. الحب يعيد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حد كبير .

وتمضى الدقائق •• أصوات الزملاء لا تتوقف ، تـردد نشيد بـلادى • بلادى • واختلس أنا ومجدى دقائق للحوار • ونجد أنفسنا فى محطـة الجيزة التى كانت خالية تماما من ركاب وجه قبلى ، ورجال البوليس الذين يحملون مدافعهم الرشاشة امتلات بهم ساحة المحطـة • وترتفـع ايـدى الزملاء من بين قضبان أقفاصهم الحديدية تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا •

دقائق معدودة ويغـادر القطار محطة الجيزة • وما أن يدخل محطة الفيوم، ثـم بنى سويف وباقى المحطات حتى اسيوط ، حتى ترتفع أصواتنا بالهتافات والاناشيد • كان القطار يتوقف فى كل محطة ما بين دقيقتين وخمس دقائق على الاكثـر • وعلى كل محطة كنـا نجـد جنود البوليس والمخبرين الـذين انتشروا فى انحائها • والجماهير الواقفـة لتـرى « ما الحكاية » ربما كان قطـار « تشريفـة » ! •• لكن « انفـار » التشريفـة غيـر موجودين تبقى الحكايـة مش تشريفـة بعضهـم دفعـة الفضـول ليـرى بنفسـه لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كـان يعـرف « الحكاية » وهؤلاء هم الذين جاءوا مع الزملاء من المحافظات والقرى والنجوع ، بدليل أننـا كنـا نجـد فى بعض المراكز من يقابلنا بهتافـات معينـة عندما يدخل القطار محطاتها • يعلق مجدى فهمى :

ــ يبدو ان الزملاء نشطين فى الصعيد ••

ــ ولكن ليس فى نفس المستوى ••

ــ نرسل اليهم ملاحظاتنا •••

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أشعة الشمس، وكانت حناجرنا قـد أجهدت الى الدرجة التى جعلتها عاجـزة عـن تأديـة وظيفتها تماما • لقـد أدت مهمتها على طول الطريق من القاهرة حتى أسيوط• حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة •• فشكرا لهـا ولندعها لتستريح بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة • فالطريق من أسيوط حتى محطـة المواصلة ليس به سوى الرمال والكثبان والنباتات الشيطانية المنتشرة على سفوح الجبـال والتـلال •

كاد الليل ان ينتصف عندما وصل القطار الى محطة الواحات الخارجة • لتبـدأ رحلة السيارات الى جناح حيث يقع السجن الجديد ، كانت ليلـة تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتى

٢٨ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٤)

حبيبتي

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصل القطار الى محطة « **المواصلة** » وهي المحطة الوحيدة التي لم نر فيها جنود « التشريفة » وضباطها الذين شهدناهم على كل المحطات التي مر بها القطار من القاهرة حتي هذه المحطة التي تقبع في **قلب الصحراء** • كان في انتظارنا عدد من سيارات الجيش اللورى بها عدد من السجانة وضباط السجون على راسهم الضابط (٠٠٠) وهو من الضباط الكبار في مصلحة السجون،استرعى انتباهنا « **السوط** » الذي يحمله وتوجسنا شرا عاجلا • وحين قال لنا :

ـ أهلا وسهلا ٠٠ « لم نطمئن لترحيبه فلم نرد عليه »٠

كان من الصعب أن نتبين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كان يصعب علينا أن نرى بعضنا البعض بوضوح • بعد فترة امضيناها في « **الزنازين** » جاءوا بعدد من الكلوبات يحملها سجانة حتى نستطيع ان نتبين موقع أقدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العربات وبدأت محاولة نزول أول خمسة أشخاص مكبلين **بالسلاسل الحديدية** ، وكنت من بينهم • سلم « الزنزانة » يبعد عن الأرض بحوالى **متر على الأقل** ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لايزيد عن **ثلاثة امتار** ، ولا يزيد طول السلسلة بين كل زميلين عن **نصف متر** ، معنى هذا أن مجرد نزول الزميل الأول من على ارتفاع متر سوف يجر وراءه الزملاء الأربعة ، الأمر الذي يعرض الجميع ـ على الأقل ـ لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على شريط السكة الحديد أو الأحجار التي بجانبه • كان الضابط يقف الى جوار الزنزانة التي كنت بها وانا أحاول مع زملائي الأربعة النزول منها ، وشهد صعوبة نزولنا ونحن مقيدون **بالسلاسل الحديدية** فنظر الينا حائرا ولم يتكلم • اقترح أحد الجنود أن يأتوا بكرسي ننزل عليه واحدا وراء الآخر ، فقلت بسخرية :

ـ كرسي ما ينفعش ٠٠ عاوزين كنبه •

ضحك الضابط ٠٠٠ بصوت عال وقال :

ـ أو سرير بنسوسته علشان ما حدش ينجرح •

أنست اليه فقلت :

ـ هوه فيه حد مجنون يفكر في الهرب من هنا !

ـ اقتراحك ؟
ـ **تفكوا السلاسل ..**
ـ **ما هي دي المشكلة ..**
ـ **مشكلة!؟ راح نفضل كده على طول ؟**
ـ **لا طبعا .. لكن كان لازم يكون فيه استعداد .**
ـ **استعداد لأيه ؟**
ـ **شاكوش واجنة وسندال ، وحداد ..**

ولأول مرة أدرك أن هذه **السلاسل الحديدية** لاتفك الا بقطعها . السلاسل التى كنا مقيدين بها قبل ذلك بعد أن حكم علينا بالأشغال الشاقة كان فكها لا يحتاج الى كل هذه الادوات . **والقيود الحديدية** التى كانوا يقيدون بها أيدينا كانت تقفل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسئول عن « **الترحيلة** » سواء كانت مكونة من فرد واحد أو عدد من الأفراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لم يفكروا فيما سوف نعانيه خلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسبة لهم لسنا سوى « **بضاعة** » مطلوب « **شحنها** » من مكان الى آخر ، وليس من شأنهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا فى أولئك الذين سيتسلمون « البضاعة » وفى معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضى ـ على الأقل ـ أن يفكروا فى هذا الأمر . ويبدو **أن مأمور السجن الجديد** ... كان يفكر بهذا المنطق « الوظيفى » .

قال وهو يضحك ..

ـ لكن أنتم ازاى عرفتوا تطلعوا عربات القطار ؟
ـ كانت المسافة بين سلم العربة والأرض لاتزيد عن ٢٠ سم
ـ وطبعا هما مش عارفين الوضع هنا ..

ويعلق أحد الزملاء بسخرية ..

ـ تلاقى ولاحد منهم خطى هنا ..

ويقول الضابط بمرارة ..

ـ وايه اللى راح يجيبهم هنا .. من وراء مكاتبهم ..

ويقول زميل :

ـ والا من بيوتهم المكيفة ..

وثان

ـ والا من سهراتهم الحمراء ..

وثالث

ـ وراح يتركوا صفقاتهم المريبة لمين ؟

وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء ويشاركهم الجنود أحيانا .

ويتنبه المامور ، فيقول ضاحكا :
ـ أيه يا جماعة انتو ناويين تحبسونى معاكو والا أيه ؟ •
ويقول زميل :
ـ يعنى •• مفيش فرق كبير ••
وتصدر عن المامور تنهيده ويقول :
ـ والله ما فيه فرق •• المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ••
ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « **المعسكر** » **لاحضار حداد ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية** •
المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها العربة فى حوالى ساعة ذهابا وايابا قضاها المامور فى التعرف على الزملاء • راح ينتقل بين عربات القطار ليتعرف علينا وعلى الاخوان المسلمين • وعند كل زميل أو أخ يدوز حوار سريع :
ـ **الدكتور شريف حتاتة** •
ـ انت قريبى ••
ـ **زكى مراد المحامى** ••
ـ لا انت مش قريبى
ـ ازاى ابقى قريبك وانا نوبى •
ـ **محمد شطا •• عامل نقابى** ••
ـ باين عليك خطر ••
ـ **وليم اسحق فنان**
ـ مغنى ؟
ـ **لا •• رسام** ••
ـ **ضمنا صورة بالزيت** ••
وينتقل الى الاخوان المسلمين
ـ بكباشى **فؤاد جاسر**
ـ بوليس
ـ لا جيش
ـ صاغ **جمال ربيع** ••
ـ طبعا جيش •• !
ـ دكتور **كمال خليفة**
ـ طبيب ؟
ـ لا مهندس
هدوء الصحراء يلف المكان • أى همس يمكن أن تسمعه • وهواء الصحراء يلفح الوجوه المتعبة المنهكة ، ونشعر بان الدم يجرى فيها من جديد وهى تمتزج بصوت المامور الودود خلال تعرفه علينا •

ونحس ببعض الاطمئنان ولكنه مشوب بالحذر . فنحن حتى الآن لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك فى السجن الجديد . لقد مضى الكثير .. وسنعرف كل شيء بعد قليل .

تعود العربة التى ذهبت الى السجن الجديد وبها الحداد ومعه الأدوات اللازمة لقطع السلاسل .. سندان .. ومطرقة .. واجنة . يصعد الى زنزانة رقم ١ بالقطار . ينظر قليلا الى السلسة الحديدية المعلق بها خمسة أشخاص ويوجه كلامه الى المأمور ..

ــ افكهم خالص يا بيه ؟ .

ــ يعنى ايه خالص .. امال نص نص ؟

ــ يا بيه أصل لو فكيتهم خالص راح تاخذ وقت .. يمكن لغاية بكره بعد الظهر ..

وتبدو على وجه المأمور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

ــ مش فاهم ..

ويقوم الرجل بشرح « القضية » . فيقول :

ــ يا بيه .. فى كل رجل « حجلة » ودى تخينه قوى تاخد وقت على ما تنقطع .. لكن السلاسل سهل تاخد وقت أقل ، نقطع السلاسل والا نقطع « الحجلة » ؟

ويرد عليه المأمور بضجر ..

ــ قطع اللى تقطعه .. المهم أنهم ينزلوا من القطر .. ويركبوا العربات .

ــ لكن يا بيه اذا قطعنا السلاسل .. وبعد كده نقطع « الحجلات » مش ممكن استعمالها بعد كده ..

ويصيح المأمور بصوت عال :

ــ والله ما أنا فاهم حاجة .. حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضج الجميع بالضحك .. ويتولى احد الزملاء العمال شرح المشكلة :

ــ « الحجلة » اللى فى الرجل « مبرشمة » .. ولما يطلع مسمار البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسمار برشام آخر ، لكن لما يقطع حلقة من حلقات السلسلة اللى بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن السلسلة راح تبوظ ، وثانيا ان كل زميل سيحتفظ بقطعة سلسلة و« حجلة » فى كل قدميه .. وبعد كده تقطع الحجلة .

ــ آه فهمت .. يا سيدى قطع السلسلة ..

ويصيح ضابط « الترحيلة » .

ــ السلسلة تبوظ .. ودى عهدة على ..

ويضج الزملاء بالضحك .. ويقول أحدهم :

ــ واحنا مش عهده ..

ويتنبه المامور ، فيقـول ضاحكـا :

ـ أيـه يا جماعة انتو ناويين تحبسونى معاكو والا ايه ؟ •

ويقـول زميل :

ـ يعنى •• مفيش فرق كبيـر ••

وتصدر عن المامور تنهيده ويقـول :

ـ والله ما فيـه فـرق •• المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ••

ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « **المعسكر** » **لاحضار حداد ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية** •

المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها العـربة فى حـوالى سـاعة ذهابـا وايابا قضاها المـأمور فى التعرف على الزمـلاء • راح ينتقل بين عـربات القطار ليتعـرف علينـا وعلى الاخوان المسلمين • وعنـد كل زميل أو أخ يدور حوار سريع :

ـ **الدكتور شريف حتاتة** •

ـ انت قـريبى ••

ـ **زكى مـراد المحامى** ••

ـ لا انت مش قريبى

ـ ازاى ابقى قريبك وانا نوبى •

ـ **محمد شطا •• عامل نقابى** ••

ـ باين عليك خطـر ••

ـ **وليم اسحق فنـان**

ـ **مغنـى ؟**

ـ **لا •• رسـام ••**

ـ **ضمنا صـورة بالزيت ••**

وينتقـل الى الاخوان المسلمين

ـ بكباشى **فؤاد جاسر**

ـ بوليس

ـ لا جيش

ـ صـاغ **جمال ربيـع** ••

ـ طبعـا جيش ••• !

ـ دكتور **كمال خليفـة**

ـ طبيب ؟

ـ لا مهندس

هـدوء الصحراء يلف المكـان •• اى همس يمكن أن تسـمعه • وهـواء الصحراء يلفح الوجـوه المتعبـة المنهكـة ، ونشـعر بان الـدم يجرى فيهـا من جديـد وهى تمتزج بصـوت المامور الودود خـلال تعرفـه علينـا •

وتمضي ببعض الاطمئنان ولكنه مشوب بالحذر .. فنحن حتى الآن لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك في السجن الجديد . لقد مضى الكثير .. وستعرف كل شيء بعد قليل .

تعود العربة التي ذهبت الى السجن الجديد وبها الحداد ومعه الأدوات اللازمة لقطع **السلاسل** .. **سندان** .. **ومطرقة** .. **واجنة** .. يصعد الى زنزانة رقم ١ بالقطار . ينظر قليلا الى السلسة الحديدية المعلق بها خمسة اشخاص ويوجه كلامه الى المامور .. :

ـ افكهم خالص يا بيه ؟ .

ـ يعني ايه خالص .. أمال نص نص ؟

ـ يا بيه أصل لو فكيتهم خالص راح تاخد وقت .. يمكن لغاية بكره بعد الظهر .. .

وتبدو على وجه المامور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

ـ مش فاهم . .

ويقوم الرجل بشرح « القضية » ، فيقول :

ـ يا بيه .. في كل رجل « **حجلة** » ودى تخينه قوى تاخد وقت على ما تنقطع .. لكن **السلاسل** سهل تاخد وقت اقل . نقطع السلاسل والا نقطع « الحجلة » ؟

ويرد عليه المامور بضجر . .

ـ قطع اللى تقطعه .. المهم أنهم ينزلوا من القطر .. ويركبوا العربيات .

ـ لكن يا بيه اذا قطعنا السلاسل .. وبعد كده نقطع « الحجلات » مش ممكن استعمالها بعد كده ..

ويصيح المامور بصوت عال :

ـ والله ما انا فاهم حاجة .. حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضج الجميع بالضحك .. ويتولى أحد الزملاء العمال شرح المشكلة :

ـ « الحجلة » اللى فى الرجل « مبرشمة » .. ولما يطلع مسمار البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسمار برشام آخر ، لكن لما يقطع **حلقة** من **حلقات السلسلة** اللى بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن السلسلة راح تبوظ ، وثانيا ان كل زميل سيحتفظ **بقطعة سلسلة** و« **حجلة** » فى كل قدم من قدميه .. وبعد كده **تقطع** الحجلة ..

ـ آه فهمت .. يا سيدى قطع السلسلة ..

ويصيح ضابط « **الترحيلة** » .

ـ السلسلة تبوظ .. ودى عهده على ..

ويضج الزملاء بالضحك .. ويقول إحدهم :

ـ واحنا مش عهده ..

ويرد عليه ضابط الترحيلة :
ـ إنا خلاص سلمتكم لحضرة المامور ٠
ـ لا يا حبيبى انا لسه ما استلمتش حد راح استلمهم فى البنتجن وامضى عليهم هناك ٠
ـ طب وايه العمل ٠٠ انا لازم أرجع **السلاسل** ٠٠ دى عهده يا ناس ٠٠
ويعلق أحد الزملاء ساخرا ٠٠
ـ يبقى مفيش حل الا اننا نموت هنا ٠٠
ـ ما انتو برضه عهدة ٠٠ لازم اسلمكم **أحياء** ٠٠
ويعلق زميل :
ـ **والسلاسل** ترجع سليمة ٠٠
ويعلق آخر :
ـ معادلة صعبة ٠٠ ازاى نحلها !
ومرة أخرى يضج الجميع بالضحك ٠ هذا المكان الموحش الكئيب لم يشهد من قبل بشر يضحكون ٠ ومن الذى يضحك ؟ **المسجون والسجان** ! فى لحظة تحولت المأساة الى ملهاة ! ٠
كان الامر يستحق « **ثورة ادارية** » من أجل القضاء على **البيروقراطية** ٠ بداها فى تلك اللحظة مامور السجن الجديد ٠ قال بحسم وهو يوجه كلامه الى الحداد :
ـ قطع السلاسل ٠
ويقاطعه ضابط « الترحيلة » :
ـ وانا اعمل ايه ؟
يرد المامور وهو اكثر حسما :
ـ راح أمضى لك على وصل باستلام السلاسل ٠٠
ترتاح اسارير ضابط الترحيلة ويضرب « تعظيم سلام » ! وترتفع صيحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة ٠ وقبل أن يبدأ الحداد فى عملة مبتدئا بالزنزانة رقم ١ ٠٠ يأتى صوت من الزنزانة رقم ٤ :
ـ أحنا الاول ٠٠ احنا الأول ٠٠
ويرد المامور :
ـ بالترتيب ٠٠
ويعود الصوت ٠٠
ـ اصل ٠٠ اصل ٠٠ ويضرب اصابع يده اليمنى بعضها البعض
ويضحك المامور ويقول :
ـ بى ٠ بى ٠٠ والا كا ٠ كا !
وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبدد هدوء

الصحراء الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزنزانة ٤ · الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان ينتحي جانبا للتبول ! لقد مضى علينا اكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول · فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فى تلك اللحظات بالذات · يا لهذا الانسان ·· كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة · ونسير الى العربيات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه سلسلة معلقة فى « حجلة » · يمسكها وليم اسحق بيده ويقول ضاحكا :

– هيه دى بقى « الحجلة » الرئيسية يا درش ··

– دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم ·· دول اثنين ·

وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلفها ظلام حالك · سكون رهيب يمزقة بين الحين والحين عواء الذئاب والثعالب ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير الممهد الى السجن ، انوار تبدو من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة ·· يبدو انها « أنوار » السجن فى لحظة تتجسد امامى صور معسكرات النازى · الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم · ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مأمور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدرى هو نفسه ما دبروه لنا · أغلب الظن أن هؤلاء « الفاشست » لن يستخدموا نفس الاساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنا فى الصحراء نهبا للذئاب والثعالب والثعابين ·· وانتابتنى رعشة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، · ولكن أن أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « طريشة » امر لا يمكن تصوره · وكيف يضمد الانسان للدغة « طريشة » اثناء نومه أو سيره أو جلوسه ؟ كيف يقاوم سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال · أى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريقة القذرة الدنسة ؟ · ان كل افران النازى ومعسكراتهم ··· كل أساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية الموت بلدغة « طريشة » ·· والسبب ·· « قضاء وقدرا » !!

وتقف بنا السيارات عند باب السجن ·· مساحة واسعة من الأرض تحوطها الاسلاك الشائكة ·· وأكوام من « الخيام » مكدسة على ارض « المعسكر » · كان فى استقبالنا « ··· » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لنتبين موقع أقدامنا · قال المأمور :

ـ زى ما انتو شايفين .. مخيمات فى صحراء ..
ويقول احد الضباط :
ـ ما حدش يمشي حافي
ويسأل زميل :
ـ الثعابين كثيرة ؟
ـ علمى علمك .. لكن بيقولوا أن لدغة « الطريشة » هية والقبر
ـ الله يطمنك ..
ويتدخل المأمور :
ـ يا جماعة .. دى مبالغات .. ما تخافوش ..
ويقول أحد الزملاء بسخرية :
ـ وطبعا من يموت بلدغة « طريشة » يقيد « قضاء وقدرا » .
ويقول آخر :
ـ يعني بلا مسئولية علي ادارة السجن ..
ويقول المأمور :
ـ يعنى .. ما احنا عايشين معاكو ..
ـ ويسأل زميل :
ـ فى خيم زينا كده ؟ .
ـ لأ .. فى استراحات فى « جناح » ..
ويقول الدكتور شريف حتاته .
ـ وطبعا عندكم كل الأدوية اللازمة .
ويقول المأمور :
ـ والله يا جماعة .. انا لسه جاى هنا النهاردة الصبح .. الأوامر اللي عندى تباتوا الليلة فى المخيمات .. وانتظر أوامر أخرى بكره صباحا .
ويقول زميل :
ـ ده اذا شفنا « بكره » ..
ويتدخل صلاح حافظ ويقول بحسم ..
ـ راح تشوف بكره .. وبعد بكره .. ايه المطلوب منا يا حضرة المأمور ؟
ويعلق المأمور مبتسما :
ـ آهو ده الكلام .. كلام من يكتب عن انتصار الحياة .
ويسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفع أصواتهم تردد نشيد .. شتتونا فى المنافى ، واملأوا منا السجون .. سوف تأتيكم ليالي برقها عصف المنون ..
من بعيد يأتي صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتور شريف حتاته :

يقـول لنـا :

– فيه هنـا اربع خيـام وبطاطين كثيرة ٠٠ وسرايـر خشـب ٠٠ انصبوا الخيـام والسرايز ووزعوا البطاطين ٠

– كـم سرير تسـع الخيمة ٠٠ ؟

– حوالـى ١٢ سرير ٠٠

قلت لشريف :

– اذن خيمة واحـد تسـعنا فنحن ١١ زميلا ٠

– ونحن أيضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا ٠

– والخيمتين الآخرتين نستخدمها «ميس» للأكل ٠ ويقاطعنـا المامور :

– خلو زملاءكم ينصبوا الخيـام والسراير وتعالـوا معايـا ندبـر لكـم أكـل احسن زمانكو جعتوا جـدا ٠

وقام الزملاء بكل همة رغم التعب والاجهـاد بنصب الخيـام ، وذهبنـا مع المامور لتدبير أمـر الأكـل فقد مضى اكثر من ١٢ ساعة لـم نتنـاول خلالها شيئا ٠ كانت الساعة قـد تجاوزت منتصف الليـل وفى حجـرة من الصـاج فى طـرف من أطـراف المعسكر ٠ وجدنا مجموعـة من « الجنال » الكبيرة ونصف « عجـل » ملقـى علـى الأرض واكـوام من « الحطب » ، وشـوال من الفاصوليـا البيضـاء ٠

قال المامور :

– آدى اللحمة اللى قدرت أدبرهـا النهاردة ٠٠ شـوف كـده يا شريف خايف يكون أصابها التلف !

يتقدم اليها شريف ويشمها :

– لـم تتلف تماما ٠٠ يمكن أن تؤكـل ٠

ويقول المامور :

– يا لله بقـى دبروا مسـالة الطبيـخ ٠٠ ومعاكوا كـام مسـجون يساعدكوا ٠

وانادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبيـخ ٠ ويأتـى عـدد من الزملاء والاخوان الذين لهم درايـة بالطبيخ ٠ ويتعاون الجميـع فـى اعداد وجبـة العشـاء ٠ هذا يمسـك بالسـاطور ليقطـع اللحم ، وهنا ينقـد الفاصوليـا بعد غسلها فى « جرادل » الماء ، وهذا يشـعل الحطب وسـط الصحراء ٠ وبعـد وضـع القدور الكبيرة على النـار المشـتعلة ٠ يطمئـن المامور فيقول لنـا ٠٠

– فاضـل مسالة العيش ٠٠

فى مكـان آخـر اعـده المامور بسرعـة ليكـون فرنـا بدائيـا وجدنـا عددا من أجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للعجين ، وعددا من جرادل الماء ٠ ويتكاتف الزملاء مع الاخوان فى اعـداد العيش ٠ مجموعـة تتـولى عجـن

الدقيق ، ومجموعة تعد الحطب فى الفرن ، ومجموعة ثالثة تتناوب الوقوف أمام عين الفرن .

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين . كل فى يده « قروانة » بها الفاصوليا باللحم ، أما العيش فهو كثير من يريد يأخذ :

- الواحد كان ناسى انه جعان .
- لم يكن هناك وقت للجوع .
- ده الذ اكل الواحد كله فى حياته .
- نعمة يحفظها ربنا من الزوال .
- يا سلام لو كباية شاى ..
- يبقى آخر تمام ..
- بس فين الشاى والسكر ؟

ويقول المامور :

- جبت لكم شاى وسكر ..

وترتفع صيحات الزملاء فرحا ..

- بس نعمله ازاى ؟
- ونشربه ازاى ؟
- يا أخى نعمله وبعدين نفكر نشربه ازاى ..

تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء .. ويذهب آخر لاحضار اكواب البلاستك من الخيمة . أربع أكواب فقط ..

- ما تخافوش « جردل » الشاى على النار .. ما حدش راح يشربه بارد .
- المصاروه يشربوا الأول علشان بيحبوا الشاى خفيف .
- والصعايدة يستنوا للآخر ..

ويعلق زميل :

- والبحاروه ؟
- دول بقى وسط

ويضج الجميع بالضحك . ما اقوى الحياة ! بل ما أقوى الانسان هذا الكائن القادر على خلق الحياة فى أى مكان يتواجد فيه . هذا المكان الخالى الا من **الثعالب والذئاب والثعابين والفيران** يتحول فى لحظة الى مكان انسانى .

يدندن **صلاح حافظ** باغنية لأم كلثوم ..

- سمعنا يا ابو الصلح ..

ونتخيل صوته فى هذا المكان الموحش كأنه اعذب من صوت أم كلثوم . يختلط صوته بصوت **محمد شطا** :

- افرش منديلك على الرملة .

وتغلب روح الجماعة ويرتد معه الزملاء :

ـ افرش منديلك على الرملة ٠٠

وينتهز زميل اسكندرانى فرصة ليدخل بصوته ٠

ـ يا بنات اسكندرية مشيكم على البحر غية ٠٠ بدلة الحمام عليكو خلت العرسان تجيكوا ٠٠

ـ اى والله الصيف بدا ٠٠

ـ اسكندرية زمانها مليانة مصيفين ٠٠

ـ احنا لسه فى يونيو ٠٠ يوليو تبقى زحمة ٠٠

ويرتفع صوت المرحوم « **خليل قاسم** » باغنية نوبية ، يرقص عليها **هو وزكى مراد** المحامى ٠ لوحة راقصة نوبية لم نشهدها من قبل وتشد انظارنا واسماعنا ٠ نصفق بايدينا ونردد كلمات اغنية لا نفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها ٠

ونلمح فى الأفق تباشير فجر يوم جديد ، ونسمع صوت مؤذن الاخوان المسلمين ينادى على « الصلاة » ، ويعود الهدوء من جديد ٠ ولأول مرة منذ ما يقرب من ٢٤ ساعة نحس بالأمان ! وننصرف الى النوم ساعات قليلة تشرق بعدها شمس اول يوم لنا فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** ٠ يوم يستحق ان اخصص له الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

اول يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الدقيق ، ومجموعة تعد الحطب في الفرن ، ومجموعة ثالثة تتناوب الوقوف أمام عين الفرن •

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين • كل في يده « قروانة » بها الفاصوليا باللحم ، اما العيش فهو كثير من يريد يأخذ :

ـ الواحد كان ناسي انه جعان •
ـ لم يكن هناك وقت للجوع •
ـ ده الذ اكل الواحد كله في حياته •
ـ نعمة يحفظها ربنا من الزوال •
ـ يا سلام لو كباية شاى ••
ـ يبقى آخر تمام ••
ـ بس فين الشاى والسكر ؟

ويقول المأمور :

ـ جبت لكم شاى وسكر ••

وترتفع صيحات الزملاء فرحا ••

ـ بس نعمله ازاى ؟
ـ ونشربه ازاى ؟
ـ يا أخي نعمله وبعدين نفكر نشربه ازاى ••

تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء •• ويذهب آخر لاحضار أكواب البلاستك من الخيمة • أربع أكواب فقط ••

ـ ما تحافوش « جردل » الشاي على النار •• ما حدش راح يشربه بارد •
ـ المصاروه يشربوا الأول علشان بيحبوا الشاى خفيف •
ـ والصعايدة يستنوا للآخر ••

ويعلق زميل :

ـ والبحاروه •• ؟
ـ دول بقى وسط

ويضج الجميع بالضحك • ما اقوى الحياة !! بل ما أقوى الانسان هذا الكائن القادر على خلق الحياة في اى مكان يتواجد فيه • هذا المكان الخالى الا من الثعالب والذئاب والثعابين والفيران يتحول في لحظة الى مكان انسانى :

يدندن صلاح حافظ باغنية لام كلثوم ••

ـ سمعنا يا أبو الصلح ••

ونتخيل صوته في هذا المكان الموحش كانه اعذب من صوت ام كلثوم : يختلط صوته بصوت محمد شنطا :

ـ افرش منديلك على الرملة •

وتغلب روح الجماعة ويردد منه الزملاء :

ـ افرش منديلك على الرملة ٠٠

وينتهز زميـل اسكندرانـي فرصة ليدخل بصوته ٠

ـ يا بنات اسكندريـة مشيكم على البحر غيـة ٠٠ بدلة الحمـام عليكو خللت العرسـان تجيكوا ٠٠

ـ اى والله الصيف بـدا ٠٠

ـ اسكندرية زمانهـا مليانـة مصيفين ٠ ٠

ـ احنـا لسـه فى يونيو ٠٠ يوليو تبقى زخمة ٠٠

ويرتفع صوت المرحـوم « **خليل قاسم** » باغنيـة نوبيـة ٠ يرقص عليها **هو وزكى مراد** المحامى ٠ لوحـة راقصـة نوبيـة لـم نشهدهـا من قبـل وتشـد انظارنـا واسماعنـا ٠ نصـفق بايدينـا ونـردد كلمـات اغنيـة لا نفهم معناهـا ولكن يطربنا ايقاعها ٠

ونلمح فى الأفـق تباشير فجر يـوم جديد ، ونسـمع صـوت مؤذن الاخوان المسـلمين ينـادى على « الصلاة » ، ويعـود الهدوء من جديد ٠ ولأول مـرة منذ ما يقرب من ٢٤ ساعة نحس بالأمان !.وننصرف الى النـوم سـاعات قليلة تشرق بعدها شمس اول يوم لنـا فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** ٠ يـوم يستحق أن أخصص لـه الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

اول يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٢٥)

حبيبتـــي

رغم احساســى النسبى بالأمان مع بزوغ فجر أول يــوم لــى فــى سجن « جناح » **بالواحات الخارجـة** ، الا انني ــ واحسب أن كل زملائــى أيضــا لـم تغفل عيوننا ســوى **دقائق** . ما أن دخلنـا الخيمة واستقرت أجسامنا على الأسرة الخشــبية ، وسخبنا البطاطين على أجســامنا ، وبعــد تعليقات سريعــة ، ســاخرة أحيانا ، وجــادة أحيانا أخرى ، حتى ســاد الصمت بين الجميــع . لكن الحوار كان متصــلا ، بين كل زميـل وبين نفسه وبينه وبين كل الزملاء ، فى صمت وهــدوء ، يقطعه بين الحين والآخــر عواء يأتى من بعيـد **لذئب أو لثعلب** ثم تعليقــات سريعة للزملاء ..

ــ ذئب أو ثعلب ؟

ــ هــل يبعــد عن هنا كثيرا ؟

ــ لا تخافوا .. الذئاب والثعالب تخشى النــور .

ــ النــور أو النــار ؟

ــ اقترح أن نشــعل نــارا على باب الخيمة ..

ــ نــور المعســكر يؤدى المهمة ..

ويســود الصمت . ثـم تعوذ التعليقــات عندما نسمع العواء مــرة أخرى . وتقـل التعليقــات تدريجيــا حتى تتوقف تماما حتى مع اســتمرار العواء . هكذا ، العواء ليس أكثر من عــواء ، ســواءا كان عــواء حيوانــات مفترسـة أو عواء آدمين ، فتاثيره فى الحــالتين مؤقت . حتى محــاولات الافتراس التى تاتــى بعذ العواء ، يمكن للانســان أن يقاومهــا ويصــمذ فى وجههــا ، لكن ما العمـل مع لدغـة « **الطريشة** » التى تحدث فى لحظـة ودون اى مقدمات ! ربما تـكون خطتهم أن نعامـل هنــا معاملة عاديـة ، ونعيش حيـاة اشـبه بحيــاة المعسـكرات ، ويترك إمـر موتنا **للثعابين والحيات** وخاصــة « **الطريشة** » مـرة أخـرى تسرى فى جسمى رعشــة **شـديدة** !

وتنفذ اشــعة الشمس القويــة من فتحــات الخيمة تبعث الــدفء فى أجسامنا فننفض البطاطين التى كانت تقينــا بــرد ليـل الصحراء .

ــ صباح الخير يا زملا ..

ــ صباح الخيــر ..

ــ صباح أيه دا ظهـر

ويضحك زميل :

ـ ظهر مين .. أنت لسه شفت الظهر في الصحراء ؟ .

ونخرج جميعا من الخيمة علي نهار أول يوم لنا في سجن « جناح » بالواحات الخارجة . ما زالت فكرة الموت بلدغة « طريشة » مسيطرة علي . أنادي بصوت عال علي الرغم مني ..

ـ دكتور شريف .. دكتور صلاح ..

يخرج الأثنان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بدأ على وجههما الانزعاج .

ـ أيوه .. فيه حاجة ؟.

كانا يفكران فيما أفكر فيه وحسبا أن أحدا قد لدغته « طريشة » .

ـ ما فيش حاجة .. بس كنت عاوز اتكلم معاكم ..

ـ يا أخي خضيتنا ..

ـ متأسف .. بس كنت عاوز أطمئن ..

ويرد شريف حتاته بهدوءه المعروف عنه ..

ـ دى بقى مش سياسة .. سيب العيش لخبازينه ..

ـ وأنت الخباز الوحيد هنا .

ويتدخل صلاح حافظ :

ـ وأنا مش خباز يا درش ؟

ـ لا .. نص خباز بس ..

ـ أحسن من اللي ما يعرفش يخبز خالص .

ـ في الطب .. مش في السياسة .

ويأتي الدكتور شريف حتاته بمذكرة الى المسئولين ، بدءا من رئيس الجمهورية حتى مدير مصلحة السجون ، والي الصحف والنقابات المهنية والعمالية المختلفة ، تستنكر نفينا في الصحراء ومحاولة اغتيالنا بواسطة الحيات والثعابين ، وتطلب نقلنا من هذا المنفى ، وحتى يتم ذلك يطلب تزويد المنفى بالأدوية الضرورية .

ـ عظيم يا شريف .. لكن موت يا (...) لا مؤاخذه على ما يجيلك العليق ..

ـ يظهر انها معلقة معاك قوى ؟.

وبهدوء الشديد يستطرد ..

ـ ويا سيدى جبنا معانا .. الأدوية واللقاح .. احنا برضه الـ .. وأقاطعه ضاحكا ..

ـ عارف .. عارف .. انتو القيادة .

ـ أيوه كده . اعترف ..

ـ في الطب بس .

ـ وفي السياسة كمان وحياتك .. بكره تشوف .

ونلمح مأمور السجن ينزل من سيارتـه على باب السجن فنتجه اليـه :
ـ صباح الخير .
ويسلمه شريف المذكـرة :
ـ يا صباح يا عليـم يا رزاق يا كريم .. لحقتوا تكتبوا مذكرات .. ؟
ـ واحنـا ورانـا أيـه ؟
يقرأ المأمور المذكرة ويقول :
ـ حـاضر سارسلها بالبوسـتة . .
لا بوسـته أيـه .. دى عايزه مخصوص ..
ـ وأجيب المخصوص منين ؟
ـ سـجان
ـ بالقطـار طبعـا . .
ـ ده على كيفـه .. ييجى كل اسبوع .. كل اسبوعين ..
ـ يبقـى بالتليفـون . .
ـ أنا راح اتصرف . . اطمئنـوا
ـ نحن مطمئنون .. لكن ..
ـ سأسلمها للمحافظ واطلب منـه أن يرسـلها مع مخصوص فى سيارة .
ويسأل المأمور أسـئلة عديدة عن « الطريشـة » وعن أنـواع الحيات والثعابين التى توجـد فى الصحراء ، وطرق الوقايـة منهـا ، وهـل حقـا ما يقال عن المفعول السريـع لسـم « الطريشـة » . ويعطـى شريف اجابات مبالغ فيهـا ، ونرى الخوف يرتسـم على وجه المأمور فيقـول بخبث :
ـ لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله . .
يرد المأمور ورنة الخوف تبدو فى صوته :
ـ لا بعيد ولا حاجـة .. وأيـه الفرق بين الخيمة ، والفيـلا ؟ ، الاثنين فى صحراء . .
ـ فعـلا .. مفيش فرق كبير .. احسن تسـكن فى شقة عاليـة .
يبتسم المأمور ، ويقول :
ـ لو كان فيها خير ما كان رماها الطير . .
ـ هوه المحافظ مش سـاكن فى فيـلا برضـه ؟
ـ لا يا سيدى .. ساكن فى شقة .. أنا راخـر استعجبت سـايب الفيلا ليـه ؟
ونسمع صرخة عاليـة ، واثنـان من الاخوان المسـلمين يحملون شـخصا ويسرعون بـه نحو المأمور :
ـ لدغتـه طريشـة . . لدغته طريشـة .
ويجرى شريف الى خيمته ويعود سريعـا ومعـه الحقنـة واللقاح .

ـ فين اللدغــة ؟
ـ في رجـله اليمين .
ـ مفيش حاجة يا جماعــة . .
ـ ازاى مفيش ده صرخ باعلى صوته ؟ .
ـ على العموم نديله حقنــة . . لكن مفيش حاجة .
ـ أنت متأكــد . .
ـ طبعا متأكـد . . انا طبيب .
ـ أمـال أيـه الحكاية . .
ـ وهم سيطر عليه . . أغلب الظن . .
الاخوان المســلمون والزملاء يتجمعون في المكـان الذى حدثت فيـــه لدغـة الطريشــة ، ونتجه اليهم وقبـل ان نصلـهم نرى طبيبا من الاخوان يمسـك بقطعة حبـل ويقول :
ـ توهم إنها طريشــة فصرخ .
ـ الى هذا الحـد يفعل الوهـم ؟
ـ وأكثر من هذا . . الموت ذاته ممكن .
وتشهد قطعة أرض من صحراء « جنـاح » بالواحات الخارجـة ، الأخوان المسلمون ، والشيوعيون ، وضباط الســجن وجنـوده ، وهم يجلسـون عليها كتفـا الى كتف يسـتمعون الى الدكتور شريف حتاتــه وطبيب مـن الاخوان يتحدثان عن أسـاليب الوقايــة من الحيـات والثعابين بلغــة واحــدة . والجميـع ينصتون اليهما تمـلأ الثقة نفوســهم ، بما يقولانــه ، لا يفرقون بين الطبيب الاخوانــى ، والطبيب الشيوعــى . حتما سيتشـهد العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذى شهدته هذه القطعة الصغيرة من الصحراء . يوما تصبح فيـه السياسـة علـمامسـخرا لصالح النــاس . كل الناس ، وليس لصالح طبقــة أو فئة . ليس أملا يســتمد مقوماتــه من حتميــة التطـور التاريخــى ، وليس حلما يســتحيل تحقيقـه ، الا بعــد وصـول الانسان الى عصر الحريــة . ولكن ما ســيعجل بـــه هو ان العالم قـد بــدأ مرحـلة خطر فنـاء البشريــة كلها . والأمـل أن يوحـــده الخطر الداهـــم مثلما وجـد الاخوان المسلمين والشيوعيين ، والضـباط ، والجنــود أمـــام خطـر « الطريشة » ذات يوم من يونيو عـام ١٩٥٥ ، والحـــلم أن تكون وحـدة دائمة ، وليســت وحدة مؤقتــة كتلك التى حدثت ذلك اليوم ! .
كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحـا حين إنتهــى الطبيبـــان ، الاخوانى ، والشيوعــى من حديثهما ، حين انصرف الجميـع وقـد ســاد بينهم جـو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشـترك لمواجهــة الجيـــاة المشتركة فى هذا المكـان النائـى عن كـل شئ الا الرمـال الصـفراء ، والحيوانات المفترســة . والثعابين . حقــا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

لخاصة ،، ويعيشــون معــا فى قســم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ،
ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكــل ، والوقايــة ، والعلاج ، واتفــق
على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن ، وعلى عمل خيمــة
كمستشفى يديرهــا الطبيبــان : الإخوانــى والشيوعــى ، فضــلا عــن
طبيب السجن الذى يأتــى بضعة ســاعات فى النهـــار فقط . ولم يكــن
من الغريب أن تتكون صداقــات قوية بيننا وبين عــدد كبيــر مــن
الاخوان المسلمين ، بعضهــا صمد أمام محاولات كثيرة لضربهــا حتى
وصل الأمــر الى حدوث انقســام بين الاخوان المسلمين فى جنــورة مؤيديــن
للثــورة ، ومعارضين لهــا ، وسوف اخصص لهذه المســالة حديثــا
آخــر فى رسائل مقبلة .

كان صباح أول يوم لنــا فى سجن جناح مشحونــا الــى حــد اننــا نسينا
أن أقدامنــا ما زالت يحيط بهــا « **الحجلات** » **وتجر سلاسل حديدية** .
وكان وليــم إســحق أكثرنــا حماســا لسرعة ازالــة تلك القيــود ،
فقدماه النحيلتــان تحمل « بالعافيــة » جســمه الهزيل . همس فى أذنــى
ضاحــكا . .

ـ أيــه يا درش أنت نسيت « الحجلة » (*) الرئيسية ؟

ـ أبدا يا وليــم . . لكن يبدو أن تلاحق الأحداث جعلنا ننسى . .

ـ تبقــى فقدت الاتجــاه .

وأذهب معــه الى مامــور الســجن نطلب منــه سرعــة فــك بقيــة
قيودنــا . ويعطى المأمور أوامــره الي الحداد فى الورشــنة الصغيرة التــى
تقــع فى أحـــد أركــان السجن . وبعد أن ينتهــى الحداد من مهمته نرى
أمامنــا تــلا من **السلاســل الحديدية** . ويذكرنــى مشهد هذا التـــل الحديدى
بمشهد مماثــل لــه فى **ليمان طــره** .

فى **مايو ١٩٥٥** ـ قبل رحيلنــا الى الواحــات بشهر واحـــد ـ أعلن
المشير عبد الحكيم عامــر فى اجتماع ضخم شــهده كــل المســجونين فــى
ليمان طــره وابو زعبــل ، وعـــدد كبير من ضباط قيــادة الثورة ومصــلحة
الســجون ، الغــاء القيــود الحديدية بعـــد أن قــام بحــركة مسرحيـــة
بقطـــع سلاســل أحــد المسجونين بالمطرقــة والأجنة . ولــم نــدع نحــن
لحضور هذا الاجتماع ، وسمعنــا عنه وما جــرى خلاله ونحــن فــى
الحمام العمومى لليمان نستحم حيث كان علينــا الدور فى ذلك اليــوم :
لــم نتمن فى حياتنــا طـــوال فتــرة الســجن شيئا كما تمنينا ان نخلــع
عنــا هذه القيــود الحديدية كباقــى خلق الله من المسجونين العاديين ، فقــد

(*) هى الحلقة التى توضــع حول الساقين وتربط بهما سلسلة وزنهــا
٣ كيلو جرام تعلق فى وســط جسم المسجون بحزام .

كنا شبه متاكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديدية لن يشملنا ٠ كانت أمنية غالية أن نستحم ولو مرة واحدة دون أن نجر القيود الحديدية فى أقدامنا ، بعد الجهود المضنية التى تبذلها عند خلع الملابس ثم عند ارتدائها بعد الاستحمام ٠

كنا قد تعودنا على السلاسل الحديدية فى أقدامنا ، وعلى صوت رنينها أثناء قيامنا أو جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ، لكننا كنا نعانى عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أثناء ارتدائها ٠

عند خروجنا من الحمام **والسلاسل الغليظة** فى أقدامنا شهدنا منظرا غير مالوف فى الليمان ٠ أعدادا كثيرة من المساجين يجرون ويمسكون بأيديهم القيود الحديدية التى كانت فى أقدامهم ، يصيحون بفرح شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود ٠

صاح أحدهم فينا :

ــ لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟

ــ القرار لا يشملنا ٠٠

ــ هذا ظلم ٠٠ ولماذا ؟

ــ السياسيون لا يشملهم القرار ٠٠

ــ الاخوان خلعوا القيود ٠

ــ الاخوان شملهم قرار الافراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا ٠٠

ــ الأمر مختلف ٠٠

ــ هل لديك أخبار ٠٠ ؟

ــ لا ٠٠ ولكنه المنطق ٠٠

ــ نحن استثناء ٠٠

ويصل لاسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحس بالأمان ، صوت الضابط الصديق (٠٠٠٠) :

ــ أيه يا جماعة ما خلعتوش الحديد ليه ٠٠ ؟

ــ هل يشملنا القرار ٠٠

ــ طبعا ٠٠ أنا كنت خايف زيكم ٠٠ القرار يشملكم ٠٠

وكانت فرصة كبيرة جرينا الى ورشة الحدادة ٠ بضربة الحداد الماهر بمطرقته قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع حجلة القدم اليمنى ٠٠ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بأيدينا وجرينا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، والقينا جميعا بهذه القيود الكريهة الى أرض العنبر ٠ قيد وراء قيد لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح اليوم مع أقدام العبيد ٠

• ألم أقل لك يا حبيبتي إننا محظوظون ؟ • **قيدونا بالحديد مرتين** ، مرة عندما صدرت **ضدنا الأحكام** ، ومرة عندما رحلونا الى سجن « **جناح** » ، وخلعناها **أيضا مرتين** • وعدد شهور السنة فى الأحكام القضائية عند كل المسجونين ٩ شهور فقط •• أما عندنا فشهور السنة ١٢ شهرا بالتمام والكمال • وكل المسجونين كانوا يخرجون من السجن ، فى مناسبات أعياد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولم يخرج أحد منا فى أى مناسبة من هذه المناسبات • ولانهم « يعشوقننا » ومغرمون « صبابة » بنا فقد كانوا يستضيفوننا سنوات بعد قضاء مدة العقوبة ! وفوق هذا كله فان المسجونين العاديين ـ وهم عدد قليل ـ الذين رحلوهم معنا الى الواحات وهم من الصناع ـ كانت مدد أحكامهم لا تقل عن ٢٠ سنة ! واغلب الظن انهم سيموتون معنا فى الصحراء قبل انتهاء مدة عقوبتهم ، وربما يدفنون مثلنا فى الصحراء • هكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنا **قيودنا الحديدية** ، وقف بعض الزملاء يتأملون هذا التل من الحديد ، كيف ننظر نحن اليه ، وكيف ينظر اليه الضابط الذى فى « عهدته » هذا الحديد • لقد رفض بكل اصرار أن يأخذ أحد الزملاء قطعة من تلك السلاسل الحديدية ، كى يحتفظ بها ، فهى « عهدة » ، ولازم يسلمها •

صوت يصيح من بعيد • •

ـ الفطار يا زملا •• الفطار ••

ويحمل كل منا « **قروانته** » لاستلام الفطار •

ـ فول مدمس •• **يا للروعة** !

ـ فول مدمس حقيقى •• مش سوس مفول •

ـ ده فول مدمس زى بتاع بره ••

هذا الفول المدمس مثل الذى كنا نأكله قبل السجن ، وليس سوسا مفولا كما كنا نسميه خلال سنوات السجن الماضية • كان الفول مسلوقا وليس مدمسا • وكانت الفولة الواحدة بها عدد لا يحصى من ثقوب السوس • وفى كثير من الأحيان كنا نضبط السوس متلبسا بجريمة استمراره فى الحياة رغم تعرضه لأقصى درجات حرارة غليان المياه ، كان بعض الزملاء يرمون السوس « بقرف » ، وكان البعض الآخر يأكله « بلذة » •• ويدور الحوار التلقيدى عند كل أكلة فول :

ـ أيه القرف ده يا زميل ؟ •

ـ ده بروتين ••

ـ فعلا أيه الفرق بين لحم السوس واى لحم آخر !

ـ زى الفرق بين لحم الارنب ولحم القطة • •

ـ وهو فيه فــرق ؟
وكان الحوار ينتهى دائما بجملة تقليديــة :
ـ على أى حــال مسألة غير مبدئيــة يمكن الخلاف حولها ٠
بعد أن تناولنــا افطارنــا الشهى من الفول المدمس الحقيقــى ، بالزيت والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :
ـ الشــاى يا زملا ٠٠
ـ شــاى ٠٠ شــاى ٠٠ !
ـ ايــه الحكايــة ٠٠ ؟
ـ دى شــورزة ٠٠
ـ ياالهنــا ٠٠
ـ طب ونشرب الشاى فى أيــه ٠٠
صوت حاسم يقول :
ـ كل واحد يغسل « قروانتــه » ويشرب فيها مؤقتــا ٠٠
ويهجم الزملاء على « جرادل » الماء ٠٠
ـ الميــه قليلة جدا ٠٠ مستحيل أفرط فيهــا دى علشــان طبيــخ الغذاء ٠
ـ شويــة صغيرين ٠
ـ ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل ٠٠
ـ يا أخى نجيب غيرهــا ٠٠
ـ أمشى ٥ كيلو ٠٠ لغاية العين علشــان اجيب غيرهــا ٠
ـ طب وايه العمل : عايزين نشرب شــاى ٠ ؟
ـ مش شأنــى : اتصرفوا ٠٠
ويأتــى الصوت الحاسم مــرة أخرى :
ـ مين يتعهد بمــلء الجرادل بعد ما تشربوا الشــاى ٠
ـ كلنــا ٠٠ كلنــا ٠
استهلك الزملاء المــاء المخصص للطبــخ فى غسيل القروانــات كى يشربوا فيها الشــاى ولــم يتحرك بعد شرب الشاى لمــلء الجرادل بالميــاه ويعلو صوت غاضب :
ـ يا زملا املــوا الجرادل ميــه ٠٠
ـ بس نستريح شويــة ٠
ـ انت عاوز تضيع طعم الشــاى ٠
ويــزد الصوت :
ـ طيب مفيش غــذا ٠٠ وأنا راح أطبخ ازاى ؟
ـ لســه بدرى على الغــدا ٠٠ الساعة لسة ١٢ ٠
ويرتفع الصوت الحاســم مــرة ثالثة :

ـ عايزين ١٠ جرادل ميـه ٠٠ كل زميلين ياخدوا جردل يملوه ٠٠ من فضـلكم ٠٠

ويستعد ٢٠ زميلا اسيرة جلب المياه من العين التى تبعد عن السجن خمسة كيلو مترات ٠ ويدور حوار خلال المسيرة :

ـ يعنى علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ كيلو متر ذهابا وايابا ٠

ـ وطبعا فى العودة راح يصفى الجردل على النص ٠٠

ـ يعنى كل اتنين يستحموا بنص جردل ميـه ٠٠

ويقول أحد الزملاء ضاحكا :

ـ يا ترى مين صاحب نكته « يحموك فى كستبان » ٠٠

ـ دى مـا بقتش نكتـه ٠٠

ـ لازم نشوف حل لمشلكة الميه دى ٠٠

ـ وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلا لم تكن مشكلة المياه هى المشكلة الوحيدة وان كانت اهم المشاكل التى واجهتنا فى السجن الجديد ٠ لقد كان كل هم المسئولين الكبار ـ بعد اضراب المسجونين فى ليمان طره ، أن ينقلونا فورا قبل أن « يستفحل » خطرنا ٠ فاختاروا هذه القطعة من الأرض فى قلب الصحراء ٠ بعيدة عن مصادر المياه ، واحاطوها بالأسلاك الشائكة ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والعدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعددا من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : ابنوا سجنكم بانفسكم ! لقد حسبوا اننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فتدفننا رمالها ونحن أحياء أو على شفى الموت عطشا أو جوعا ٠ وقررنا أن نخوض معركة استمرار حياتنا ٠٠ قررنا أن نبنى فى قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لناكل فيها ونشرب ، وانما كى نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة ٠

وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا الأول فى الصحراء ، وجزءا كبيرا من ليل ذلك اليوم فى الأعداد للمعركة ، معركة استمرار حياتنا ٠ وكان اليوم التالى هو يوم بدء المعركة ٠

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٢٠ يوليو١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٦)

حبيبتـــي

كان السؤال المطروح ونحن نعد للمعركـة ، هو : من ايـن نبـدأ ؟ وكانت الاجابة : أن نبـدأ بالبنـاء ، بنـاء مقومات استمرار حياتنـا فـي هـذه البقعة النائية فى **قلب الصحراء** فهى ليست معركة رفـع مستوى المعيشـة داخل السجن ، مثل المعـارك التى خضنـاهـا خلال سنوات السـجن السابقة ، وانما هى معركـة **الحد الأدنـى للحيـاة ذاتهـا** ، وقررنـا أن نبـدأ كمـا بـدأ الانسان الاول حياتـه الى **جوار المـاء** ٠ واذا كنـا لا نملك حريـة الانتقال الى جانب عين الميـاه الوحيـدة فى كل هـذه المنطقـة من **الصحراء** ، فنحن نملك القدرة على نقـل الميـاه الينـا ٠ وكيف ؟ ان استمرارنـا فى نقـل الميـاه بواسـطة « الجرادل (وبعـد **مسيرة ١٠ كيلو مترا** ذهابـا وأيابـا) ، لا يجب أن يستمر هكذا ٠ يجب أن تصـل الينـا الميـاه بواسـطة مواسـير ، ولكن هذا هـدف بعيـد ٠ يستغرق تحقيقـه شهرين على الاقـل ، يتوفر خلالهما المواسير ، والخبـرة الفنيـة ، وخـلال هذين الشهرين يجب أن يتـم نقـل الميـاه اللازمة لطهـى الطعام ، وخبـز العيش ، وغسـل الملابس ، والاستحمام ، فضـلا عن رى مساحة من الأرض نزرع فيهـا خضروات ، بأقل جهـد ممكن ٠ اذن لابـد من الحصـول على « طلمبـة » ميـاه تسـحبها من العين العميقة الذى ينزل الى حافتهـا الزملاء كى يملأوا الجرادل ، ثـم يتناولها زملاء آخرون ، وهؤلاء بدورهم يناولونها الى مـن يحملهـا الـى السـجن ، وعـد المأمور بشراء طلمبـة ميـاه خلال اسبوع على الأكثـر ونفذ وعـده ٠ وكانت فرحتنـا كبيرة حين تـم تركيب هذه الطلمبة ٠ وفرنـا المجهـود الذى كنـا نبذله فى النزول الى عين الميـاه ، ثـم الصعود منهـا ، وزال خطـر الوقوع فى العين عند فقـد توازن من يقوم بملـىء الجرادل ، فضـلا عن اختصـار عـدد الزملاء الذين يقومون بنقـل الميـاه الى النصف ٠ اذن نسـتفيد من هذا النصف الذى توفـر بعد تركيب الطلمبة فى اعـداد برأميـل لحفـظ الميـاه بـدلا من الجرادل ٠ سرق الزملاء ٤ براميـل فارغـة من زيت السـولار الذى يستخدم فى ادارة ماكينـة الكهربـاء المخصصـة لانـارة المعسـكر ٠ وكانت مشـكلة عندما اكتشـف ملاحظ ماكينة الانـارة سرقـة البراميـل الأربعـة :

ـ صـاح الملاحظ :

ـ رحت في داهيـة ٠٠

ـ ليـه ٠٠ ما هـي البراميل موجودة ؟

ـ ما تنفعش بعد ما قطعتوهـا ٠٠

ـ معلهش ندفـع ثمنهـا ٠٠

ـ مش ممكن ٠

ويذهب الملاحظ الى مأمور السجن الذى يأتـى لمعاينة موقـع الجريمة :

ـ يا جماعة البراميـل دى عهـده ٠٠

ـ تانى ؟ ٠٠ البراميـل عهدة ٠٠ والسلاسـل الحديدية عهدة ٠٠

ويقول زميـل آخـر :

ـ وهو احنـا مش عهـدة برضـه ؟

ويرد المديـر :

ـ طبعا أنتم فى عهدتـى ٠٠

ـ والعهـدة ٠٠ ألا تحتاج الى صيانة ؟

ـ طبعا ٠٠ وهو أنـا قصرت فى حاجة ٠

ـ فى المقومات الأساسية لحياتنـا ٠

ـ وأيـه طلباتكم ؟

ونضع أمامه قائمة الطلبـات الضرورية ، مواسـير ميـاه وحنفيـات وعـدد من الصهاريـج لتخزين المياه ٠ ومطبخ مجهز بالحد الأدنـى بأدوات الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تسـتخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنـى من الأدوية والأجهزة الطبية والاسرة ٠

ويعلق المديـر ٠٠

ـ انتم مش شايفين انها طلبات كثيرة جـدا ٠٠

ـ دى الحد الأدنـى التى تسمح لنـا باستمرار الحيـاة ٠

ـ بس تنفيذهـا ياخد وقـت ٠

ـ هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟

ـ طبعا مش ممكن ٠٠ سأرسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة ٠٠

ـ وطبعا المصلحة تعمل مناقصة ٠٠ و ٠٠

ـ ما انتوا عارفين الاجراءات ٠٠

ـ لكن ممكن اختصارهـا ٠٠

ـ أزاى ؟

ـ نحن نثق فى قدرتك على حلها بسرعـة ٠

ـ طيب ساعدونـى ٠٠

ـ مثلا ٠٠ تشترى لنا بعض اللوازم الضرورية ٠٠ مثل المواسـير والحنفيـات ٠٠

ـ والباقـى ٠٠ ؟

ـ الصهاريج والطلمبات من القاهرة ٠٠

ـ راح تاخذ وقت ٠

ـ نقترح ان تسافر بنفسك الى القاهرة ٠ ٠ وتوصى ، بعد عرض الوضع على المسئولين ٠٠

ويضيف زميل :

لا تنس انك فى النهاية المسئول عنا ٠

ويضيف آخر :

ـ واذا حدث شئ ٠٠ فستكون مقصرا فى نظرهم ٠٠ لانك لم تنبيهم ولم تطلب منهم شيئا ٠٠

ويقتنع **المأمور** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد أن يشترى لنا مواسير وحنفيات فى نفس اليوم ٠ ونتفق معه على حل عدد من المشاكل ٠ **زيارة الأهالى** ٠ ارسال الخطابات واستلامها ٠٠ السماح لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والسجاير والسكر والشاى والكتب ٠

ويقول المأمور ضاحكا :

ـ والستات والبنات ٠٠

ـ لا دول نروح لهم قريبا ٠ ٠

ـ ان شاء الله يا أولادى ٠ ٠

يقولها الرجل بكل صدق وحب ٠

وقبل أن تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين لتفريغ اللورى المحمل بالمواسير والحنفيات ٠ **الفنيون** من الاخوان يقترحون عمل دورة مياه لنا ، واثنتين لهما ، وثالثة للمسجونين ، ورابعة للاستخدام العام ٠ ويبدأ العمل فى فجر نفس اليوم قبل أن تلتهب رمال الصحراء بأشعة شمسها القوية ٠ وتخرج مجموعات من الزملاء والاخوان الى **موقع العمل** ٠ وفى نشاط وحيوية يبدأ العمل ويستمر حتى الثانية عشر ظهرا ٠ أشعة الشمس قوية لم نعد نحتملها ، والرمال تحولت الى كتل من اللهب ، تلسع أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب غزيرا من اجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى يقود العمل :

ـ الحمد لله ٠٠ لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية ٠٠

ـ كم من الوقت تستغرقه عملية مد مواسير المياه ؟

ـ هذا يتوقف على استعدادكم ٠ ٠

ـ نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل ٠

ـ عدا فترة الظهيرة ـ من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد الظهر ٠

ـ موافقـــون • •
ونتفق على تنظيم ورديـات ، كل ورديـة تعمل ٧ ساعات فيكـون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة •
ـ اذا نفذنـا هذا بدقـة نستطيع أن ننجز عمليـة مـد مواسير الميـاه فى أسبوع واحـد •
ـ وهـل نستانف العمل اليوم فى الثالثة بعد الظهر • •
ـ اقترح ان يبدأ نظـام الورديات من اليوم بعد الظهر • •
ـ سنحتاج الى كلوبات للانـارة ليـلا • •
ويتعهـد زميـل كهربائـى بتدبير أسلاك كهرباء ولمبـات وأخذ توصيلة من ماكينـة الكهربـاء • •
ويتسـاءل زميـل :
ـ كيف وانت محتاج لآلاف الأمتـار ؟
ويضحك الزميل الكهربائـى :
ـ يا أخى المخزن مليان اسـلاك •
ـ وكيف ستحصل عليهـا ؟
ـ ده شغلى بقـى •
ويذهب فى نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليـة اتفاقـا من بنـد واحـد • أن يستعمل اسـلاك الكهرباء التـى عهدتـه لتوصيل الكهرباء الى موقـع العمل ، وبعـد الانتهـاء من عمليـة مـد مواسـير المياه ، يتعهد باعـادة الأسـلاك ويلفها على البكـرة كما كانت • ثـم يقـول ضاحـكا :
ـ هذا والا • •
ويرد الملاحظ :
ـ لا يا عم • • موافق • • كفاية حكاية البراميل •
وعند عودتنـا الى السجن يستقبلنـا الزميل **احمد خضر** ، العامل النقابـى ، ورئيس الطهاة فى السجن عند الباب قائـلا :
ـ تتصوروا راح تتغدوا أيـه النهاردة ؟
ـ راح يكون أيـه يعنى ؟ • عدس او فـول •
وجبة الغذاء العاديـة فى السجون أمـا عدس واما فـول • او كما كنـا نطلق على العدس اسـم « **العدس المزلط** » أى العدس الملوء زلطـا ، وعلـى الفـول اسـم « **السوس المفـول** » • •
ـ طب واذا أكلتـوا طبيخ • •
ـ طبيـخ !
ـ طبيـخ !
ـ وده معقـول ؟

- وإذا حصــل ؟
وينـدفـع الزميل مسئول « الحياة العامة » أعطيك علبة ســجاير هوليود
- لارج • ؟
- لا •• صغيرة ••
- راح تتغدوا •• فاصوليا بالدمعة وأرز وطبعا لحمة ••
- لحمة وفاصوليـا ورز •• مرة واحدة ••
- ده حلم ولا علم يا ولاد ••
ويقف أحمد خضر على أطـراف أصابعه فى محاولة يائسـة ليكــون رأسـه على ارتفــاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقـول بصوته المسرسـع ولسانه الألدغ :
- يـا زميل أنا لا « أعلف » • أعرف •• المستحيل ••
ويرد عليه الزملاء •• عالفين « يعني عارفين » •••
وأضحك مع الزملاء •• ويقول أحمد خضر :
- طب وانت بتضحك ليـه يا درش •• الحال من بعضه ••
- الدغ صحيح •• لكن طولك مرتين ••
ويجرى الزملاء وراء أحمد خضر الذى يعطى كل زميـل نصيبـه من اللحمـة والفاصوليـا والرز • كله على بعضـه فكل زميـل لا يملك غير قروانـه واحدة يستخدمها فى الأكـل وفى شرب الشاى وعند الاستحمام ، بـل وفى نقـل الرمال من الأرض إلى « القفـة » أثنـاء العمل فى الموقـع عند عين الميـاه • بعد قليـل يرتفـع صوت أليف محبـوب ننتظره دائما بعـد كل وجبــة طعام ••
- الشـاى يا زملا •• الشـاى ••
ونجرى نحو نبـع الشاى • وتثور نفس المشكلة ••
- مستحيل أفرط فى نقطـة ميـه •• الميـه دي علشـان طبيخ العشـا
- يا أخـى نجيب لك غيرهـا ••
ويأتـى صوت صلاح حافظ :
- يا زملا نضفوا القروانـة بشوية رمل ••
- الشاى « يكرف » من ريحة الطبيخ ••
- الرمل يضيـع الريحـة ؟
- على مســئوليتك ؟
- جرب •• لن تخسر كثيرا ••
ويجرى الجميـع الى أقرب مكان بـه رمال ساخنة ينظفون القروان ، ثـم يعودون لأخـذ الشــاى •
- متى نشرب الشاى زى البقى آدمين ؟ •
- منظر الشاى فى الكبايـة الزجاج • رائـع ••

ـ ليه طعم الشاي في الكباية أحسن من الفنجان ؟
ـ فعلا ٠٠ ليه ؟

الجميع يوافقون ٠ ولكن لا أحد يعرف لماذا ؟

وننصرف لقضاء القيلولة فى الخيام ٠ الاحساس بالراحة بعد العمل المضنى ممتع ٠ هؤلاء المتخمون بالراحة لا يحسون بها ، يمتصون دماء الكادحين ويشربون عرقهم وهم في مكاتبهم المكيفة ، ويعقدون الصفقات وهم فى أسرتهم الوثيرة ، ويصرفون الآلاف على موائد القمار دون أن يختلج عرق واحد من عروقهم ٠٠ حتى عقولهم لا تعمل فقد استبدلوا بها أموالهم التى يشترون بها العقول كمايشترون الأبدان :

يجب الا ننام قبل أن نقرأ ٠٠ هذا ما تعودنا عليه ٠ فهل نستطيع القراءة قبل نوم القيلولة ، وبعد هذا العمل المضنى الذى قمنا به منذ فجر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسكت بكتاب لأقرأ فيه وأنا ممدد على سريرى الخشبى ٠ ورغم جفاف مادة الكتاب فان ذهنى كان يتجاوب معها بشكل غريب ٠ هل يمكن أن يكون جسمى مهدودا الى هذا الحد ويظل الذهن متوقدا ؟ ورحت أستكشف ما فى داخلى ! أحس بأمان الى حد كبير بعد أقل من يومين من تواجدى فى هذا السجن ٠ فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة **التحدى** من أجل استمرار حياتنا بالعمل الجماعى ، فضلا عما نلاقيه من معاملة انسانية من المأمور والضباط ، كل ذلك ابعد احتمالات تدبير **مؤامرة لاغتيالنا** ٠ حتى لدغة « **الطريشة** » لم نعد نفكر فيها كثيرا ٠ بل لقد كدنا ننسى خطرها تماما ٠٠ حقا صوت الحياة هو الأقوى ٠ وبقدر ما يرتفع صوت الحياة فى داخل الانسان بقدر ما يتوقد ذهنه وينشط حتى ولو كان جسمه مجهدا متعبا مكدودا ٠

اذكر أن عينى لم تغف أكثر من عشر دقائق ، قمت بعدها وقد دب النشاط فى جسمى الذى كان متعبا منذ أقل من ساعتين ٠ نداء العمل ٠ هذا هو أحد أشكال صوت الحياة التى قررنا ان نبنيها بسواعدنا الفتية ٠ كان النداء ٠٠ دقات رتيبة على جردل ماء تتوقف لحظة ٠٠ ثم تعود مرة أخرى ، ٠ وما أن تتوقف دقاته المرة الثالثة حتى يكون جميع الزملاء قد انتظموا فى طابور العمل ٠ البسمة على الشفاه ، والتحدى يفيض على الوجوه انسانية ٠ كنت أرى كل الزملاء ، وأحس بهم ، من خلال ما أراه فى نفسى وأحسه ٠٠ عائذا اراهم أكثر نشاطا وحيوية ، وأكثر احساسا بالأمان ٠ أغلب الظن أن ما دار فى ذهنى خلال فترة قيلولة الظهيرة هو نفس ما دار فى أذهانهم ، كانت هذه الوردية الثانية فى اليوم الثانى من وجودنا فى سجن الواحات التى تذهب من أجل جلب المياه : خلال سيرنا وجدنا الزميل الكهربائى ومعه

ملاحظ ماكينة الكهرباء ، و٤ مساجين يعملون فى مد أسلاك الكهرباء ، قال للزملاء الذين يحملون الكلوبات ٠٠

ــ مفيش ثقة فى كلامى والا ايه ؟ ٠٠

ويرد قائد المسيرة :

ــ ابدا ٠ كلنا ثقة ٠ بس من باب الاحتياط ٠٠

ــ على أى حال اطمئن ٠٠ راح تكملوا الشغل على نور الكهرباء ٠٠

عندما تمتلىء نفس الانسان بالثقة يصنع المعجزات ، الثقة فى النفس تمنح الإنسان قدرة هائلة على العمل والخلق والابتكار ٠ وهذا الذى أراه يجرى وأشارك فيه أكبر دليل على ذلك ٠ لا أظن أن الذين القوا بنا فى هذا المكان من الصحراء البعيد عن الماء ، مصدر الحياة ، كانوا يحسبون أننا سوف نتغلب على هذه المشكلة وبهذه السرعة فى التفكير والتخطيط والتنفيذ ٠٠

الساعة تقترب من العاشرة مساء والعمل لايزال مستمرا بنفس الحيوية والنشاط ٠٠ ونلمح من بعيد الوردية الثالثة فى طريقها الينا ٠ يصيح صوت :

ــ الوردية الثانية تسلم للوردية الثالثة ٠٠

وترتفع أصوات ٠٠

ــ سنواصل العمل معهم ٠٠

ــ لسه عندنا ما نعطيه ٠٠

وتهتف أعماقى فى صمت : ابدا لن يتوقف عطاؤكم يا أبناء مصر البررة ومصريا أحبائى معطاءة ، أعطت للانسان مالم تعطه أى بلد آخر فوق هذا الكوكب ، حكام مصر اليوم يا احبائى لا يعبرون عن وجهها ، فلا تكترثون لما يفعلونه ضدكم ٠ مصر الغد ، هى مصر الشعب وسلطته : هى مصر الكادحين والعارقين ٠ انتم مثلى ترونها فى الأفق ، البعيد القريب ، الحلم الامل ٠ فاهتفوا من الاعماق أن مصر قد أصبحت للشعب ٠

لا أعرف كم مضى من الوقت حين توقفت عن العمل وأخذت اتأمل وجوه زملائى وهم يعملون ولا أعرف ايضا كم من الوقت كانت تاملاتى ستستغرقه ٠٠ فقد جاءنى صوت **وليم اسحق** الذى كان يقف الى جانبى دون أن احس به ٠٠ يقول :

ــ اسمع يا درش انا لازم أرسمك صورة بالزيت ٠٠

ــ صحيح يا وليم ٠٠ ياريت ! لكن ايه المناسبة ؟

ــ تقاطيع وجهك القوية المحددة تلهب فرشاتى ٠٠

ــ دايما أسمع منك الحكاية دى ٠٠

ــ لم ارها بمثل هذه القوة ٠٠ كما رايتها منذ لحظة ٠٠

ــ ليه بقى ٠٠ ؟

ـ ما كان يدور فى أعماقك جسدته تعبيزات وجهك ٠٠ تداخل فيهـا هذا الضوء ٠٠ يا دين النبى ٠٠ يا عالم فرشـة والوان ٠٠ راح أتجنن واجـد ذراعاى تحتضنه فى حنان ٠٠ والدموع تفـر من عينى وأقـول لـه ٠٠

ـ بس يسمحوا بالطزود ٠٠ وكل اللى أنت عاوزه راح ييجى ٠

وكالأطفـال يصيح وليـم :

ـ ده انا أبقى ملك ٠

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على وليـم اسحق اسـم « **ملك الصحراء** » واصبحنـا ننـاديه « **ياملك** » وكثيرا ما كان يغضب اذا لم ينـاديه أحد بهذا الاسـم الجديد ٠ وكثيرون حتى بعـد خروجه من السجن لا يعرفونه الا باسـم « الملك » ٠

ينتشر نـور الفجـر ونلمح الوردية الأولى فى اليـوم الثالث قادمة الـى موقع العمل ٠ اتـربة كثيفـة تثيرها أقدامهم السائرة فى ثبـات ، تغطـى اجسامهم ووجوهم ولكنهـا لا تستطيع اخفـاء تعبيرات اصرارها وتحديها ٠ ويرتفع الصـوت المألوف ٠٠

ـ الوردية الاولى فى اليـوم الثالث تستلم ٠٠

ويصر بعض الزملاء فى الوردية الثانيـة والثالثة فى اليـوم الثـانى على الاستمرار ، لكن قائـد العمل يرفض بشـدة

ـ ان لأجسامكم عليكم حقـا ٠٠

ـ اشمعنى أنت ٠

ـ انا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ٠٠

ـ مهمـا يكن الأمـر من حقك أن تستريح ٠٠

ـ جسـنا ٠٠ سأعود معكم ٠٠

وبعـد أن يسلم قيـادة العمل الى احـد مساعديه ٠ يسير الجميع فـى حب ومودة ٠ ويدور حوار ٠ يسأله أحـد الزملاء :

ـ أيـه رأيك ٠٠ راح نخلص فى الموعد المحـدد ؟

ـ اذا سـار العمل بالمعـدل الحـالى ٠٠ يتأخـر يومين ٠

ـ لكن ٠٠ لازم يخلص فى الموعـد المحدد ٠

ـ دى بقى مسألة تتوقف على همتكم ٠٠

ـ سنضاعف من نشاطنا ٠٠

ـ لازم نبـذل مجهود أكبـر ٠٠

ونصـل الى خيامنا بعد حوالـى ساعة من فجر اليوم الثالث لوجودنـا فى **بسجن جناح** ٠ نستلقى على الأسرة فى محاولة للنـوم ٠ ولكن يتـوقف الذهن عن العمل وهنـاك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل فى الموقع ٠ كيف يتـم انجـاز هذا العمل فى الموعـد المحدد ؟

وينطرح هذا السؤال اسئلة أخرى : هل يكفي الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحيد للحافز المعنوى ، أم هناك أشكالا أخرى ؟

وفى عمل مثل هذا الذى نقوم به ألا يمكن أن يكون الحافز المادى دافعا للعمل ؟

وفى مثل حالتنا هذه كيف نحدد الحافز المادى ، وما هى أشكاله ؟

وتستمر المناقشة أكثر من ساعتين لتنتهى إلى صياغة محددة هى : الوعى بخطة العمل وأهدافها هو الاستنابس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلغى المنافسة ، ويمكن أن يكون التنافس بين فريق وفريق ، والحافز المعنوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة ، مثلا : وسام للفريق الذى ينجز عملا أكبر ، أو شكر وتقدير يعلن شفاهة بعد انتهاء عمل الوردية ، ويمكن ان يكون أيضا وفى نفس الوقت حافزا ماديا ، مثلا : علبة سجاير للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فرد منه .

وأحمل هذه الصياغة الى باقى الزملاء ، والى الأخوان المسلمين ويعد مناقشة يوافقون عليها بحماس ، وعند استلام الورديات من بعضها البعض فى نهاية كل يوم يعلن قائد العمل اسم الفريق المتفوق . أذكر أن أول فريق تفوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسام مصطفى كامل . ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنشيد .. بلادى .. بلادى . لك حبى وفؤادى . وكان الحافز المادى هو علبة سجاير هوليود . اى ان نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصوات :

ـ راح تشرب سيجارة بحالها ..

ـ لا على ثلاث مرات ..

ـ برضه ما جاوبتش على السؤال ..

ـ لا .. طبعا .. معقول أشربها لوحدى ؟

ـ طب هات نفس ..

ويتجمع الزملاء حول حاملى السجائر . يختلسون بضع دقائق ويجلسون جماعات .. جماعات .. ويدخنون بلذة ومتعة .. وتختلط الأصوات ..

ـ انت برضه راح تولع ثلث ؟

ـ أمال يعنى أولع السيجارة كلها ..

ـ يا أخى دحنا ستة .

ـ نصف سيجارة بس ..

ـ لا تكفى .. ولع السيجارة كلها ..

ـ وبكره أعمل ايه .. نفسى اشرب نفسين الصبح ..

ـ يا إخى اصرف ما فى الجيب .. يأتيك ما فى الغيب .

– ده تفكيــر غير علمي يا زميل ••

– يا أخى ماتزودهاش ••

– يا الله ان شالله ما حد حوش ••

ويعودون الى العمل اكثـر نشاطا واكثـر حيوية • وكل فريق ينــــاضل من أجل الحصول على علبـة سجاير واحـد الأوسمة • وتمـر الأيام سريعا ويتـم انجـاز العمل فى موعـده المحـدد •

وكـان مشهدا مثيـرا • **مشهد نزول الميـاه من الصنابير فى قلب الصحراء•**

احكى لك عنه يا حبيبتى فى رسالتى المقبلـة •

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتى

كأنما كان الأمر اكتشافا جديدا لم تعرفه البشرية من قبل ٠ الماء يجرى فى مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير ٠ يا للسعادة ! نستطيع منذ هذه اللحظة أن نفتح الحنفية لينزل منها الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منه ، بل ونستخدمه فى رى قطعة أرض نزرعها٠ هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضا ؟

ويدور حوار طريف :

ـ طبعا خضار بس ٠٠ طماطم وخيار وجرجير وفجل وفول و ٠ و٠٠٠

ـ والفواكة ؟

ـ بطيخ وشمام ٠٠

ـ وليه مش برتقال كمان

ويضج الزملاء بالضحك :

ـ بتضحكوا ليه ؟

مرة أخرى يضجون بالضحك ٠ ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سبب الضحك :

ـ انت ناوى تقعد فى **السجن** لغاية لما يطلع **البرتقال** ؟

ويرد الزميل فى غضب :

ـ خلاص غلطت فى البخارى ؟

كان هذا الزميل طيبا الى درجة تصل أحيانا الى حد البلاهة ، وكان حسن النية الى درجة أنه يمكن أن يصدق أى كلام يقال له من زميل ٠ أليس زميلا ؟ وكانت له فى نفس الوقت قدرات هائلة على خلق صداقات مع أى انسان يلتقى به فى الحى ، وفى الجامعة حيث كان طالبا ، وفى الأندية المختلفة التى يتردد عليها ، وكان محبوبا من الجميع يثقون به ثقة تامة ، ويعتمدون عليه فى حل أى مشكلة تواجههم ٠

ويحكى عنه الزملاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منه مسئوله يوما أن يجند بعض الفلاحين فى بلدته ما دام يملك هذه القدرة على خلق علاقات وصداقات ٠ وجاءه فى اليوم التالى مباشرة يزف اليه خبر تجنيده أحد الفلاحين ٠ واندهش مسئوله ٠٠ بهذه السرعة سافر الزميل الى بلدته وعاد منها بعد أن جند فلاحا ؟ فسأله :

ـ لحقت تسافر البلد وترجع ؟
ـ مين قال اننى سافرت
ـ أمثال الفلاح ده منين ••
ـ طالب فى كلية الطب « جامعة فؤاد »
وضحك المسئول وقال :
ـ بأقول لك فلاح مش طالب ••
فرد عليه ببراءة شديدة :
ـ طيب ما هو طالب فلاح ••
والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا القدر من حسن النية ، والطيبة. يملك فى نفس الوقت دهاءا يفوق دهاء الثعلب ، وذكاءا حادا ، وذاكرة قادرة على حفظ إى شىء يمر بها ! كنا نكلفه باخطر التكليفات داخل السجن ، وارسال واستلام الخطابات والتقارير المرسلة منا والواردة الينا • كما كنا نستعين بذاكرته عندما نحتاج الى نص محدد فى مرجع محدد ! حتى بعض الاحصائيات التى تكون قد مرت عليه يعيد ذكرها بمنتهى الدقة ، كنت احبه كابن أكثر مما كنت أحبه كزميل • ليس فقط لصغر سنه فقد كان هناك زملاء فى مثل عمره •وكان هو ايضا يلجأ الى لا بوصفى زميلا له أو مسئولا ، ولكن باحساس الابن •

المحه مستمرا فى الحوار ولكن لا أسمعه • يجرى نحوى وعلى وجهه غضب ، ويقول :
ـ أظن ده بقى يبقى منتهى الرفاهية •
ـ أيه هوه ؟
يشير الى أحد الزملاء ، ويقول :
ـ عاوز يزرع ورد وزهور
ـ ورود وزهور بس ؟
تزول بعض تعبيرات الغضب من وجهه :
ـ لا طبعا •• وخضار كمان •
ـ تبقى ايه المشكلة ؟
ـ المشكلة ان احنا نستفيد من الأرض والميه والفلوس فى زرع خضار علشان الأكل وبس ••
ـ طبعا الأولوية للخضار ••
ـ ما كفاية الخضار •• أيه لزوم الورد ••
ـ برضه •• مفيد ••
ـ مفيد فى أيه •• بيتاكل ••
ـ لا له فوايد اخرى •• متعة جمالية مثل الموسيقى مثلا •
ـ بس بشرط ••

– مفهوم .. بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضار .. موافق ؟

ويبتسم فى هدوء .. ويعلن موافقته .. والطريف ان هذا الزميل كان أول من قام بزرع ورد وأزهار أمام الخيمة التى يسكن فيها . وكان يقف لحراستها طول وقت فراغه ، ويعهد بها الى زميل آخر عندما يكون مشغولا فى عمل بعيد عنها نظير وردة يعطيها له .

الحركة لاتهدأ عند صنابير المياه التى اتينا بها عبر الصحراء . البعض يملأون الجرادل ويذهبون بها الى المطبخ ، وآخرون الى المخبز ، وبعضهم يستحم فى الهواء الطلق ، فالعمل فى الحمامات لم يبدأ بعد فما زلنا فى انتظار الخزانات وطلمبات المياه التى وعدنا بها المأمور وقد سافر خصيصا من أجل احضارها هى ولوازم أخرى . فجأة نسمع أصوات بعيدة تردد نشيد : بلادى . بلادى . الصوت يقترب ، موكب من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زملاء يرددون النشيد ، و ٤ عربات لورى تحمل أشياء كثيرة لا نتبين منها سوى الصهاريج .

– اذن فقد نفذ المأمور ما وعد به ..

– ومن هؤلاء الزملاء .. ؟

– أحكام جديدة بالأشغال الشاقة ؟

– ربما ولكن من .. ؟

يصرخ أحد الزملاء ..

– دول الزملاء اللى فى **سجن مصر** ..

– لكن دى أحكامهم سجن بس ..

– لازم راح يلمونا كلنا على بعض .

– دى تبقى مخالفة صريحة للقانون .

– قانون أيه اللى أنت جاى تقول عليه .. ؟

تقف العربات عند **باب السجن** .. يجرى اليها الزملاء يستقبلون زملاءهم بعد فراق سنوات . **مأمور السجن وضباطه وجنوده** يشاهدون هذا المشهد الانسانى فى صمت .

قوة اللحظة وعمق انسانيتها يمكن أن تحرك الجانب الانسانى حتى عند أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحوا شبه أصدقاء لنا .

بصوت ودود يقول المأمور :

– انتو بقى مبسوطين بحضور زمايلكم .. والا بالصهاريج دى ..

ويصيح الزملاء فى وقت واحد :

– الاتنين طبعا ..

– الخيز على قدوم الواردين .. جبت لكم كمينات هائلة من الظرود ..

وللتأكد يسألون :
ـ طرود ايه ..
ـ طرود من أهاليكم ..
ـ هايل « لازمة مجدى فهمى »
ـ عظيم « لازمة زكى مراد »
ـ مدهش « لازمة صلاح حافظ »
ـ آهو ده الشغل « لازمة ملك الصحراء »
ـ رائع « لازمة محمد شطا »
ـ تمام « لازمة سعد باسيلى »

لم تهدأ حركة الأهالى منذ غادرنا ليمان طره الى سجن « جناح » **بالواحات الخارجة** . كانوا يترددون يوميا على **مصلحة السجون والمباحث العامة ورئاسة الجمهورية ودور الصحف والنقابات المهنية والعمالية** ، كتبوا مذكرات لكل المسئولين فى الدولة ، ووزعوا بشكل علنى بيانا على الشعب عن ترحيلنا المفاجئ الى مكان ما فى **الصحراء** ، ورغم الوعود التى أعطيت لهم بزيارتنا ، ورغم التصريح بالزيارة لزوجة أحد المسجونين ، فما زالوا ممنوعون من الزيارة . والطرود والخطابات لم يصرح بها . ويحمل البيان فى ختامه مسئولية المؤامرة التى تدبر ضدنا . ولما وجد الأهالى تباطؤا فى تحقيق مطالبهم دخل عدد منهم مصلحون السجون وأعلنوا **اعتصامهم واضرابهم عن الطعام** حتى تجاب مطالبهم أو **الموت** مع ذويهم الملقى بهم فى الصحراء . عرفنا هذا من الزملاء الذين أتوا الينا من سجن مصر .

وحين نشكر **مأمور السجن** على جهوده التى كللت بالنجاح فى مصلحة السجون ، يقول بتواضع :

ـ الشكر لأهاليكم .. دول حقيقى أبطال .. همه اللى خلوا المسئولين يقتنعوا بمطالبكم . كل اللى عملته أنى وقفت الى جانب هذه المطالب ..

ويتجه المأمور الى داخل السجن ويرى حنفيات المياه . فيصيح فرحا :

ـ برافو .. والله ابطال .
ـ المصاريع .. والطلمبات جت فى موعدها ..
ـ طيب يالله بقى علشان تستلموا الطرود .

بعض الزملاء يمشى فى ثبات نحو مكتب المأمور ، فهم يثقون بأن لهم طرودا .. والبعض الآخر يقدم رجلا ويؤخر رجلا ، ترى هل عندهم فائض كى يرسلوا طردا ؟ . وباقى الزملاء لم يكلف نفسه عناء الذهاب ، ان أهله لا يملكون قوت يومهم فمن أين يأتون اليه باحتياجاته ؟ .

ومع أن نظام « **الحياة العامة** » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء من طعام وسجاير ونقود ويوزعها على الجميع بالتساوى . لا فرق بين الزميل

المقتدر وبين الزميل المعدم . الا أن مجرد وصول أي شيء مهما صغرت قيمته للمسجون يرفع معنوياته الى حد لا يمكن تصوره . مرات كثيرة رأيت فيها زملاء لم تصلهم طرودا أو نقودا ، فى عيونهم حزن وأسى ، لاتستطيع ابتساماتهم المفتعلة ان تخفيها . ربما كنت أكثر احساسا من غيرى بهؤلاء الزملاء . فقد كنت ـ فى أغلب الأحيان ـ واحدا منهم .

كان الضابط ينادى على أسماء أصحاب الطرود ، بينما كنت أضع يدى على قلبى . خوفا على نفسى ، وعلى عدد من الزملاء أعرفهم جميعا : هذه أول مرة يرسل لنا فيها الأهالى طرودا . والذى لا يصله طرد فى هذه المرة بالذات سوف يأخذ عقله ويعطى ، ترى هل أصابهم مكروه ؟ هل يئسوا من عودته فقرروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت حالتهم التى لم تمكنهم من ارسال حتى علبة سجاير ؟

أوزان الطرود يبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا يزيد أصغرها عن ٢ كيلو جرام والمحتويات أيضا مختلفة، فى بعضها « **مارون جلاسيه** » وفى بعضها الآخر « **حرنكش** » ! و« الحرنكش » عبارة عن حلاوة مصنوعة من بقايا العسل الأسود ، و «المارون جلاسية » ـ كما أظن ـ أبو فروه مكسوة بالشكولاته !

وأسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثناء اسماءهم .

حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة ، الجميع سعداء لكن الأكثر سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا بها الى مسئول « **الحياة العامة** » .. ليتولى مصادرتها لصالح الجميع بالمساواة الكاملة . وكان يوما مشهودا ، كان موعد الغذاء قد حل . وحين سمع الزملاء دقات نداء الغذاء المعتادة ذهبوا اليه متكاسلين ، متباطئين .. يأخذون نصيبهم من الطبيخ والأرز واللحم . حين لا يسمع الزميل أحمد خضر التحيات والتقديرات المعتادة لطبيخه ، يصيح بصوته المرسع :

ـ ايه يا زملا .. بطاطس ولحمة ورز .. مش عاجبكم ؟

لا يسمع أى مديح . بل ولا ردا على سؤاله .

ـ أطبخ لكم بفتيك .. فيليه .. لحم بارد ؟

ثم يصرخ بغضب ..

ـ شىء بارد صحيح ..

ويجرى حوار طريف :

ـ يا أحمد وانت مالك بس

ـ أمال مين اللى ماله .. مش انا مسئول الطبخ ؟

ـ وجد تالك حاجة

ـ أمال مالكو متيسين ليه ؟

ـ يا أخى افهم بقى ..

ـ أفهم أيـه ؟

ـ فيـه طرود وصلت النهاردة ..

ـ وأنا فى المطبخ .. ولا دارى .. وأنا جالى طرد

ـ طبعـا .. واستلمناه ..

ـ طيب أعرف فيـه أيـه ؟

ـ روح لمسئول الحياة العـامة .

ويجـرى أحمد خضر الى مسئول الحياة العامة تاركـا جرادل الطبيخ والأرز واللحمـة ، والمغرفة ما زالت فى يـده ليعـرف ماذا أرسل اليه أهله !

وترتفع أصوات دقات الملاعق على القروان .

ـ تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة .

ـ طيب يازملا .. طيب .. عارف طلباتكم .

ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعـه ثلاث زمـلاء ، ويحمل الأربعـة غطيان جرادل ، وعليها ما لذ وطاب مما أرسله الأهالـى فى طرود اليـوم

ـ بفتيك .. !

ـ فيليـه .. !

ـ فـراخ ..

ـ ديك رومى مـرة واحـدة .

ـ والله عمرى ما كلته ..

ـ والفيليـه دى لحمه مشوية ولا محمرة ؟

ـ مشوية يا بنى آدم ..

ـ اتمدنوا بقى ..

ـ والبفتيك بالردة والا بالدقيق ..

ـ يا جدع بالبقسماط المجروش ..

ـ والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ..

ويصرخ أحمد خضر . ويلقى محاضرة :

ـ يازملا انتو بتفكروا بطريقـة آنيـة . استراتيجيا بقى أنـا اللـى اكسب . تذكروا أن الطرود لن تأتى كل يـوم . وكمـان مش راح تيجـى كل مـرة بمحتوياتها دى . لان بقى دى أول مـرة يبعت فيها الاهـالى طرود بعـد ما جينـا هنـا فى الصحراء .. وطبيعى أنـه ...

وتقاطعه دقات الملاعق على القروان :

ـ تك ، تك تك ... تك ، تك ، تك ..

ويستطرد أحمد خضر :

ـ أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة .. أنا بقى فى النقابـة لما كنت

الخطب .. ويقاطع مرة أخرى :
ـ تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..
ـ النقابيون الصفر .. كانوا بيقاطعوني زيكو كده ..
ومرة ثالثة :
ـ تك ، تك ، تك ... تك ، تك ، تك ...
ويقول مسئول الحياة العامة :
ـ يا أحمد دول مش بيقاطعوك ولا حاجة ..
ويحتج أحمد ويقول غاضبا :
ـ ازاى بقى مش بيقاطعونى .. انا احتج .. أيه رايكو يازملا ؟
ومرة رابعة :
ـ تك ، تك ، تك ... تك ، تك ، تك ، تك ..
ويخرج مسئول الحياة العامة ، مرة ثانية ، يتبعه ثلاث زملاء يحملون الفاكهة :
ـ تفاح
ـ منجة
ـ برقوق ..
ـ والله الحبسه أحلوت
ـ نعمة يصونها من الزوال ..
ـ اللهم ما أجعله خير .. عينى بترف ..
وترتفع أصوات بعض الزملاء .. عينى بترف يا حبة عينى ، ياللى حرمت النوم من عينى . خير ان شاء الله . والله ما كان على بالى دا كله .
وبينما يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقروانائهم لأول مرة من الحنفيات ودون مشاكل مع **أحمد خضر** مسئول الطبيخ يعلو صوت يقول :
ـ خبر هام يا زملا .. كل واحد يستنى مكانه ..
ويعلن مسئول الحياة العامة :
ـ ابتداء من اليوم .. فيه شاى زيادة الساعة خمسة .
ـ فايف أو كلك تى .. يا عينى ولسه ..
وينصرف الجميع الى خيمهم لقضاء قيلولة الظهيرة . واستلقى على سريرى الخشبى .. كنت حزينا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات الأخيرة وكنت قلقا لسبب لا أدرى مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج الذى حدث فى السجن ..
وكانت وقفه تامل مع النفس .. تستحق أن أخصص لها رسالتى المقبلة ، فالى اللقاء يا حبيبتى ..

٥ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتى

فى بعض الاحيان يعلو فى داخل الانسان صوت أقوى من كل الاصوات بالحاح ، قف لحظة تأمل مع نفسك • ولقد شهدت سنوات عمرى منذ شبابى عددا من هذه اللحظات التى أحدثت كلها انعطافا حاسما فى حياتى على المستويين العام والخاص • قبل أن أدخل السجن ، وخلاله ، وبعد خروجى منه ، كانت اللحظة التى حدثتك عنها فى رسالتى السابقة واحدة منها • « أرى فى عينيك الرغبة فى حديث عن كل تلك اللحظات » اعدك فى رسائل مقبلة ، ودعينى أحدثك عن هذه اللحظة بالذات ، لحظة ذهابى لقضاء قيلولة ذلك اليوم الذى شهد استلامنا جميعا طرود طعام وسجاير وحلوى وفاكهة من أهالينا •

قبل أن نستلقى على أسرتنا الخشبية ، وفى حركة تلقائية ، أخذنا جميعا نتأمل بفرح الملابس التى وصلتنا فى الطرود ، وتوالى التعليقات:

« **مجدى فهمى** — أمى هية اللى فصلت لى البيجامة دى •

— وعرفت ازاى يا مجدى ؟

— ودى محتاجة لذكاء ••

يضحك بحب وحنان ويستطرد :

— شوف واسعة ازاى ••

« **سعد باسيلى** » — شوف بيجامتى •• آخر تمام

— طبعا شغل معلمين ••

— دى تخصص يا أستاذ ••

« فتنة أخت سعد باسيلى اضطرتها الظروف بعد سجن اخيها الى احتراف الخياطة »

« **مصطفى كمال خليل** » — والله شاطره مراتى •• عملية جدا •• شوف

— أيه ده •• بدلة سجن دمور ؟

— أنا اللى علمتها ازاى تفصل الهدوم ••

— لك حق ما انت بتاع كله ••

ويستمر الحوار ، لم يكن حوارا بين الزملاء ، وانما كان حوار بينهم وبين أهاليهم • وأدرك بسبب النداء الذى يلح فى داخلى • قف مع نفسك لحظة تأمل • الحوار مع الحياة يجرى من خلال قنوات عديدة ومتنوعة

عامـــة وخاصة ، ومع أنـــه لا انفصـــال بين العـــام والخاص ٠٠ الا انني كنت في حاجة ملحة لحوار من خـــلال قنـــاة خاصة جـــدا ٠ هذا الحـــوار الخاص الذى يجرى تلقائيـــا منذ لحظـــات بين الزملاء ، وبين اماليهـــم يؤكد هذه الحقيقـــة لكنني احاور من ؟ لو ان زوجتـــي « ميمـــي » هـــي التـــي ارسلت لي هـــذه البيجامة ـ وان كـــانت جاهـــزة ـ لخلقت بعض كلمـــات للحوار ٠ أخي مسعد ـ رحمه الله ـ هو الذى أرسلها وليست « ميمـــي » ، فهو لـــم يكتب لـــي شيئا عنها وعن أخبارها ٠٠ الحوار مع أخي مســـعد متصل ولكنـــه حوار عـــام وأنا في حاجة الى حوار خاص ٠٠ خاص جـــدا ٠ لو كانت أمي ما زالت على قيـــد الحيـــاة ، لظل حوارنا متصـــلا متجددا ٠ ماتت في النصف الثاني من الأربعينات بين ذراعي ، وكانت كلماتها الأخيـــرة لـــي : « خـــد بالك من مسعد » ما زلت اتذكـــر حوارا قصيرا معهـــا بالكلمة والحرف ، كنت من وجهـــة نظـــرها أحسن أخوتي « حنين » مالوش مطالب ٠٠ لا يحب المشاكل ، لكنهـــا كانت تعجب لأمـــري وهي تراني أعرض نفسي للخطـــر ٠ قالت لي في حنـــان :

ـ هو انتو يا ابني قـــد الحكومة والانجليز ؟

ـ قـــدها وأكتـــر كمـــان ٠

ـ ازاي يا ابني ٠٠ دا انتـــو غـــلابة ؟

ـ ما هو سعد زغلول « باشـــا » بالغلابة دول عمل حاجات كثيرة للبلـــد

ـ يعني انت يا ابني راح تبقى زى سعد باشـــا ٠٠٠

أضمها بين ذراعي وأقول لهـــا بابتسامة :

ـ وليـــه لا ٠٠ ؟ !

وتقبلني بكل حنـــان الأم ، وتقـــول :

ـ ربنـــا ينصركم يا ابنـــي ٠

واختي الوحيدة ـ رحمها الله ـ هي التي بتـــرت بسكين حـــاد حـــوارا كـــان بيننـــا حين طلبت مني أن أخرج بأى ثمن حتى تشفى من مرضهـــا ٠ فقـــد قال لهـــا الأطباء أن مرضها حدث نتيجـــة صدمة اعتقالي ، وخـــروجي سيحدث لهـــا صدمة أخرى تشفيها من المـــرض ٠

لا أستطيع أن أتصور يا حبيبتي المدى العميق ، الغنى ، المتجدد لحـــوارنا المتصل لو أنـــا التقينـــا قبل ١٨ يوليو عـــام ١٩٥٢ ، ولو بيـــوم واحـــد أو لحظـــة واحـــدة ، ربما كـــان لقاؤنا القصير هذا نـــواة لتجربة حب عظيمة ، وربمـــا كـــان بداية لصداقة وطيـــدة ، لكنك يا حبيبتي كنت مـــا تزالين « في المهـــد صبيـــة » !

احيانا ٠٠ وخـــلال مسيرة النضال الطويلة مع **مجدى فهمي** ، كنت اعجز احيانا عن رؤيـــة العالم بوضوح ، وكـــان مجدى يقـــول :

ـ انت في حاجة الى تجربة حب حقيقية ٠

ـ لماذا ؟

ـ قدراتك على الابداع والخلق تتضاعف عشرت المرات من خلال علاقة خاصة جدا ٠

لم أكن أدرك عمق هذه الكلمات التي سمعتها من مجدى فهمى مرات عديدة خلال أكثر من عشرين عاما ٠ عرفت مغزاها وعمقها ، ودلالاتها خلال هذه الأيام فقط ٠ انت قاسية يا حبيبتى ٠٠ لماذا لم تات الى هذا العالم مبكرا ؟

كان السبب المباشر لحالتي النفسية في تلك اللحظة البعيدة التي عشتها في قلب الصحراء منذ ما يقرب من العشرين عاما : هو انني لم تعد لي علاقة خاصة ، أمي ماتت ، واختي بترت جوارنا ، وزوجتي « ميمي » إستسلمت لضغط ظروفها ٠ هكذا فقدت حنان الأم ، والأخت ، والزوجة ٠ وليس لي صديقة أو حبيبة ٠ حتى أخوتي ـ عدا مسعد ولم يكن قد تزوج بعد ـ انصرفوا جميعا عني ٠ وكان يمكن أن أجسد عند زوجاتهم ، أو احداهن ، عطفا يرطب قليلا من الجفاف الذي أعانيه ٠

لم يعد هناك أي مبرر لاستمرار علاقات وهمية بعد أن فقدت كل مقوماتها ، فالعلاقات الزوجية ، وحتى علاقات الدم ، لايمكن أن تستمر، وبالتالي يجب الا نصر عليها ، ما دامت قد فقدت ... بقاءها ، واستمرارها ٠ وأحسست بهدوء نفسي بعد اتخاذ هذا القرار ٠

الأصدقاء القريبون مني ، وكل من تربطني بهم علاقة خاصة يرون ان تعبيرات وجهي تكشف بوضوح عما يدور بداخلي ، ويبدو أن مجدي فهمي وكان مستلقيا على سريره بجواري يتابع في صمت انفعالاتي الداخلية التي يعكسها وجهي ٠ قال وابتسامة ودودة تكسو وجهه :

ـ عاوزين نقعد قعده النهاردة

ـ إنا محتاج قوي لهذه القعدة

ـ ياريتك تكون ما اتخذتش قرار

ـ حتى لو حصل ٠٠ ممكن التراجع عنه بعد المناقشة ٠٠ انت مش عارف الحكاية دي يا مجدي ؟

ولا يستغرق حديثنا أكثر من نصف ساعة لينتهي الى القرار نفسه ٠ لكن الحديث بعد ذلك يطول حتى مطلع الفجر ٠ الحوار المتصل هو جوهر كل العلاقات الانسانية الحقيقية ٠ وبقدر ما يقوم هذا الحوار على أسس انسانية مشتركة بقدر ما ينمو ويتطور ٠ ويسوقنا الحديث الى تقييم تجربة علاقتنا التي لم يكن قد مضى عليها أكثر من أربع سنوات ٠ ونتفق على أن هذه العلاقة وان بدأت مجرد علاقة نضال ، الا انها تطورت بسرعة هائلة الى علاقة صداقة قوية ، حيث يجمع بيننا التكوين الانساني المشترك ٠

واليوم – بعد أكثر من ٣٦ عاما – منذ التقيت **بمجدى فهمى** تصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليه صداقة • انها تجربة عظيمة تستحق أن تسجل فى عمل كبير ، فابعادها العميقة فى نفسينا التى اكتسبتها ليس فقط من خلال الاتفاق الفكرى والوجدانى ، والنظرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضا من خلال صمودها لمحاولات لم تتوقف – وللأسف من زملاء – لضربها أو النيل منها • محاولات وصل بعضها الى درجة من التدنى تقشعر لها الابدان • وعبثا راحت كل محاولات الأصدقاء ، والأعداء لتنال من صداقتنا الوطيدة • ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجربة حية ، من خلالها يستطيع الانسان ، ان يفكر بذهن صاف ، وأن يخلق ويبدع ويبتكر •

وننصرف سويا وقد تشابكت ايدينا نرتد فى صمت بقسم المحافظة على تجربتنا الفريدة كما نحافظ على حبات عيوننا • وفى الصباح نفاجأ بجلسة انسانية رائعة مع **أم مجدى فهمى وأخت سعد باسيلى** ، احكى لك عنها فى الرسالة المقبلة • ياحبيبتى

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتي ..

كان لوقفتي مع نفسي ثم حواري مع **مجدى فهمي** أثرهما العميق في وجداني • لقد نفضت عن نفسي أوهام علاقات زوجية وعائلية كنت متعلقا بها سنوات طويلة منذ دخلت السجن • وبدأت مرحلة جديدة من رحلة علاقاتي الانسانية خلال سنوات سجني • حقا لقد كانت علاقاتي بكل من التقيت به من الزملاء ، وعدد كبير من الاخوان المسلمين ومن المسجونين العاديين تتسم بطابعها الانساني ، لكنها كانت لا يمكن أن تكون البديل للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم ، أو الأخت ، أو الزوجة ، ربما كانت العلاقات الزوجية أو علاقة الدم مع المرأة هي أكثر العلاقات الانسانية التي يجد فيها الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لمسات الحنان • ولكن اذا توفرت كل الظروف التي توفرها مثل هذه العلاقات عند أم صديق ، أو زوجته ، أو أخته ، الا يمكن أن تكون بديلا لعلاقة الزواج أو الدم ؟

كان هذا السؤال يلح على ، يطلب اجابة تطبيقية للاجابة النظرية التي تقول : نعم •• يمكن • فما العلاقات الانسانية بجوانبها المختلفة الا توافق عاطفي ووجداني ، تجسده الظروف الموضوعية المناسبة •

وتشاء الصدفة ــ وكثيرة هي الصدف التي لعبت في حياتي دورا هاما ــ أن تعطيني الاجابة العملية المؤيدة للفكرة النظرية •

كانت الساعة لاتتجاوز الثانية عشر ظهر يوم بعيد في **سجن «جناح» بالواحات الخارجة** • عربة تقف على باب السجن الخارجي • ومن بعيد نلمح **ثلاث سيدات ينزلن** من العربة • **نساء في قلب الصحراء** ؟ من هن ؟ وكيف وصلن الى هنا ، ويجرى الزملاء الى هناك • جريت بعدهم بقليل ، لأجد نفسي بين أحضان **أم مجدى فهمي** ، تقبلني بحنان بالغ • حنان الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيدة • ثم تقبلني زوجة أخ مجدي فهمي ثم شقيقة **سعد باسيلي** • ويصيح مجدى فهمي :

ــ هايلة يا أمي ازاى عرفتي تيجي ؟

وتقول بثبات وثقة :

ــ وانت ازاى جيت ؟

ويلتفت مجدى الى زوجة اخيه :

ــ مدهشة يا « نبوية » وصلتوا ازاى ؟

وتحتضنه (بدريه) بحنان كبير ..
- زى ما وصلت انت ..
والتفت الى فتنــة - أخت سعد باسيلى -
- حمد الله على السلامة يا « فتنــة » .. ازى شكرى .. (شقيق سعد باسيلى)
وأرى دموعــا فى عينيها وتقــول :
- شكرى فى سجن مصر .
- من امتــى ؟
- بقــاله شهرين ...
لم يكن لشكرى أى علاقة بالتنظيم . وكــان من العناصر التى يطلق عليهــا لفظ « بلطجى » وكثيرا ما كان يتسبب مشاكل لأخيه سعد باسيلى قبل دخوله السجن . فما الذى حدث لــه ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويقطع صوت « فتنه » تأملاتى :
- شكرى موجود فى مستشفى السجن .
- ليــــه ؟
- حاول الهرب ، قفز من الدور الثالث لــما جه البوليس ، انكسرت رجله ..
- ومسكوه فى الحــال طبعــا ؟
- أبدأ فضل يجرى وهمه وراه ومسكوه .
- ولا يهمك يا فتنــه ..

وتلتفت حولها .. تبحث عن أخيها .. كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليهــا ويتحدثون معهــا وأصيح بأعلى صوتى وبغضب :
- فين سعد يازملا هو ما عرفش والا أيـــه ؟

والمحـــه من بعيــد يأتى الينــا على مهل . كان **سعد باسيلى** يمثل لنــا مشكلة **بالغة التعقيــد** : من رأيــه أنه لا مكان للعواطف الانسانية فــى نفس المناضل فهى نقيض الصفات الأساسية التى يجب أن تتوفر عند كل المناضلين والغريب أنــه هو نفســه يحمل فى داخله كــل كنــوز الانســـان العاطفيــة والوجدانية . ولكنه كان يكبتها بقسوة وعنف عند كل محاولة لابرازهــا . عندما كان وجهه - الناصع البياض - يجرى فيــه الــدم ويصبح شــديد الحمرة ، نعــرف أن معــركة ضارية تجــرى فى أعماقه . كانت عواطفــه تنتصر دائمــا ، ولكنـــه لا يعترف ابدا بلسانه . كـــان لسانه يقول شيئا ، وكان وجهه يقول شيئا آخــر . وجسد لقاؤه بأخته التى عانت من مشــقة طــريق قطعته فى **٤٨ ســاعة** ، والتى بذلت جهــدا خرافيا من أجل الحصول على اذن لزيارة أخيها الذى القوا بــه فى الصحراء منذ أكثر من شــهر - جسد صورته بشكل واضح . رأته من بعيــد يسير نحوها فى خطـــوات منتظمة - لم تنتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى بــه داخل السجن .

ـ أهـــلا يا فتنـــة حمدلله على السلامة ..

يــده ممدودة للسلام عليهــا بطريقة تقليدية تماما . وعبثا تروح كـــل محاولات شــقيقته للحصول على قبله منه . كانت حمرة وجهــه تزداد عند كل محاولة تقوم بهــا المسكينة لاحتضانه وتقبيله . صاح الزملاء الذين كانوا يراقبون هذا المشهد ، وهم يصفقون بأيديهم ..

ـ سعد باسيلي .. سعد باسيلي .. أعيش معاك وأطلع من ديني ..

يا سعد باسيلي .. يا سعد باسيلي ..

كان نشيدا كتب كلماته الساخرة **عبد الرحمن الخميسي** ، ولهذا النشيــد قصــة طــريفة .

ذات يــوم عــام **١٩٥٣ في سجن مصر** كــان عبد الرحمن الخميسي ينتظر زيارة زوجته لــه ـ لا أذكــر ترتيبهــا في قائمة زوجاته ـ لكنهــا لم تحضر . وكــان حزن الخميسي ـ ربما لطبيعته كفنان ـ بالغــا الى الحد الذى جعلني اقترح عليه أن يقضي الليلة في زانزانتــي ومعنــا ثلاثة مـــن الزمـــلاء بينهم سعد باسيلي والزميلان الآخران **كانا سعد زهران ومجدى فهمى** .

وعندما اغلق السجان باب الزنزانة ، وعندما بدأنا في الاعــداد لعشاء شهي من السمك واللحم والمحشي الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران، قال الخميسي بحسرة وألــم :

ـ كــان نفسي في السمك اللى بتعمله مراتي ..

ويبتســم سعد زهران بانسانية ويقــول ..

ـ معلهش يا عبد الرحمن .. ده سمك كويس بتعمله ستميفه ..

ويــرد الخميسي :

ـ لأده كان السمك اللى جايللى من بور سعيد .. طازج ..

ويتدخل سعد باسيلي :

ـ أيــه يعني الفــرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد .

ـ لا فيــه فــرق طبعا يا ســـعد ..

ويقول سعد باسيلي بامتعاض ..

ـ أبدا .. كل الحكاية ان الخميــسي عاوز ياكل من سمك مــراته ..

ويضيح الخميسي بصوته الجهورى ..

ـ أيــوه يا سعد .. السمك اللى بتعمله مراتي لــه طعم خاص .

ويــرد عليه سعد بثبـــات :

ـ طعم خاص عندك انت بس .

ويعلو صــوت الخميسي :

ـ طبعا عندى بس .. أمــال عند الجماهير كلهــا !.

ويشعر سعد باسيلي بان « **الجماهير** » قــد اهينت فيهب للدفاع عنها !

ـ بس ماليكش دعــوة بالجماهيــر ..

ويحتد صـوت الخميسى :

ـ هو انت يا اخى وصى عليهـا ..

كنت **انا وسعد زهران ومجدى فهمي** ، نرقب الحوار فى صمت ونبتسـم بين الحين والحين . التفت الينـا الخميسى وصاح فينـا :

ـ الله انتوا واقفين على الحيـاد .. اشتركوا معانا فى المناقشة .

أوجـه حديثى لسعد زهران :

ـ أيـه يا سعد ما تقول رايك

يـرد ضاحكـا ..

ـ لا ياعم قـول أنت .. إنا خايف ..

واقول لمجـدى فهمى ..

ـ طيب اتكلم انت يا مجدى ..

ويضحك قائـلا ..

ـ انت عارف .. أنا مش فـدائى ..

ويلتفت الى الخميسى ويتساءل ..

ـ أيه الحكاية .. طيب قـول أنت ..

واقول ضاحكا ..

ـ وهل يجدى القـول ؟

ونضحك جميعـا ، ويشاركنا سعد باسيلى الضحك لكن نظراته تنطق باننـا جميعـا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم . ونبـدأ فـى تنـاول العشـاء اربعة زملاء يريدون « الفضفضة » حول اكلة شهية صنعتها أم أو زوجة أو أخت ! لكن خامسهم يفرض عليهم ارهابـه ، بين الحيـن والحين تفرض روح المقاومة والتحدى نفسهـا :

ـ ايه رأيك يادرش فى السمك ده ..

ـ بسميعة شاطرة فى عمل السمك ..

ـ بذمتك مش احسن من سمك اسكندرية ؟

ويصيح سعد باسيلى ..

ـ أيوه كـده اكشفوا عن نفسكم .. كنتم بتروحوا اسكندرية علشـان تاكلوا سمك .

بمسـكنة يقول سعد زهران :

ـ وفيهـا أيـه يا سعد ؟

ويـرد سعد باسيلى ..

ـ طبعـا فى أبو قير .. مش كـده ؟

واقـول :

ـ أبدا والله يا سعد .. عند الزميل « **خالـد** »

ويعلق بسخـرية :

- يا عيني يا عيني على القيادة ..
يسقط فى ايدينا . ولا نعلق . وننتهى من تناول العشاء وقد فقدنا جزءا أساسيا من لذته .. لذة الحديث عن الذين صنعوه ، ثم جاءوا به الينا فى السجن ..

يقوم **سعد باسيلى** باعداد الشاى بينما ينصرف **عبدالرحمن الخميسى** للكتابة ، وأنصرف أنا **وسعد زهران ومجدى** لحديث هامس عن الزيارة حتى لا يسمعنا سعد باسيلى فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول الشاى يبدأ عبد الرحمن الخميسى فى قراءه قصيدة مطلعها :

انى انتظرت صبيحة الاثنين
أن تحضرى لزيارتى ياعينى
لكن مضى يومى ولم يخرجنى
من قبضة الزنزانة السجان

سادنا الصمت احتراما للمعانى الانسانية فى قصيدة الخميسى وهو يتغزل فى زوجته ، بينما يتلمظ سعد باسيلى غيظا ، يقاوم بعنف كلمات على لسانه ، وما أن ينتهى الخميسى من القاء قصيدته حتى ينفجر سعد باسيلى :
- بقى دى .. روح مناضل ..
ولا نملك سوى الضحك بصوت عال ونردد وراء الخميسى كلماته الطريفة ..
- سعد باسيلى .. سعد باسيلى أعيش معاك وأطلع من دينى يا سعد باسيلى ياسعد باسيلى .
وينظر هو الينا فى اشفاق وحسرة على « مناضلين آخر الزمن » **ولاد الكاب المثقفين** » !!

ولقد كانت شخصية سعد باسيلى محل جوار ومناقشة بيننا فى مناسبات مختلفة ، وكنا دائما نقف حائرين امامها . أنت لا تستطيع الا أن تحترم بكل الاكبار والاعزاز روح النضال عنده واستعداده للتضحية بحياته من أجل ما يؤمن به . لكنه يقوم بكل هذا اليكترونيا ، على الرغم من تكوينه الداخلى الانسانى :

ربما كانت فى حياته تجربة عاطفية فاشلة ؟
هذا ما كان يرجحه **الدكتور فؤاد مرسى** عندما كنا نناقش هذه المشكلة عند سعد باسيلى ، فهو لا يعترف بأى علاقة عاطفية أو حسية . وموقفه من المراه يصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائما : كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسى **تقدمى وبين رأى رجعى فى المرأة ؟** ولقد فشلت كل محاولتنا لمعرفة سر هذا الموقف ، ومازال هذا السر ملكا لصاحبه حتى الآن .

واعـود بك يا حبيبتى الى أول زيارة لنا فى **الواحات الخارجة** . والدة **مجدى فهمى وبدريه زوجة اخيه مصطفى ، وفتنه اخت سعد باسيلى** يحيط بهما الزملاء .. كل زميل يريد أن يعرف أخبار اهله وذويه ، وكانت الزائرات يملكن حصيلة هائلة من أخبار العائلات ، فهذه خطابات ، وهذه طرود جئن بها .. وهذه مشاكل مطلوب حلها كلفت والدة مجدى فهمى بمناقشتها مع أصحابها . تقول لمجدى :

ـ يا مجدى عاوزه فلان وفلان و ..

ـ ليه يا والدتى ؟

ـ وانت مالك .. عاوزه اتكلم معاهم .

ـ أيه يعنى يا أمى . . أسرار .

ـ ايوه أسرار .

وينادى **مجدى فهمى** على الزملاء المطلوبين ، وتنتحى الأم جانبا بكل زميل ويتهامسان ، حتى كاد النهار أن ينصرم . ويقول مجدى ضاحكا :

ـ وأنا يا أمى مش راح ييجى على الدور ؟

ـ بكره كله علشانك .

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيارة سجن . وكيف كان ذلك ؟ فى السجون الأخرى تتم الزيارة بطريقتين .. الأولى يطلق عليها اسم الزيارة العادية ، وهى تتم من خلال حائطين من الأسلاك يفصل بينهما متران على الأقل . يقف الزوار فى جانب ، والمسجون على الجانب الآخر . وحين يفتح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الى حد كنا نعجز معه عن معرفة أى شىء .. ازيك كويس ، شد حيلك ، مع السلامة ، أربع كلمات لا يستطيع المسجون أو الزائر أن يلتقطها . والطريقة الأخرى وهى ما يطلق عليها زيادة خاصة وهى عادة لا تزيد عن نصف ساعة يجلس خلالها المسجون على كرسى والزوار على كراسى أخرى فى حجرة الضابط النوبتجى وبحضور أحد السجانة . لكن هذه الزيارة كانت شيئا غير عادى . فهى ليست فقط زيارة خاصة حدودها لا تزيد عن نصف ساعة بين المسجون وأهله ، وانما هى زيارة أى فرد من أهالينا لنا كلنا وعلى امتداد يومين كاملين . والواقع أن الفضل يعود الى مامور السجن « ... » ، فلقد فوجىء الرجل كما فوجئنا بحضور الزائرات وهن يحملن اذن زيارة خاصة . وكان من المستحيل أن تجرى هذه الزيارة الخاصة بالطريقة التقليدية ، فليس من المعقول أن يقطعن آلاف الأميال من أجل قضاء نصف ساعة فى غرفة مغلقة فى قلب الصحراء ، وفى حراسة ضابط وسجان ! لقد أدرك الرجل منذ أول لحظة استحالة ان تتم الزيارة بالطريقة التقليدية .. ومنذ البداية سلم بذلك عندما تناقشنا معه ، ليس فقط نتيجة لاقتناعه

الشخصى ، وانما تسليما بالأمر الواقع • فكل الزملاء - الذين لا يمكن حبسهم فى خيام - قد خرجوا جميعا للزيارة التى بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة • وكان الحوار مع المامور حول اقامة خيمة خارج الأسلاك الشائكة كى يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة •• وافق على المطلب الأول وشرع الزملاء فى اقامة خيمة كبيرة تتم فيها الزيارة • وبدأت المساومة على المطلب الثانى - مدة الزيارة - قال المامور :

ليست عندى أوامر بمدة الزيارة ••

- إذن من حقك تحديد مدتها ••

- التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادى •

- وهل يعقل إن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجرى فى السجون الأخرى •

- غير معقول طبعا •• ما رايكم أن تستمر حتى الغروب ؟

- لكن القطار لن يغادر **الواحات** الا بعد غد •

- ينامون فى الاستراحة •

- ولماذا لا ينامون فى خيمة الزيارة ••

- مسئولية !

- انت قادر على تحملها ••

- وما الذى يدعونى الى ذلك ؟ •

- انسانيتك !

ونلحظ دموعا خفيفة تجرى فى مآقى عينى الرجل الانسان ، يقول وابتسامة ودود تكسو وجهه :

- موافق بشروط •

- نقبلها مقدما •

يضحك من قلبه ويقول :

- انتم مفاوضين شطار •

ونقبل كل شروطه • بعد غروب شمس اليوم يذهب الجميع الى خيامهم ، ولا يجرى أى اتصال بالزوار عبر الأسلاك الشائكة أثناء الليل حتى الصباح •

- موافقون •

- وفى صباح الغد تجرى الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما •

- موافقون •

- يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشرفكم أن لا ترسلوا معهم أي خطابات غير رسمية •

ويستطرد :

(م - ١٢ رسالة)

ـ أو حاجات من اللـي انتو عارفينها :
وينتحـى الزملاء المفاوضـون جانبـا ويتهامسـون ، من المستحيل أن نقسـم ثم نحنث بالقسـم • الرجل معه حـق ، فمن المؤكـد أن رجـال المباحث ينتظرون رجـوع الزوار وسـوف يقومون بعمل اللازم •
ـ نقسم بشرفنـا • •
ـ وأنا واثق انكم رجـال •
ـ فقط لنـا مطلب صغير ؟
ـ أرجو أن يكون كذلك •
ـ خطابات رسمية لأهالينا • • كالتي ترسل بالبريد •
ـ موافق ـ ولن اقرأهـا وسأترك ذلك لضمائركم •
ويكلف أحـد الزملاء بمراجعـة كل الخطابات التي سيكتبهـا الزمـلاء •
وعند غروب شمس اليوم الأول ، يطلب مأمور السجن مجدى فهمى وسـعد باسيلى والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيـارة ليؤكدهـا من جديد •
يقول مجدى فهمى محمد :
ـ شيء هايـل جدا • • بس مطلوب استثناء بسيط •
يقول المأمور وهو يضحك :
ـ تانـى • • أيـه هو الاستثناء ؟
ـ طبعا غير معقول أن الزوار يناموا • • والا احنا راح ننام • • والمسـافة بينا بضعة أمتـار • • ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة • •
ـ طبعا مش ممكن تنام معاهم يا مجدى • •
ـ بالطبع لا • • فقط نجلس داخل السـجن ، وهم خارجة ، ونتحـدث عبـر **الأسـلاك الشائكة** ، أو علـى الأقـل نراهم ويرونـا • •
ونفاجأ بقبول المأمور فيقول :
ـ موافـق وبشرط • •
ـ أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخـر •
ـ بالضبط • • •
ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهـى الدقة • مجـدى وسـعد يفترشـان بطانيـة على بعد ٥٠ **مترا من الأسلاك الشائكة** • ـ داخل السجن ـ ، والزائرات يجلسن داخل خيمتهن المفتوحـة على بعد ٥٠ مترا فى الجهـة الأخـرى ، **خارج السجن** • وعـدد كبير من الزمـلاء يشـكلون مجموعـات صـغيرة منتشرة على **أرض السجن** ، البعض يتسـامر ، والبعض الآخـر ترتفع أصواتـه بالغنـاء • • أى غنـاء • • وبين الحين والحين تسمع أصواتنـا • •
ـ يا مجدى ازيك يا ابنـى •
ـ الله يسلمك يا أمـى •
ـ مش عاوز حاجـة ؟

ـ سلامتك يا أمـى ٠

ثـم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالاشـارات والضـــحكات المتبادلة ثـم بكلمات متنـاثـرة معبرة ٠ حتى مطلع الفجر ٠

ومع أشـعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثانى لتلك الزيارة التاريخية ٠ أحكى لك عنهـا فى الرسالة المقبـلة يا حبيبتـى ٠

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣٠)

حبيبتــــى

ويبـدأ اليوم الثانــى للزيـارة مع شروق الشمس ، عـــدد من الزمـــلاء يحمـــل جرادل مملؤة بالمياه وصابون ويجرى بها نحـو الزائرات كــى يغتســلن وعــدد آخـر يحمل « برادا » كبيرا للشــاى وأكوابـا وبســكويت للأم والشقيقة وزوجـة الأخ • بعدهـــا بقليـل يقود مسـئول الحياة العامـة « صلاح هاشـم » فرقـة من الزملاء يحملون صوانــى عليها ما لذ وطـــاب للفطـار • الجميـع يرتـدون أحسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فــى طرود ، ذقونهم ناعمة ، وشعورهم مصفصفة ، وبعضهم وضع كولونيــا (٥٥٥) أو بارفـان ، وصلته مع طرود أمس أيضـــا • كان **لمعى يوســف** « مسئول المطبخ » من بين الزملاء الجـدد الذين وصلوا البيتـا من ســـجن مصر • منذ حضـوره قـام بالعمل فى المطبـخ وكان التنافس بينه وبيـن أحمد خضر شـديدا •

وذات يوم فوجـىء الزملاء **بلمعى يوسـف** يعمل لهم « محشى » فقـرروا انتخابه مسـئولا عن المطبـخ :

يقول للزائرات :

ـ فول مدمس عظيم •• ولا فول التابعـــى •

وترد أم مجـــدى :

ـ تسلم أيديك يا ابنى •• انت إللى عملتــه ؟

ـ وطعمية كمان •• مدهشــة •

كانت الطعمية مفاجأة لكـل الزملاء يقدمها لهم **لمعـى يوسـف** • انـهم لا يرونهـــا منـــذ سنوات وكثيـرا مـا دارت مناقشـــات مـــع لمعى يوسف حول امكانيــة صنعها لكنــه كـان دائما يعدهم بذلك لكـن بعـد « تذليـل الصعوبات الأساسية » قال بفخـر :

ـ أنا قعدت امبارح طول الليـل افـكر ازاى أوفـر الظروف المناسـبة لعمل الطعميـة ••

ويضحك مصطفى كمال ـ صبيه فى المطبخ •

ـ الذاتيــة والموضوعيــة كمان ••

ويتمتم **زكى مراد** •• ذاتيــة موضوعيـة •• طعميــة ••

ويصيح الزملاء ••

ـ هايـل ·· مولد قصيدة شعر جديدة لزكي مراد ·

ـ نسمعها الليلة بقـى ··

ـ قصيدة وتفوت ما حد يموت ·

بعد ان تتناول الزائرات الافطـار مع عـدد من الزملاء يصيح مسـئول « الحياة العامة » :

ـ يا لله يا زملا ·· كل واحد على شـغله ·· مجدى وسـعد بس اللـى يسـتنوا هنا مع أهلهم ··

يرفـع سعد باسيلي يـده طالبـا الكلمة ·· ويعطيـه مسـئول الحياة العامة الكلمة وهو يضحك :

ـ أيـه يا سعد ·· طلباتك ·· عاوز حاجة ؟

وبمنتهى الجديـة يقول سـعد :

ـ أنا عندى شغل اليوم · عليه الدور فى غسيل قروان الخيمة ··

ـ معلهش ممكن زميـل آخـر يقـوم بعملك اليـوم ·

ـ ليـه بقـى ؟

ـ لأن عندك زيـارة ·

بحسـم يـرد :

ـ أنا لا أوافق على أى استثنـاء ·

ـ دى ظروف خاصة يا سـعد ·

ـ ولو ·· وانا لا اقبل أن يقوم أحد غيرى بعملـى ·

ـ ممكن يحصل تبادل ·· اللى عليه الشغل بـكره يعمله النهـاردة بدالك ·· وانت تعمله بكره ··

وتدور مناقشـة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقـة يقتنـع بعدهـا سـعد باستمراره فى الزيـارة وتأجيـل شغله الى الغـد ، ولكن بعـد أن تشترك الزائرات فى المناقشـة ، وبعـد ان استخدمت أختـه « فتنـه » كل ما تملك من اسلحة عاطفيـة ·

ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويخصص مسـئول الحيـاة العامة ثلاثـة زملاء لخدمة الزائرات وتقديـم الشـاى والقهوة والمرطبـات المصنوعـة محليـا كعصير البرتقـال والليمون ، من خيرات الزيـارة أمس ، ويعقـد لمعى يوسـف « مسئول المطبخ » اجتماعا طارئـا لمساعديـه ليحثهم على بذل كل جهودهم من أجل اعـداد وليمة غذاء فاخـرة للزوار ·

ـ عاوزين نثبت للستات دول اننـا نقـدر نعمل طبيـخ لا يقـل عـن طبيخهم ··

ـ أهـو كله طبيخ يا لمعـى ·

ـ لا بقى ·· طبيخ عن طبيخ يفـرق ·

ـ الحكاية حكاية نفس ·

ـ وايــه رأيكو فى محشى ؟
ـ خطير ..
ويبدأ لمعى يوسـف فى اصدار التعليمات لمساعديه :
ـ مش عاوز ولا حصوة واحـدة فى الرز .. عيب . يتغسـل كويس ويترك علشـان ينشـف فى الشمس . الكوسـة دى كبيرة ، قشرتهـنـا تخينـة ، لازم تتقشر كويس ، واللى فيها بذر كتير ترميـه . ونأخـذ شوية باميـة من بتاعـة بـكره .. نعمل طبقين علشـان الزوار .. أمـا اللحمة فسيبوهـا لـتى انا بقـى ..
ـ راح تسلقهـا ..
ـ راح نسلق شويـة .. ونحمر شويـة .
ـ وحانعمل سـلطة ..
ـ يقـوم **حليم طوسون** يجيب لنـا شويـة جرجيـر من مزرعتـنـه الخاصـة . وكمان شويـة طماطم وبصـل أخضر .
ويرد **حليـم طوسـون** :
ـ ده كل الـى فى المزرعـة ما يجيش حزمتين جرجير وحزمتين بصل و½ كيلو طماطم ..
ـ كويس نعملهم سلطة للزوار ..
ويجرى العمل بهمة ونشاط ، انهم رجال أغلبهم لم يقم بعمل مثل هـذه الأعمال ، فمنهم **الطبيب** ، **والمهندس** ، **واستاذ الجامعة** ، **والطـالب** ، وهـم مسجونون فى **قلب الصحراء** ، فى منطقـة لـم **تعرف الخضرة** من قبـل ،وهم يستضيفـون ضيوفـا أعزاء . وهذه الوليـمة الفاخـرة التى يعـدون لها ترمـز الى معـان عميقة : ان يطمئـن الأهالـى الـى أننـا قـادرون علـى مواصلة الحيـاة تحت أى ظـرف من الظروف ، واننـا معـا ، يـدا واحـدة ، نتعاون ونتكاتف من أجـل أفضـل حيـاة تستطيع عقولنـا ان تدبـر ظروفها ، وتستطيع سواعدنـا أن تبنيهـا ، نحن بنـاة الحياة وصناعهـا ، سلاحنـا الكلمة وسبيلنـا الديمقراطيـة ، وأداتنـا الوحدة الوطنيـة . لن يقهرنـا أعـداء الحيـاة مهما تنوعت أسـلحتهم . لن نسمح لهم أن يغتالـوا أرواحنـا ، أو يقتلوا حبنـا للحيـاة ، وسوف نحيـا تحت أى ظـرف من الظروف .. وفى أى مكان يزجون بنـا فيـه .
يحل موعـد الغـداء ، الزملاء لا يسمعون الدقـات التى تناديهم لاستلام طعامهم . عصافير بطنهم تزقزق وتعلو أصواتهـا ، مع كـل دقيقـة تمـر ولا يسمعون فيهـا « دقات » الطعام .
ـ أيـة الحكاية ؟
ـ جعنـا ..
ـ فين الأكـل يا لمعـى .

ويـرد لمعي يوسـف بغضب :
ـ مش عيب برضـه • •
ـ أيـه هو اللى عيب ؟ عاوزين ناكل • •
ـ مش برضه الضيوف ياكلوا الأول •
ـ معاك حـق • • متاسـفين •
ويصيح لمعـى يوسـف • •
ـ دى تقاليـد شعبنا يا عالم • • شعبنا المضياف •
ان يقدم الضيف على أهـل البيت شىء رائـع ، احـدى القيـم الكثيرة التى يتميز بهـا شعب مصر العظيم • عطاؤه لا ينضب ، يعطـى للضيف قبـل أن يعطى لنفسـه • يعطيه أغلـى ما عنـده وهو راض ، حتـى وان لـم يكن يمتلك غيره • لكن ليس كـل من يدخلون بيتـه ضيوفـا ، هـم فى بعض الأحيـان دخلاء ، وهو يملك حاسـة لا تخطـىء ، يميز بهـا الضيوف عن الدخـلاء • الضيوف اصدقائـه ، والدخـلاء اعداؤه وهـو قـادر على تمزيـق أقنعتهم مهما تنوعت إشكالهـا • ويتسابق الزملاء فى خدمة الضيوف • هذا يحمل صينية عليهـا أطباق الأرز ، وآخـر يحمل صينيـة الكوسـة ، وثالث البامـيـة ورابـع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ، وسادس يحمل اللحم المحمر ، وسابع يحمل اللحم المسلوق والشـوربـة التى بهـا لسـان العصفـور • •
ـ تصيح ام مجـدى :
ـ ايـه ده كله • • دى وليمة • •
ويتقدم مسـئول الحياة العامـة ، ينحنـى فى احتـرام ، كما يفعـل المتر فى الفنـادق الكبرى • •
ـ كله من خيركم يا ست أم مجدى •
وتسأل « بثينـه » •
ـ وكل يوم بتاكلوا كـده • •
ـ طبعا • • طبعـا • •
وتعلق « بدريـه » زوجة مصطفى شقيق مجدى •
اذا كان كده آجى اتسجن معاكو بقـى •
ويقهقه مجدى فهمى • •
ـ لا أعطى معروف • • أخويـا مصطفى يزعـل • •
ـ ييجـى مغايـا • •
ـ أيـوه • • تبقـى كملت !
بعد الغذاء يأتـى حاملو جرادل الميـاه والصـابون والفـوط ، ويغسـل الضيوف أيديهم ، حتى يكون الشاى جاهزا امامهم • •
ـ يا سلام لو فنجان قهـوة • •
ـ حاضر يا ست أم مجدى • •

البن من بين الأصناف التي لا تصادر كلهـا مثل معجون الاسنان والأدوية الخاصة بالاستعمال الشخصي ، ويقع مسئول الحياة العامة في « حيص بيص » • من أين يأتي بالبن ؟ يصيح باعلى صوته :

ـ مين عنده بن يا زملا ؟

ـ الضيوف عاوزين يشربوا قهوة • •

ـ • • •

ويتقدم « كبيفة » القهوة المعروفين . شريف حتاته ، حليم طوسون ، وليم اسحق ، زكي مراد ، صلاح حافظ يتسابقون لعمل قهوة • • •

ويعلق مسئول الحياة العامة :

ـ يعني المستخبي طلع • • من الصنبح دايخ على فنجان « قهوة » • •

ـ هوه أنت ضيف ؟

ويمضي اليوم بسرعة لم نعهدها في السجن من قبل ، قرص الشمس الأحمر يبدو بعيدا في الأفق ، يرسيل أشعته الأخيرة ، الظلام يزحف بسرعة يبدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق • ما أقسى لحظة الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مرة أخرى من آلام لحظة الافتراق . احباؤنا يفترقون عنا ، ولا نملك تحديد موعد اللقاء مرة ثانية • حتى هذا اللقاء الشاذ لا نعرف له موعدا آخر • الحزن يزحف على الوجوه ، والألم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان في لحظة واحدة قبل الافتراق •

وفي قلب « اللحظة » تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع • الثوار أنقى أنقياء البشر ، قلوبهم طاهرة مثل قلوب الأطفال ، وإراداتهم أقوى من الصلب • هم أسرى الكلمة الطيبة ، وشهداء هدف يؤمنون به • عيونهم لا تعرف الدموع ، عندما يتحدون ويقاومون ، وتنهمر أمام موقف انساني يهز عواطفهم ووجدانهم • • •

ما أبعد الفروق بين قبلات وأحضان اللقاء بعد غيبة ، وبين قبلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السيارة تحمل الذين ادخلوا البهجة في نفوسنا خلال ساعات مضت كالبرق • أيادينا ترتفع عالية ملوحة ، وقلوبنا تسقط الى أقدامنا ، والدموع في مآقي العيون تبدو في ظلام الليل كنجوم السماء • تغيب السيارة عن أنظارنا ، ونعود الى السجن ، الصمت يلف الجميع • دقات العشاء الرتيبة تنادي الزملاء ، نذهب بتثاقل الى « الميس » • • يبذل مسئول الحياة العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ، يعلن أن العشاء اليوم فيه مالذ وطاب ، تعلو هتافات الاعجاب لكن تحس بفقدان حرارتها المعروفة •

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاي والحلوى سوف تقام

بعد العشاء . يقابل الخبر بالتصفيق والتهليل الخاليين من روح المزح المعهودة عند الزملاء .

بعد العشاء ، وخلال شرب الشاى وتناول الحلوى يرتفع صوت **صلاح حافظ** يغنى لأم كلثوم ، ثم لعبد الوهاب ، وفاروق عبد السلام يغنى منلوجات شكوكو ، وأغنيات اسكندرانية ، لكن الجميع ، المغنون والمستمعون معا ، فى واد وما يدور فى أعماقهم فى واد آخر .

ما أنبل الثوار ، فى اللحظات التى يعتصر الألم قلوبهم ، يحرضون على أن لا تنتقل عدوى آلامهم الى زملائهم وهم يعرفون أنهم يتألمون مثلهم . تنتهى الحفلة ، ونمضى الى الخيام . نستلقى على الأسرة الخشبية ؛ لا يغمض لنا جفن ، العيون مفتوحة ، والألسنة لا تتكلم ، عواء الذئاب ونباح الكلاب يعكر هدوء الصحراء وسكونها ، لكن قلوبنا أكبر من الصحراء ، ونفوسنا أكثر منها هدوءا ، لم تنل منهما كل عواءات ونباحات أعداء الانسانية من البشر ، وهم أشرس من كل الحيوانات المفترسة .

قبل بزوغ الفجر بقليل يهمس مجدى فهمى :

ـ مانمتش ليه يا درش ؟

ـ سرحان .

ـ فى ايه ؟

ـ فى اللى انت سرحان فيه .

ـ تبدو فى الأفق مؤشرات لمعركة حاسمة ضد الاستعمار .

ـ تحطيم حلف بغداد ، وباندونج ، وصفقة الأسلحة .

ـ لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب التضليل .

ـ وقضية الديمقراطية .

ـ يكسبها الشعب من خلال المعركة ضد الاستعمار .

ـ ما رأيك فى مقال **عبد الرحمن الشرقاوى** ؟

ـ موافق عليه .

ـ وأنا أيضا ؟

ـ اذن لا بد من موقف جديد .

ـ قبل الاتصال بالخارج .

ـ نناقش الامر من كل جوانبه .

ـ جايل .. تصبح على خير .

وتشرق شمس يوم جديد من أيام النصف الثانى من **يوليو عام ١٩٥٦** .
شيئا ما غير عادى يجرى فى احدى الخيام منذ الصباح . **انا ومجدى فهمى وزكى مراد ومحمد شطا** نجلس فى احدى الخيام وتطول الجلسة فى مناقشات حول المعركة ضد الاستعمار التى تتجمع بوادرها فى

الأفق . يجب أنيكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار تتطلب وحدة كل الصفوف . الديمقراطية للشعب في المعركة ضد الاستعمار هي ضمان النصر . ونتفق على كتابة بيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ويوقع عليها كل الزملاء .

ونجتمع مرة أخرى بعد الغذاء ونوافق على البيان ويجتمع كل الزملاء كي يتلى عليهم البيان ويوقعون عليه . لم يكن مفاجأة لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطني ، بدأت المناقشات بينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد ، وزادت حراراتها بعد مؤتمر باندونج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولا واضحا في الموقف .

لكن **مأمور السجن وضباطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن في تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم تأييدا ومساندة **وبلا أي شروط** . يتحمس **المأمور** لهذا الموقف الوطني ، يعلن أنه سيسافر بنفسه الى القاهرة ويوصل هذا البيان الى **رئاسة الجمهورية** والى مدير مصلحة السجون .

ـ والصحف والنقابات العمالية والمهنية ؟

ـ ساحصل على اذن من مصلحة السجون لارسالها .

ثم يستطرد :

ـ ومين عارف ممكن اجيب لكم معايا خبر كويس .

ـ لا لسه بدري .

ـ ليه بقى ؟ . موقف وطني واضح . ومساندة وتاييد للحكومة .

ـ نأمل هذا .

ويصيح المأمور بحماس :

وبأسرع ما يمكن مكانكم مش هنا ، بره . في الشارع ، ده شيء منطقي .

واعلق بابتسامة :

ـ ربما يكون لهم منطق آخر ؟

ويرد المأمور :

ـ عهدي بك انك لست متشائما .

ـ في هذه المسالة بالذات متشائم .

ويوضح أحد الزملاء .

ـ أصل له ظروفه الخاصة جدا .

ـ ليست هي السبب المباشر ، وانا انظر اليها بموضوعية .

ويبدو على المأمور انه لا يفهم الحكاية . ويتولى زميل شرحها له .

ـ أصله كان المفروض يفرج عنه بعد **الثورة مباشرة** .

ـ ليه ؟

ـ لأنه ألقي القبض عليه قبل الثورة بسبعة أيـام .

ونلمح علامات الدهشـة والاشفاق على وجـه المأمور . ونحس بفتـور حماسـه فى نبرات صوته وهو يقـول :

ـ أظن الموقف مختلف دلوقت .

يسـافر المأمور الى القاهـرة يحمل موقفنـا الجديد الى الحكام ، ويعـود فى صباح يوم ٢٦ **يوليو ١٩٥٦** . ومعـه أخبـارا سـارة لنـا ، وكان يومـا مشـهودا أحـكى لك تفاصيـل أحداثـه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣١)

حبيبتـــى

قضينـا الأيـام العشرة بعد سـفر المأمور الى القاهـرة فى ١٦ يوليـو ١٩٥٦ وعودته فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، فى مناقشـات واسـعة مع **الاخـوان المسلمين** حول ما جـاء فى مجلة « **الوطن** » وهى مجلة اسبوعيـة خصصناهـا لمناقشتهم على صفحات المجلة • وكنـا نصدر جريدة يومية من صفحتـى كراس بهـا آخـر الاخبـار وتعليق سريـع • كما كنـا نصـدر مجـلة « **الفـكر** » وهى مجلة ثقافيـة تصـدر كـل شـهر ، وكانت مقالاتهـا تعبر عن رأى أصحابهـا وكنـا نناقش كل ما ينشر بهـا فى جلسـاتنا معـا أو مع الاخوان المسلمين الذين تكونت معهم علاقـات قويـة ، بدأت فى ليمـان طره انسانيـة ، وانتهت سياسية فـى « **جناح** » ثم فـى « **المحاريق** » • منهم على سبيل المثال البكباشى **فؤاد جاسر** ، الصـاغ **جمال ربيـع** ، الصاغ **حسين حموده** ، سيد الريس وغيرهم ولـم توقف الخلافـات مـع الاخـوان الآخرين دون استمرار المناقشـة معهم أذكر منهم **صـالح أبو رقيق** ، **ومحمـد أبو النصر** ، **ومهدى عاكف وحسن دوح** وغيرهم • من بين هذه المناقشـات اختار مناقشة بينى وبين البكباشى اركان حرب **فؤاد جاسر** ، وهو مـن « الاخوان المؤيدين » • ذات يوم من تلك الأيـام العشرة فى يوليـو ١٩٥٦ ، وبعـد أقـل من ساعة من صدور مجلة « **الوطن** » جـاءنـى البكباشـى **فؤاد جاسر** وهو يحمل المجلة وكنت ساعتهـا « نوبتجى » الخيمة وأقـوم بغسـيل أوانـى الأكـل ، وأملأ ميـاه الشرب ، وأرش الخيش الملفوف حولهـا بالمـاء كلما جفت ، وبعـد وضعها فى مكان ظليـل ، كـى تحتفظ ببرودتهـا ، ثم ارش الميـاه أمام الخيمة كلما جفت ، وأروى الزرع أمـام الخيمة ، هذا العمل كـان يسـتغرق اليوم بطوله ، لكن كـان يمكن اختلاس بعض الوقت بين الحين والآخـر للقراءة ، أو لمناقشـة سريعـة • وحين طلب منـى **فؤاد جاسر** أن نجـرى مناقشة فى خيمته على فنجـان شـاى قلت لـه ضاحكا :

ـ ما انت شـايف يا فؤاد أنـا مشغول •

ـ وبعدين ضرورى أناقشـك دلوقت • ؛

ـ طيب أكمل غسيل القروان ده ونعقد هنـا •

ـ عندك شـاى • •

ـ ما عنديش طبعا ـ لكن نطلب من مسئول الحياة العامة •

نظام الحياة العامة يصادر الشاى والسكر ، ولكنه يسمح بحالات استثنائية مثل وجود ضيوف او حافز مادى لتشجيع الزملاء للقيام باعمال خاصة .. الخ .

وتبدأ المناقشة فى ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خيش جرادل مياه الشرب حين تجف فارش عليها الماء وأملأ التى تفرغ منها . وبعد فترة ارتفعت حرارة المناقشة حول قضية الديمقراطية ، يقول فؤاد :

ـ قضية الديمقراطية ، وتشمل حرية تكوين الاحزاب ، والحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التاييد .

ـ ليست هناك شروط فى السياسة يا فؤاد ..

ـ ازاى بقى تفضل فى السجن ونؤيد الحكم الوطنى ..

ـ الافراج عنا ليس شرطا للتاييد ..

ـ ولكننا فصيلة وطنية مع الحكومة الوطنية فى معركتها ضد الاستعمار .

ـ ولكنك فى نظرها لست كذلك .

ـ وهل تتغير وجهة نظرها حين اعلن تاييدها ..

ـ مواقفك الوطنية الواضحة المستمرة ، والمعلنة للشعب ، تجبرها على تغيير موقفها منك .

ـ من جانبى موافق .. ماذا تقترح ؟

ـ أقترح أن تجرى مناقشة مع أكبر عدد من زملاءك وتكتب بيانا للحكومة والصحف والنقابات العمالية والمهنية .

ـ مهمة صعبة .. سأبدأ بنفسى .

ـ لا يا فؤاد والا فسر موقفك تفسيرا خاطئا ..

ـ جمال عبدالناصر يعرفنى شخصيا .. وسوف يثق فى موقفى .

ـ حتى ولو حدث ذلك وهو احتمال ضئيل جدا .. فسوف يكون مادة لأى تفسير خاطىء .

ـ وماذا يهمنى ما دمت مقتنعا بموقفى .

ـ أظن أن دورك الوطنى لا يقف عند خروجك من السجن

ـ سأعمل فى الخارج .

ـ مع من ؟

ـ مع الحكومة .

ـ أيهما أكثر ضمانا ـ حتى من الناحية الشخصية ـ أن تعمل وحدك أو تعمل مع مجموعة من الاخوان المسلمين .

ـ لن أجد منهم من يقتنع .

ـ هل حاولت وفشلت ؟

ـ لا .. ولكنى أعرف مقدما .

ــ الناس بتتغير يا فؤاد ٠٠ انت نفسك تغيرت ٠
ــ موافق ٠٠ ولكن بشرط ٠
وأضحك قائـلا :
ــ قلت هاوى شروط ٠٠ أيـه شروطك ٠
ــ لن تشترك معى فـى المناقشـة ٠
ــ موافـــق ٠
يبتسـم فؤاد جاسر ويقـول :
ــ وأدى سيجارة بيلمونـت بحالهـا ٠٠ تشربهـا لوحدك ٠ اشعل السيجارة ٠ ويشعل فؤاد غيرها ، ونصمت حتـى لا تشـغلنا المناقشـة عن الشعور بلذة تدخين سيجارة كاملة ٠
كان عـدد من الزملاء يرقبوننا من بعيـد لا يسـتطيعون الاقتراب منـا أثناء المناقشة وتدخين ½ سيجارة مشاركة ٠ وما أن لمحوا السـيجارتين مشتعلتين حتى هجموا علينا دون استئذان ٠ أقول ضاحكا :
ــ يـا زمـلا احنـا مشغولين ٠ ٠
ــ يعنى ٠٠ فتـرة استراحـة ٠ ٠
ــ تشترك معكما فى التدخين ٠
ويخرج فؤاد جاسر علبة سجائره البلمونت الصغيرة ، ويوزع الخمسـة المتبقين فيهـا على الزملاء ، بعـد أن يأخـذ أحـد الزملاء سـيجارة يقول لى :
ــ هـات نفس بقـى ٠
ــ يا أخى ما معاك سيجارة بحالهـا ٠
ــ تشربها بعد العشـاء ٠٠ لوحدنـا ٠ ٠
ــ والله فـكرة ٠٠ خـد ٣ أنفاس يا عـم ٠
حقات ساعة الغذاء المعتـادة تنـادى علينـا ٠ يهم البكباشى فـؤاد جاسر بالانصراف ، يسرع الينـا مسـئول الحيـاة العامة ويقـول لـى بغضب :
ــ ايـه بقى ، يمشى فى وقت الغذاء ٠ ٠
ــ والله فكرت ٠٠ لكن ترددت ٠
ــ ابعت حـد يقول لـى ٠٠ على العموم أنا عامل حسـاب الأسـتاذ فـؤاد ٠
واحتفاء بضيفنا يجلس معنـا مسـئول الحيـاة العامـة ٠ واثنـاء تناولنـا الغذاء أهمس فى أذنـه :
ــ ما تنساش ٠٠ كام سيجارة كـده نشربها مع الضيف ٠ ٠
ــ يا زميـل أنا عامل حسـابـى ٠
وبعد الغذاء تشتعل ٣ سجائر ويهجم علينـا بعض الزملاء ، ليرحبـوا بالضيف ، ومنعـا لاحراجـه ، يتصرف مسـئول الحياة العامة فيوزع علـى

كل ثلاث زملاء سيجارة • ويقترح فؤاد أن يذهب لاحضار علبة سجاير من خيمته • ويرفض الزملاء ويعلقون تعليقات طريفة :

ـ شفتوا بقى الملكية الخاصة •• مفيدة !

ـ عملت لنا أيه الملكية العامة !

ويضحك فؤاد جاسر ، قائلا :

ـ أيه الحكاية •• باين علينا راح نتبادل المواقع •

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى ومعه مشروع بيان تاييد الحكومة فى مواقفها الوطنية كتبه هو والصاغ جمال ربيع والصاغ حسين حموده ، وسوف يناقشونه مع اكبر عدد من الاخوان للتوقيع عليه وارساله • اقول لفؤاد جاسر :

ـ شفت ازاى يا فؤاد ، الناس تقتنع بالموقف الوطنى السليم ••

ـ وده راح يلقى على مسئولية كبيرة •

ـ وانت جدير بها •

ـ تشجيعك يزيدنى ثقة بنفسى ••

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ صالح أبو رقيق •• علاقتنا قديمة بدأت فى ليمان طره انسانية ثم سياسية • جمعتنا معارضة السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية •• كان يؤكد حقنا فى مباشرة نشاطنا السياسى بحرية • وكنت أشكك فى هذه التأكيدات ، غير أننا كنا ننتهى دائما الى أننا متفقون على الاقل فى المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكا : فقط لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع • فى هذا الاجتماع بدى لى غاضبا ووصف ما قرأه فى مجلة « الوطن » بانه ارتداد عن الموقف الصحيح •

ـ وما هو الموقف الصحيح ؟

ـ الغاء قرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم فورا •

ـ بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضا ؟

ـ طبعا ••

ـ وحقنا فى مشروعية نشاطنا السياسى ؟

ـ هذا ما تملكه الحكومة •

ـ ليس هذا ملكا لاحد •• انه حق •

ـ ومن الذى يعطيه •• ؟

ـ الحقوق لا تعطى وانما تؤخذ ••

ـ كيف ؟

ـ الشعب بواسطة آداته ، جبهة وطنية تضم مختلف القوى الوطنية ، الممثلة فى أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد هو القادر على أخذ حقوقه •

ـ من خلال اسـقاط الحكومة ؟
ـ الحكم الوطنى داخل هذا التحالف الوطنـى .
ـ **هذا ما نختلف عليـه ..**
ويسـتطرد ..
ـ أعجب لكم . قلتم بالأمس انها **فاشـية** ، وتقولون اليـوم انهـا **حكم وطنـى** : . كيف هذا ؟
ـ المواقف ليست ثابتة .. الناس تتغير .
ـ من الذى تغير .. أنتم أم هـم ؟
ـ ربما كنـا مخطئين فى الحـكم عليهم .
ـ وبماذا تفسر موقفهم من الحريـات ؟
ـ **تناقض لا شـك** .. ولا بـد من حلـه .
ـ شعار **الاسـقاط** هو طريق حـل هذا التناقض .
ـ وانما **التحالف الوطنى** معهم هو الحل الوحيد .
ـ أعجب لكـم .. ربما كنتم خياليين .. وربما كان وراء موقفكم هـذا شيئا آخـر .
ـ لا هذا ولا ذاك .. بـل هو **موقف موضوعـى** .
ـ لكنه لن يؤدى الى الافراج عنكم ...
ويكمـل :
ـ على الأقـل فى المدى القريب .
ـ نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة . فالمعركـة طويلة صعبـة ومعقدة .
ونفترق على خـلاف . لكن نظـل أصدقـاء ، وما زلنـا حتـى الآن .
وفى كل مـرة نلتقـى فيها حتى بعـد خروجنـا من السجن يمزح معـى ويقـول :
ـ أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وأرد عليه ، كلنـا جنـود لمصر ، فلننتظم فى جيش واحـد .
واعـود الى الخيمة ويوصلنـى الاستاذ **صالح ابو رقيـق** الى منتصف الطريق ويقول ضاحـكا :
ـ الحدود هنـا .. مع السلامة .
ـ ليس بين الوطنيين حدود .
ـ اذن انضموا الينـا ..
ـ ربما كان التحالف الوطنـى أفضـل .
ـ لكنـه لا يلغـى الحدود ..
ـ نعم لا يلغيهـا .. وانما يضعفهـا .
ـ ولماذا لا نلغيهـا بضربة واحـدة ..
ـ منطق الحياة لا يسمح .

يربت على كتفى فى ود ونفترق على موعد آخر قريب •

فى الخيمة وجدت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال هاتين المقابلتين • وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « **المؤيدين** » • وأن تصدر « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان المؤيدون » • وعمل تحليل سياسى لموقف الحكم الوطنى ومن خلاله تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » تبريرا لموقفهم المعارض للحكم الوطنى • وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى يضيح الفنان **سعيد عبد الوهاب** وهو المسئول عن توضيب ورسم صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

- وان شاء الله بقى العدد ده يصدر امتى ؟
- كلك نظر يا سعيد الصبح طبعا • •
- وفين المواد ؟
- حالا تجهز • •
- والحوافز ؟
- المعنوية زى ما انت عاوز • • •
- لا يا سيدى • • شبعت حوافز معنوية •
- والمادية علبة سجاير هوليود « لارج » واربعة شاى •

ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :

- وأجيب ده كله منين • •
- اتصرف يا أبو الصلح • •
- مفيش سجاير الا للتوزيع يومين على الزملا • •
- ربنا يرزق بعد يومين • •
- لأ يا عم مش موافق •
- أبو الصلح • • لا تكن حرفيا ضيق الأفق • •
- أنا مش مسئول • •

واقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :

- وبعدين • • يا أبو الصلح !
- طيب • • طيب • • ادى علبة السجاير • • وادى السكر والشاى • • وانا بقى رايح انام

ويقول فاروق عبد السلام :

- وانا كمان انام شوية علشان اقدر على الاشغال الشاقة دى •

يسحب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به • وأجلس الى جانبه أكتب أنا الآخر ، وعند منتصف الليل اهز **فاروق عبد السلام** كى يستيقظ لندفع اليه بمواد العدد الخاص من مجلة « الوطن » • ومع

شروق شمس اليوم التالى يعيد الينا المواد منسوخة فى نسختين :
ــ هايل يا فاروق .. امسى الباقى ؟
ــ قبل الغدا يكونوا جاهزين .
ــ الجانب الايجابى الحرفى فيك عظيم ..
ــ بس نظير اجر ..
ــ مفهوم ..
ويصيح مسئول الحياة الملية :
ــ لا .. مش ممكن .. مفيش سجاير ..
ــ وبعدين .. !
ــ طيب .. طيب . علبة صغيرة آهى ..
ويبتسم فاروق ويقول :
ــ لكن انا عندى « نوبتجية » اليوم ..
ويتقدم الزميل **سعد باسيلى** متطوعا للقيام بالنوبتجية بدلا من فاروق .
وتمضى الأيام سريعة . فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفى صدور أعداد خاصة من مجلة « **الوطن** » وجريدة « **الانباء** » التى تحمل آخر الأخبار والتعليقات المحلية والعالمية ، حتى يحل **يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦** ، وتتلاحق الأخبار والأحداث والمناقشات بشكل مثير ، احكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

١٧ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٢)

حبيبتـــى

كما قلت لك فى رسالتـى السابقـة كان يـوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحمـل لنـا مع المامور الذى وصـل من القاهرة فى ذلك اليـوم أنبـاء ســارة • قال لنـا وعلى وجهه ابتســامة عريضـة :

– مش قلت لكم •• **الافراج** عنكم أقرب ممـا تتصورون •

– هـل هنـاك وعــود ؟

– لـم اسمع وعـودا ولكن الجـو العـام فى **المصلحة** ، **والمبـاحث العامة** ، فى صالحكم تماما • لقد وافقـوا على كـل مطالبكم واكثر منها • الكتب والصحف والزيـارة والخطابات والظرود واقامة كانتين هنـا وسوف تصـل غـدا ٣ زيارات فاسـتعدوا • وبالنسبة للطعام فقـد اتفقت مع متعهـد فى اسيوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصـل طازة بطازة •• واحضرت معى ثلاجة كبيرة • و • و •••

ويقول احد الزملاء ضاحـكا :

– دى الحبسـة أحلوت قـوى ••

ويعلق آخــر :

– دى تبقـى بشائر حبس طويلة مش افراج قريب •

ويعلق المامور :

– أنا مش فاهم ليـه التشـاؤم ؟

– اصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار ••

– وكل **قرار** لـه مقدمـات •

– المقدمات ضرورى تكون سياسية •

ويـرد المامور :

– زى ايـه مثلا ؟

– رأى الحكومة فى البيـان اللـى ارسلناه •

ويبتسم المامور ، ويقول ••

– واذا جبت لكم رأى **رئيس الجمهورية** •

ويخرج من جيبه برقيـة من رئاسة الجمهورية موجهـة الى مأمـور سجن « جناح » بالواحـات لتوجيـه الشكر الى كل الزملاء الذين وقعـوا علـى البيـان •

ويسرى الخبر بسرعة بين الزملاء • موجة من التفاؤل تنتشر بينهم ..
الافراج القريب مؤكد ، مسألة منطقية • الحكم الوطنى يحتاج الى مساندة من كل الوطنين فى معركته القادمة ضد الاستعمار • تجارب الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار • والخلافات الفكرية لا تشكل عائقا فى طريق الجبهة الوطنية •

وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية • ولكن النظرية شىء والتطبيق شىء آخر • وفى طريقى الى **مجدى فهمى** أراه قادما يبحث عنى ، يبتسم ابتسامته المعهودة :

ـ محتاجين لجلسة سريعة • •

نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف •

يقول مجدى :

ـ من البداية ، وأيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بخسم هذه الموجة من التفاؤل •

ـ تمام • • والافضل أن تؤخذ الامور بحذر حرصا على معنويات الزملاء •

ونجد صلاح هاشم على راسنا ومعه عدد من الزملاء • • يقول :

ـ أى خدمة • • سجاير • • شاى • • قهوة ؟

ـ وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟

ـ انتو برضه بتناقشوا ومحتاجين تعدلوا دماغكم • •

ـ ما احنا طول عمرنا بنتناقش • • وانت عمرك ما عرضت خدماتك بالشكل ده •

ـ ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !

ـ اذن هات ما عندك • • وورينا عرض اكتافك •

ويعطينا علبة سجاير هوليود « لارج » • ويضع أمامنا ترمس مملوء بالشاى • ثم يقول :

ـ وبعد شوية أعمل لكم قهوة • •

ـ أيه الكرم المفاجىء ده ؟

ـ بس شدوا حيلكوا كده واعملوا لنا تحليل يطلعنا افراج •

لم أشعر يوما بفداحة المسئولية كما شعرت بها فى ذلك اليوم .. قبل السجن وخلال السنوات الأربع الماضية فيه • ربما كانت هذه أول تجربة يواجهها مسجونون سياسيون يقفون الى جانب السلطة .. يؤيدونها ويساندونها ، دون أن يفرج عنهم • وربما كانت هذه أول مرة تتلقى سلطة وطنية تأييدا او مساندة من اشد معارضيها حتى الأمس القريب • هل يفهم الحكام موقفنا الحقيقى الموضوعى منهم ؟ وهل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم

الحكم الوطنى ما دام هذا هو الموقف السليم ، فى كل الأحوال يجب وقف هذه الموجة من التفاؤل . كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خلال اعادة قراءة وشرح بعض الكتب النظرية ، وتأكيد عدد من مفهوماتها . الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الوطنية ، تجربة الثورة الصينية ، قضية الديمقراطية كما تفهمها وتمارسها الطبقات المختلفة . دور الطبقة العاملة فى الثورة الوطنية وشرط قيادتها للثورة . .

وفى مساء نفس اليوم بعد محاضرة القاها **مجدى فهمى** عن تجربة الثورة الصينية ، وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة ، جاء من يقول : المامور جاب راديو كبير علشان نسمع فيه خطاب **جمال عبدالناصر** : ونجلس على البطاطين فى قلب الصحراء لنسمع من الميكروفون صوت المذيع يعلن وصول جمال عبد الناصر . . ونسمع هتافات عالية وتصفيق حاد ثم يسود الصمت حين يبدأ جمال خطابه . وحين اعلن جمال **تاميم قناة السويس** ، امتزج هدير تصفيق الجماهير فى ميدان المنشية بالاسكندرية ، مع هدير تصفيقنا ، نشارك الملايين فى كل مكان فى مصر والعالم العربى وكل القوى التقدمية فى العالم .

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها **صحراء الواحات الخارجة** هتافا يشق عنان سمائها **بحياة ناصر وثورة ٢٣ يوليو** . وبعد الخطاب انتظمت جموعنا مع **جموع المؤيدين من الاخوان المسلمين** فى مظاهرة صاخبة ظلت تجوب المعسكر أكثر من نصف ساعة . وبلغ تاثر **المامور والضباط والجنود** درجة كبيرة جعلتهم ينضمون الينا ويهتفون معنا ، ثم يعانقوننا فى ود وانسانية . وبعد المظاهرة عقدنا اجتماعا عاما حضره كل من فى السجن من مسجونين عاديين وجنود وضباط والمامور والاخوان المؤيدين . القيت فيه الكلمات المناسبة ، والشعر . الشاعر **فؤاد حداد** انسحب بهدوء بعد أن سمع جمال وهو يعلن قرار التاميم ومكث فى خيمته ليكتب قصيدة .

يا حمام البر سقف ، طير وهفهف ، على كتف الحر وقف ، والقط الغلة . .

وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** .

بكره النور فى بلادنا يلالى لما نقيم السد العالى .

قصائد كتبت أثناء **خطاب ناصر** التاريخى ، وأخرى خلال احتفالنا . فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى **قلب الصحراء** انشدها مسجونون محكوم عليهم بالأشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثم انشدتها مصر كلها ومعها كل أقطار الأمة العربية .

كان استقبالنا لتاميم القناة يفوق فى ايجابيته كل القوى الوطنية الأخرى . فمنذ **الاربعينات** وهذا الهدف واحد من اهدافه

برنامجنـــا • وخلال معركة الكفـاح المسـلح فى القنـاة ضـد قوات الاحتلال البريطانية ، كان تاميم القناة فى مقدمة المطالب التى طالبنا بهـا حكومـــة **الوفـــد** :•

كانت كل كلمات الزملاء تبرز اهمية هذا القرار ، وتضـح احتمـــالات معركة ضارية ضـد الاستعمار الذى سيلجا الى شتى المؤامرات لضرب الثورة الوطنية ، حتى قـد تصـل مؤامرته الى الغزو المسـلح • وانـه لا سبيل الى تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أشكالها الا بتعبئـة الشعب واطلاق حرياتـه السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنين • وتضمنت البرقيـة التـى ارسلناها الى الرئيس **جمال عبد الناصر** فى نفس الليلة هذه المعانـى : لقـد تحمس المأمور حين قـرأ تلك البرقيـة وركب عربته على الفور واتجـه الى المحافظة كى يرسلها باللاسلكـى ، قال وهو يركب عربته التى كنـا نحيط بهـا من كل جانب :

ــ أظن بقى لا مجـال للتشاؤم

ــ وهل نهوى التشاؤم ؟

ــ نحن أكثـر الناس تفاؤلا ••• ولكن !

ونسمع نبـرات صـوت المأمور الودودة :

ــ كلها يومين وأجيب لكـم أحسن خبـر •

موجة التفاؤل تصعـد بسرعة عنـد الزملاء • لا نستطيع أن نقف فـى وجهها ، وفى نفس الوقت يجب أن نسير معهـا • الموقف هـو أن نهيىء انفسنا لأحسن الاحتمالات ، ولأسواها فى نفس الوقت • الأمـر المؤكـد ان معركة ضـد الاسـتعمار قـد بدأت بعـد **التاميم** • والانتصـار فـى هـذه المعـركة يتوقف بالدرجة الأولى على **قيـادة المعركة** • فهل تدرك هذه القيادة كل أبعـاد المعـركة وهل تعى ضروراتها • وما تفرضه من اطلاق الحريـات السياسية للشعب ومنظماته وهيئاتـه الوطنية ، وقيـام جبهة وطنيـة والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انهـا حقـا قيادة وطنيـة ، ولكنهـا بورجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفـرض حملة تعبئـة سياسية وفكـرية • محاضرات يوميـا ، سياسية وفكـرية ، والنشرة الداخلية « **الوعى** » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسى اليومى لمـا يرد الينـــا من أخبـار فى الصحف والراديو • كان الزملاء يعـون بعقولهم المقـولات النظـرية ، لكن عواطفهم معلقـة **بالأمل المستحيل** • وتنهـال خطابات الاهالى تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بقـد ان يلوون عنق اى كلمـة أو تصريح لمسئول • ولم يكن هذا غـريبا منهم فالحق كل الحق معهـم حين يتعلقون بقشـه كالغريق ، ولكن الغريب حقـا ان تصلنـا تحليـلات سياسـية لزملائنا فى الخارج تتوقع الافراج عنا بين يـوم وآخـر • أكثـر من ذلك ،

يصلنـا مقـالٌ نظـرى بعنوان « **نحن حزب فى السلطة** » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه فى البرنامج قـد تحقق ، وبالتـالى فـان القيـادة السياسية قـد أصبحت لـه !

وأصبح وضعنـا شـاذا حين وصلنـا هـذا التقرير ، مثـل هـذا الكلام لا نوافق عليـه من الناحية النظـرية • وهذه التحليلات السياسـية المتفائلة على غير أساس ، نرفضها ، فما العمل ؟ موجه التفاؤل سوف تصل الى قمتهـا لو عـرف الزمـلاء ما جـاء بهـا ، فمن البديهى أن يكـون الزملاء فى الخـارج هم الذين على صـواب لأسـباب مختلفـة ، ليس فقط بحـكم وضعهم ، وانمـا أيضـا لأنهم أقـرب الى الواقع • بل المفـروض انهم جـزء منـه • كـان من الأفضل أن لا يرسـل لنـا زملاء الخارج هذه التحليـلات والمقولات النظـرية على الأقل من بـاب الحـرص على معنويات زملائهـم المسجونين اذا لم يتحقق الافـراج عنهم • لقـد وصلوا الى يقين بحقيقـة الافـراج عنـا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم • وهو خطأ نظـرى ومنهجى فـى نفس الوقت • ان التزامنـا ليس التزاما أعمى وانمـا هو التـزام واعى : والظروف لاتسمح بمناقشتهم وامكان تعـديل رأيهم فى نفس الوقت تفرض علينـا مسئوليتنـا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفـرض الحـرص علـى **معنوياتهم** بعـدم تعريضهم لأى **هـزة نفسية** • ورأينـا أن نكتب الى الزملاء فى الخارج وجهـة نظـرنا فى هذه التحليـلات السياسية والمقولات النظرية ، وقـررنا اعلانها على زملائنا ، فى نفس الوقت الذى تعلن فيه تحليلاتهم • وتجـرى الأيام الباقيـة من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وثمانية وعشرين يومـا من أكتـوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفـاؤل بين الزملاء بين مد وجزر • خطابات الأهالى **ترفع** الموجـة أحيانا ، وأحيانا أخـرى **تهبط** بها • وتحليلات زملائنا فى الخارج كانت تتجاذبها أيضا موجـة التفاؤل فى مدهـا وجزرها • كانت كل الدلائل تشير الى مؤامـرة كبـرى يدبرها الاستعمار ضد الثورة • ولم تكن مواقف القيـادة السياسية تـدل على ادراكها الكامل بابعـاد هذه المؤامـرة • لقـد ركـزت كل ثقلهـا على العمل السياسى الدبلوماسى الخارجى فى الهيئات الدوليـة • ولم تهتم باعـداد الشعب سياسيا وعسـكريا للمعركة، وبالتالى لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسين فى **جـدول أعمالها** • وكان من الطبيعـى أن تقل بين الزملاء نغمة الحديث عن الافـراج ، وأن تهبط موجـة التفاؤل الى أدنى مستوى ، وبرزت مشكلة خطيرة • مسئوليتنا كسياسيين وطنيين تفـرض علينـا تأييـد ومسـاندة المواقف الوطنيـة للسلطة فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير مـن اشكالها المتعـددة • وفى كل بيـان أو برقيـة كنـا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحـول الى أكلشيـه تتنـاوله الســنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفى نفس الوقت تفـرض علينا

مسئوليتنا ازاء الزملاء تفسير سياسي ونظرى لاستمرار وجودهم في السجن ، أن تسجن لانك **تعارض** النظام شيء مفهوم ومقبول .. ولكن أن تسجن وأنت **تؤيد وتساند** هذا النظام مسألة لا تقبلها الا اذا كنت تملك قدرة نظرية كبيرة ورؤية سياسية واضحة مستمدة منها . ولقد أثبتت التجربة صحة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين. غير أن موقف الاخوان المسلمين « المؤيدين » كان ضعيفا ، فبعد أن كان عددهم يزداد ، أخذ يضيق ، فتركهم عدد كبير وعادوا الى الاخوان المسلمين « المعارضين » . وبعد أن كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشون معا أصر المعارضون على عزل المؤيدين فى خيام خاصة . ومع الساعات الأولى لصباح **يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦** سمعنا خبر العدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجرت أحداث أحكى لك تفاصيلها فى الرسالة المقبلة ياحبيبتى

١٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

ملحوظات لابد منها .. وسؤال :

الملحوظة الأولى : يوافق اليوم – **١٨ يوليو ١٩٧٧** – الذكرى الخامسة والعشرين للقبض على فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ .

الملحوظة الثانية : بعد أربعة أيام من اعتقالى قامت ثورة **٢٣ يوليو ١٩٥٢** وبقيت فى السجن **حتى ٤ ابريل ١٩٦٤** .

الملحوظة الثالثة : بعد أربعة أعوام وأربعة أيام قضيتها فى السجن صدر قرار تأميم قناة السويس .

الملحوظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتليفزيون للاحتفال باليوبيل الفضى **لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** .

السؤال : **كم** كان عمرك يا حبيبتى يوم صدر قرار تأميم القناة . وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الأسوار ؟

الرسالة رقم (٣٣)

حبيبتى

فى مساء يوم **٢٩ اكتوبر ١٩٥٦** ، كنا مثل بعض أبناء البيت الذين تيدهم أبناء آخرين من نفس البيت حتى لا يقاوموا اللصوص الذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرماته ! لمصلحة من يشلون مقاومتنا لهؤلاء اللصوص ؟

اللصوص والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبناء البيت وهم لايتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى آواهم ٠ واخوتنا الذين يقيدوننا يتعرضون لنفس ما يتعرض له أبناء البيت البررة ٠

وأترك لك يا حبيبتى تصور حالة الزملاء الملقى بهم فى **قلب الصحراء** ، وبلادهم الحبيبة يعتدى عليها الغزاة الاستعماريون والصهاينة ٠ **كانوا** أسودا وضعوا فى **أقفاص** ٠ ومن الذى وضعهم ؟ أخوتهم الذين **يجمع بينهم** شرف الانتماء **للبيت الواحد** ٠ لكن حالتى فاقت كل تصور فى تلك اللحظة ٠ **الملك يقبض على ، وحكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأشغال الشاقة ثم يحرموننى من شرف الدفاع عن بلادى !**

الزملاء جميعا يتجمعون فى حلقات حول عدد من أجهزة الراديو «الترانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

ـ الجيوش الاستعمارية ٠٠٠ اجتازت ممر متلا ٠٠

ـ أى اذاعة ؟

ـ لندن ٠

ـ كذب لا تصدقوها ٠

ويرتفع صوت آخر ٠٠

ـ اسرائيل اذاعت نفس الخبر ٠٠

وتصيح أصوات غاضبة :

ـ كذب ٠٠ كذب ٠٠

ويأتى صوت ثالث حزين ٠٠ حزين ٠٠

ـ الخبر صحيح يا زملا ٠٠

وتصيح كل الأصوات ٠٠

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ مش ممكن ٠٠

ـ الخبر من راديو القاهرة ٠٠

ويسود صمت رهيب • راحت سيناء • ربما يكونون غدا فى مدن القنـاة • هل يحتلونها ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه؟ الموقف العسكرى خطير جـدا ؟ لماذا ؟

البكباشى **اركان حرب فؤاد جاسر** من الاخوان المؤيدين ـ يشرح لنـا الموقف العسكرى على سبورة ، أن يمـر الغزاة من ممـر متـلا معناه احتلال كـل سيناء • الا تستطيع جيوشنا أن توقف تقـدم الغـزاة ؟ لا • مستحيل ؟ **ما العمـل اذن ؟**

ويأتى الينـا **صوت فؤاد جاسر** حزينـا ، ممزقا ، مكسـورا :

ـ لابـد من انسحاب جيوشنا الى ضفـة القنـاة •

وفى صباح يـوم **٣٠ اكتـوبر** نسمع خبـر صدور الأوامـر بالانسحاب من سيناء ! لم تعـد الحرب نظاميـة بين جيوش فقط • انهـا حرب شعبية، وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينـا صـوت **جمال عبد الناصر** من الجامع الأزهـر • •

سـنقاتل • • سـنقاتل • •

وتصل أخبار حمل **الشعب للسلاح** فى مـدن القنـاة وفـى القاهـرة • ليقـاوم الغـزاة !

دماؤنا تغلى • وأعصابنا لم تعـد تحتمل • هذه ارضنـا ونحن اخلص ابناءها • ايدينا التى يكبلها الحـكام يجب ان تحمل السـلاح مع الشـعب فى وجـه المعتدين الغزاة • وأصحب **زكى مـراد** فى صباح اليـوم التـالى للعدوان على بلادنا ونذهب الى **المامور** ، فى الطريق الى مكتبـه نتفق علـى كل شىء • دون أى مقدمات يقول **زكى مـراد** :

ـ نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتى : **اذا لم يصدر قـرار الافراج عنـا فـى ظـرف ٤٨ ساعة من الآن فعليهم ان يتحملوا مسئولية ما يحدث هنـا •**

ويلاحظ **المامور** الانفعالات على وجهنـا فيقـول بصوت ودود :

ـ يا جماعة أصبروا • • • • الحكومة عارفـة موقفكم الوطنى العظيم • • واقـول بغضب • •

ـ لم يعـد شرف معرفتها لموقنـا لـه أى اهميـة • •

ويحاول المأمور تلطيف الموقف • •

ـ ده برضه يساعدنى فى مسألة **الافـراج • •**

ـ لا احد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضـه

ـ انتـو عارفين ـ الرئيس مشغول فى المعركة •

ـ ونحن • • السنا جـزءا من هذه المعركـة ؟

ـ يعنى • • المسألة تحتاج لبعض الاجراءات

ويقـول **زكى مـراد** بغضب :

ـ اجراءات ايـه ؟ دى كلمـة يقولهـا • •

واكمـل ..
ـ ولابـد أن يقولهـا .. والا ..
ويقـول المامور ..
ـ طيب أدونى فـرصة كافيـة ..
ونقول بحسـم :
ـ ٤٨ ساعة من الآن .. ليس أكثـر .
ـ وأنا فى ايـدى ايـه ؟
ـ فى ايـدك أن تتصل باللاسلكى بالقاهرة .. الآن .
ـ سافعل ..
ـ واذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هنـاك تصرف آخـر .
ـ زى ايـه مثـلا ؟
ويقول **زكى مـراد** :
ـ سننتظم جميعـا امـام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السـماح لنـا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضـد الغزاة المستعمرين .
ويقاطعه **المامـور** :
ـ وانت عارف اننـى لا أملك هذا ..
ـ طبعـا نعـرف هـذا ..
ـ اذن ما الذى تنتظـره منى ؟
وارد عليـه :
ـ أن تقـوم بتنفيذ **ما يمليـه عليك واجبك**
ويسال المامور :
ـ واجبى الوظيفى .. أو الوطنى .
ـ نتمنى أن يكـون الواجب الوطنى
ـ وأكل عيشنى ؟
ـ هذه ظـروف استثنائية .
ـ لكننى موظف أولا ..
ـ فى مثل هذه الظروف **انت وطنى اولا** ..
ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى
ـ لا أستطيع الا أن انحنى احتراما لكم .. لكن أرجو أن تقدروا موقفى .
ويقـول **زكى مراد** :
ـ نحن نقـدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفى على الواجب الوطنـى ..
ـ وهل تعرفون نتائج القيـام بواجب الوظيفة ..
ـ واقـول :

ـ نعرفه جيدا ٠٠ ستطلقون علينـا **الرصاص** عند خروجنا من **السجن** ٠٠

ـ وهل أنتم مستعدون لذلك ؟

ويـرد زكي مـراد بحسم :

ـ كل الاستعداد ٠

وترتسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجـه المأمور :

ـ سيسقط منكم **ضحايا** ٠٠ والباقى لن يخرج ٠٠

ـ لا سنخرج جميعـا من بـوابة السجن ٠٠ **أحياء أو امواتا** ٠

ويتساءل المأمور :

ـ وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟

واقول سـاخرا :

ـ حتى تصل المأسـاة الى ذروتها ٠

لحظـة صمت تمـر كأنها دهـر ٠ نلاحظ خلالهـا وجه المأمـور يجسـد ما فى داخله ٠ هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه ٠ خروجهم من باب السـجن ليس لـه سوى معنى واحـد ٠ هو محاولة الهروب ٠ والقانون صـارم ، **اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب** ٠ هؤلاء أول مسـجونين يعلنون عن عزمهم **للهروب** ويحددون لـه موعـدا ٠ وهم لا يهربون من أجل ارتكاب جرائم ، وانمـا كى **يموتوا** فى ساحة الشرف ٠ عجبا لهم من بشر ٠٠ يهربون **للمـوت** وليس للحيـاة ٠

ـ وفجأة يسأل المأمور :

ـ هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،

ونقـول فى نفس واحـد :

ـ وفـــورا ٠

ويتنـاول **زكي مـراد** الورقة والقلم من **المأمور** ويسـجل عليها مطلبنـا ٠ الافـراج عنـا كى **نمـوت** فى سـاحة القتـال برصاص الغـزاة خلال ٤٨ ساعة أو استمرار سجننا والموت برصاص الحـكومة الوطنيـة على بـاب السجن ٠ ويوقع وأوقع بعـــده ٠

ـ واضح أن الحكاية جـد خالص ٠

ـ عهـدك بنـا لا نقول الا الجـد ٠٠

ـ اذا أعطونـى فرصة للتصرف

ـ نرجو أن يكـون بسرعـة ٠

سأذهب فـورا الى المحافظ واطلعـه على ما دار بيننـا وعلى هذه الوثيقة٠ واطلب منـه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونهـا ٠

ـ نأمل أن نعـرف النتيجـة على وجه السرعة

ويقـول ضاحكـا :

ـ ربمـا يحتاج الأمـر اطالة مـدة **الانـذار** ٢٤ ساعة ٠

ويقول **زكى مراد** بحماس شديد :
ـ ولا ساعة واحدة ••
وأكمل :
ـ وهو ليس انذار ••
ـ ما هو اذن ؟
ـ هو موقف •• والانسان موقف •
ويضمنى **زكى مراد بحب** ، ويقول :
ـ عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك •
ـ ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم ايضا •
ويطلب المأمور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند **المحافظ** فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسعده أن يسمع القصيدة • ربما لم يشهد أي سجن فى العالم ما شهده سجن جناح بالواحات الخارجة فى ذلك اليوم • اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم الوطنى والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مامور السجن يستمعون لاكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ، وقصيدة مطلعها هاتين الكلمتين • كان الراديو يذيع نشرة أخبار كل ساعة وكنا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاهرة ، وكل اذاعات العالم • وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات « الترانزستور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، باذن ، ويسمعون المحاضرة بالأذن الأخرى •
بعد حوالى ساعة من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يده اشار الى خبر هام ••
ـ الرئيس **جمال عبد الناصر** يوجه نداء للمعسكر الاشتراكى ولكل القوى التقدمية فى العالم الوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد الاستعماريين والصهاينة والغزاة •
وتلتهب الأكف بالتصفيق دقائق • واعود الى المحاضرة :
تمضى اقل من نصف ساعة •• وترتفع يد زميل آخر من حملة الراديوهات •
ـ الاذاعة توقفت عن الارسال •
أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى اجسامنا • لهفة عليك يا ارضنا الحبيبة ، حرمونا من شرف بذل **دماؤنا فوق ترابك المقدس** ، لا ، لن تجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا يحمى قلوبنا ولن تتوقف ابدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، حتى نبذلها فداء لك يا مصر يا حبيبتى •
ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

– تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعــة التى تعطلت ٠

أكف الحاضرين تلتهب من التصفيق وتعلو الهتافـات بحيـاة الشـعب الذى لا يقهـر ٠واعـود الى محاضرة « الانســان موقف » بعدمـا ينشـد زكى مراد قصيدتـه ٠ ثـم نـردد مع أم كلثـوم ٠٠ والله زمان يا سـلاحـى اشتقت لك فى كفاحـى ، انطق وقول انـا صاحـى يا شـعب واللــه زمان ٠ ومع فايدة كامل ٠ دع سمائـى فسمائـى محرقة ، دع مياهـى فمياهى مغرقـة ٠٠ الخ ٠٠

ونستقبل نـور فجـر اليوم الجديد بنفس هادئـة ، وقلوب مطمئنـة ، وروح شفافة متصوفة ، كانت لنـا مواقف كثيرة ، قبـل السجن وخلالـه ، لكن موقفنـا هذا جسـد الانسـان فـى شموخـه وعظمتـه ، الانســـان الذى لا يقهره شىء ٠٠ حتى المـوت ذاتـه ٠

وفى الصباح تحمل لنـا زيـارة من أهلنـا انبـاء هامـة ، تجعلنـا أكثر اصرارا على الموقف الذى اخترنـاه ، احكيهـا لك يا حبيبتـى فـى الرسالة المقبلة ٠

٢١ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

---

(١) كان على راس هؤلاء المهندسين المهندس الدكتور فائق فريد ٠ النائب لأول مجلس للأمة عن دائـرة روض الفـرج ٠ اعتقـل فى عـام ١٩٥٨ ، ولـم ترقـع عنه الحصانـة البرلمانيـة ٠

الرسالة رقم(٣٤)

حبيبتــى

ذات يــوم من الأيــام الأولــى فى شــهر **نوفمبــر** ١٩٥٦ حملت الينــا زيــارة من أهالينــا انبــاء هامة أعطتنــا أمــل الاشتراك فى معركــة مصر المقدســة ٠ وازداد أملنــا حين ســمعنــا اخبارا أخـــرى من مامور السجن ٠ الحكومة توزع الســلاح على الشعب ٠ **زملاؤنــا** فى الخــارج بالاتفــاق مــع **الحكومة** يقومون بتعبئــة الجماهير فى المعركــة ، وينظمون المقلومة الشعبية فى بور سعيد ٠ الجبهة الوطنية تتحقق من خــلال المعركــة ، والحــريات السياسية تعم كــل مناحــى الحيــاة فى مصر ٠ فقط لــم يبــق ســوى الافراج عن المسجونين السياسين الوطنين ، وهى مســألة قــد أصــبحت أقرب الينــا من حبل الوريــد !

– ولماذا لــم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟

وجهنا هذا السؤال الى الزميــل الذى جــاء مع الزيــارة وحمل لنــا هذه الأخبــار ٠

– لأنــه يحتــاج الى قانــون ٠

– ربما كان الأفضــل أن يصدر عفــو سياســى ٠

– بالعكس القانــون افضــل ٠

– حتى يكتسـب نشــاطنــا مشروعيتــه ؟

– بالضبط ٠

– ونشاطكم ٠٠ أليس مشروعــا ؟

– بالطبــع ٠٠

– من أى شىء يستمد مشروعيته ؟

– من صلتنــا بالدولة وعملنــا مع اجهزتهــا ٠

– وهــل ننتظــر حتى يصــدر القانــون ؟

ويصيح الزميــل وكــل نبرات صوتــه توحــى بالتفاؤل الشديد ٠٠ !

– مشروع القانون أعــد بالفعل وسينظر امام مجلس الأمة ٠

– وهــل تضمنون وقوف أغلبيــة مجلس الأمة الى جانبنــا ٠٠ ؟

وترتفــع رنــة التفاؤل فى كلمات الزميــل :

– عــدد من مجلس الأمة طالبــوا بهــذا فى مقدمتهم ابو الفضل الجيزاوى و ٠٠

ويهمس :

ـ اطمئنوا ما دام الريس غاوز كده .. لازم مجلس الأمة يوافق ..

واتسائل بسخرية ..

ـ وهوه الرئيس عاوز يفرج عنا ؟

ـ ليس فى ذلك ادنى شك .

ـ اذن فليصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة .

ـ قانون يصدر من مجلس الأمة اقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية .

ـ وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟

ـ توزيع السلاح ده قرار سياسى .

ـ لكنه يستند الى قانون .

ـ وهذا ما حدث .. وبسرعة ..

ـ الا تستحق قضية الافراج مثل هذه السرعة ؟

ويستنكر الزميل هذا الكلام .

ـ ده بقى موقف ذاتى .. !

واقول بغضب :

ـ الافراج عن الوطنيين فى ظروف غزو استعمارى يبقى موقف ذاتى ؟

ـ الالحاح عليه يتحول الى موقف ذاتى ..

ـ وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتى ؟

ـ طبعا لا ..

ـ لماذا اذن هذا الفصل التعسفى بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ؟

ـ ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطا ؟

ـ أخشى أن تكون هناك أسبابا أخرى !

وينقطع الحوار فترة حول هذا الموضوع ، ثم يعود مرة أخرى حين يأتى المأمور ومعه أنباء أخرى ، يقول :

ـ جاءت برقية من رئاسة الجمهورية صباح اليوم .

ـ خيرا ..

ـ شكر وتقدير لموقفكم الوطنى المشرف .

ـ تانى !

ويشاركنا المأمور بتعبيرات وجهه وابتسامته ، سخريتنا :

ـ على العموم لازم تعطوهم فرصة ..

ـ تانى !

ـ يا جماعة ليه بس التشاؤم ده ..

ـ على العموم • باقـى من الزمن ٢٤ **ساعة** • •
ـ ده بقى يبقـى انذار • • **مش موقف** • •
ـ ليـه بقـى • ؟
ـ يمكن تعديل الموقف • • •
ـ هذا اذا استجدت ظروف تستدعـى **تعديله** • •
ـ بقى توزيع السلاح على الشعب ، واشتراك زملائكم فى المعـركة مـع الحكومة دى مش ظروف جديدة ؟
ـ هى بالفعل ظروف جديدة • • تجعلنا أكثر اصرارا على موقفنـا •
ويكاد المأمور أن يتوسـل الينا • ويقول :
ـ أرجوكم لا تضعونـى فى موقف حرج •
ـ ولماذا تضـع نفسـك فى موقف حرج ؟
ـ سأكـون مضطرا الى القيـام بواجبـى الوظيفـي •
ـ لا تقـم بـه وحـدك •
ـ كيـف ؟
ـ أطلب حضـور المحافظ واتـرك لـه الأمـر •
ـ هذا يفسر على أنـه تقصير فى تأديـة وظيفتـى • •
ـ أهون من أن تكـون وظيفتـك هى **اطلاق الرصاص علينـا** •
وتسـود فتـرة من الصمت • كان الحوار مـع **المأمور** يدور معنـا علـى مسمع من أهلنـا ومن الزملاء الذين جاؤا لزيارتنـا ، لكنهم لـم يفهموا شيئا من الحوار حتـى آخـر كلمة منـه • لـم يعُـكر كـل مـا شـهدنـاه من خوف وهلع وتتباؤل فى وجوه الزوار من هدوء أنفسـنا الـذى يعكسـه بريـق الاصرار فى عيوننـا • ويبـدأ **المأمور** محاولة كسـب الزوار الـى جانبه . ولـم تغير الدموع التى جرت من عيـون **الأم والزوجـة والأخت** ، من موقفنـا ، ويلقـى الزميـل آخـر ما فى جعبتـه :
ـ ده موقف إستفزازى •
ـ لمـن ؟
ـ للسـلطة •
ـ لمـاذا ؟
ـ لانهم سيفسرونها على أنها حـرق للمعركـة •
ـ لكن ما تفسيرك أنـت ؟
ـ الى حـد كبير هو كذلك • •
وتتوالـى تعليقات الزملاء :
ـ البعض يسـتفزون • •
ـ والبعض يطبطبـون • •

ـ اللى أيـده فى الميـه ٠
ـ مش زى اللى ايـده فى النـــار ٠
ـ البعض يقاومـــون ٠
ـ والبعض مسـجونون ٠
ـ يـد تطلق الرصاص على الاعـداء ٠
ـ واليد الأخرى تطلقـه على الأصدقـاء ٠
ـ أحسن جبهة وطنيـة ٠
ـ وآخـر صيحـة نظريـة ٠

سخريـة لاذعـة تجسـد كل ما فـى داخلنـا ، اصرار على الموقـف الذى اخترنـاه ، رفض لكـل الأوهـام التى نسجها زملاؤنـا فـى الخـارج ارضـاء لذواتهم ، واحساس مرير بالأسـى من موقفهم الذاتـى ٠

ويتوجه المأمور الى عربتـه وقبل أن تتحرك بـه ، يقول لنـا :

ـ أنا رايح أتفـاهم تانـى مع **المحـافظ** ٠٠ ونتصـل **بالقاهـرة** ٠

راديـو القاهرة لا يتوقف صوتـه الذى يسمعه كل من فـى السـجن ، يذيـع الأغانـى الثوريـة والأناشـيد الوطنيـة ٠ وآذان بعض الزملاء على كل اذاعـات العالم يتابعـون أخبار الحرب العدوانيـة على بلادنـا ٠ يقطـع المذيـع الأناشـيد والأغانـى الوطنية ويعلن :

ـ قوات العـدو تغزو بورسـعيد ٠٠ المعـارك تدور فى منطقة الجميل ٠

ويعـود الراديو لمواصـلة اذاعة الأناشـيد الوطنيـة ٠ وتغلى الدمـاء فى عروقنـا ٠

ويعلن المذيـع :

ـ المقاومة الشـعبية تطـارد قوات الاحتـلال ، **بورسـعيد** يا مدينـة البواسـل وقلعة الاحرار ٠ قاومى الاحتلال ٠٠

وتعود الأناشـيد ٠٠ وترتفـع صيحـات الزملاء تستنكر هذا الموقـف من جانب الحكومة الوطنيـة ، انهـا حقـا تقـود الشـعب فى معركـة المصير ٠٠فلماذا يحرموننا من شرف المعركـة ولمصلحة من ؟ وتدور مناقشـات حـادة بين الزملاء والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخـر :

ـ ماذا جنيتم من تأييدكم للحكومة ؟
ـ هو موقف سياسـى لا ننتظر من ورائه شيئا ٠
ـ ومطلب الافراج عنـكم ؟
ـ جـزء من الحريات السياسية ٠
ـ ومتى يفـرج عنكم ؟
ـ هذا ما تقـرره المعركـة ٠
ـ قد تطول ولا يفرج عنكم ؟

ـ لن يغير هذا من موقفنـــا ٠

ويعلو صوت مذيـع راديو القاهـرة :

ـ الاتحاد السوفيتي يوجه انذارا للمعتدين الغـزاة ٠

يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، ويعلق بعض الاخـــوان المعارضين

ـ لمصلحة من هذا الانذار ؟

ـ لمصلحة المعركة المشتركة ضـد الاستعمار ٠

ـ سيكون الثمن باهظـا ٠٠

ـ مثـــلا ٠٠

ـ أحلال استعمار محل استعمار آخـر ٠٠

ـ وما رأيـك فـي الآخـــر ؟

ـ أهـــون الشريـــن ٠٠

ـ كـــذا ٠

ـ نعـم ٠٠ وما رأيك ؟

ـ مصر الحـــرة المستقلة :

وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين استفزاز الاخـوان المؤيدين ٠ تتوتـر الأعصـاب وتعلو الأصـوات ، تتبـادل الشتائم ، والايـــدى تتشـابك ، وتكـاد معركة تنشـب بين الطرفين ٠ لكن صـوت العقـل يعلو ، ويعـود الهدوء ٠ تتوقف المناقشـات والاستفزازات المتبادلة ، ويتفـق على عدم اثـارة أى مناقشات جماعية والتمسـك باحترام كل لمشاعر وفـكر الآخـر ٠

صوت « البروجـى » يعلو بنغمـة خاصـة يعرف معناهـــا المسجونون فى سجونهم ، ورجـال الجيش فى ثكناتهم : زيـارة أحـد لـــواءات الجيش أو البوليس ٠

ـ أى نوع من اللواءات يا ترى ؟

ـ المحافظ لـواء ٠٠ ومدير مصلحة السجون لـواء ٠٠ ومدير المبـاحث العامة لـــواء !

العربـة السـوداء فى مقدمتها عـــلم « اللـواء » تجرى بسرعـة نحـو باب السجن ، وصـوت « البروجـى » لا يكف عن الصيـاح ، وراديـــو القاهرة يواصـل اذاعـة الأناشيد والأغانـى الوطنيـة ، وشمس الظهيـــرة اللافحـــة فى الصحراء ، لا تحـول دون وقوف الزملاء على باب السجن ، وفوق الرمال الملتهبـــة ، فى انتظـــار ما يحـدث ويرتفـع صـوت حاسم :

ـ موقفنـــا كما هو لـم يتغيـــر ٠

اذهب أنا وزكى مراد لاستقبال اللواء القادم الينا ٠

يتقدم الينـــا اللواء المحافظ وعلى وجهـــه ابتسـامة عريضـة ويســـلم علينـا باليد ببرود ملحوظ ، ويقول :

— أحمل أخبارا عاجلة إليكــم .
— خيــرا .
— برقيــة من رئاسـة الجمهوريــة تقضى بالافراج العاجــل .
— كنــا نود أن تحمل البرقيــة قــرار القتال .
— مجلس الأمة سيناقش الأمــر غــدا .
— ربما تطــول المناقشــة .
— لا أعتقد .. مطلوب منــه اصدار قانون بسرعــة .
— وهــل تتحمل أعصابنــا الانتظار وجــزء من أرضنــا تحتلــه قــوات الاحتلال ؟
— نعــرف عنكم القدرة على التحمل .
— نحن غير مقتنعين بهــذا .
— نرجو منكم أن تثقــوا بقيادة المعركــة .
— كل الثقــة نحتاجهــا فى المعركــة .
— من المنطقى الآن أن تثقــوا بوعودهــا لكـم .
— تجربة الأعــوام الماضيــة ـ منذ قرار تأميم القناة ـ علمتنا الحذر .
— ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفكم .
— نرجو أن لا يكــون ذلك تهديــدا .
— بــل هو واجب الوظيفــة ..
— نحن لا نعتــرض ..
— وتعرفــون النتائـــج ..
— نعرفهــا جيــدا ..
— أنتــم متهــورون .
— لا .. ولكنا نســجل موقفنــا .
ويضحك المأمور ، ويقــول :
— الانســان موقف ..
ويبدو على المحافظ عــدم الفهم . ويشرح لــه المأمور ما ســـمعه فـــى المحاضرة ، فتكسو وجهه تعبيرات الدهشــة ممزوجة بتعبيــرات الاعجــاب والتقدير . ويقــول :
— لــم أكن أتصــور الامــر بهذه الدرجــة .
— ألــم ينقــل اليكم المأمور حوارنــا معــه ؟
— ليس من سمع كمن رأى .
— وها أنت قــد سمعت ورأيت .
— وتضاعف حــرج موقفــى .
— نأسف .. ونرجو أن تقدروا موقفنـــا .
وتتوالــى زيارات المحافظ والمأمور وعـــدد من ضباط السجن وبعض الاخوان

المسلمين الذين كانــوا يتابعون الحوار :
ــ انتظار كــام يوم لن يقلل من قيمة موقفيكم •
ــ انتــم فى منزلــة أولادى •
ــ فى التانــى السلامة •
ــ أليس لكــم أولاد ؟
ــ وزوجــات وأمهـــات ؟
ويذهب المأمور الى خيمة الزوار ويصطحبهم الينـــا :
ــ يا ولادى •• حرام شبابكم •
ــ أولادكم مين يربيهم ؟
ــ وزوجاتكم •• ليه يترملوا بدرى •
ــ وامهاتكم •• رح تبقــى حالتهم أيــه ••
و • و • و • وينتحــى بنــا البكباشــى **فؤاد جاسر** جانبــا ويهمس :
ــ أنا رايــى كصديق تنتظروا كام يوم ••
ــ انتظرنــا طويـــلا ••
ــ انتظار كام يوم كمان لن يقلل من موقفكم •
ــ ولن يغير أيضـا من موقفهم ••
ــ وقتئذ يكون الحق معكم تماما •
ــ أوليس الحق معنــا منذ زمن ؟
ــ أقصــد حق مسئوليتكم عن ارواح زملائكــم ••

مسئوليتنا عن **أرواح** زملائنا قبــل مسئوليتنا عن **أرواحنـــا** نحـن • لكن الزملاء ممتلئون حماســـا • انهم مقتنعــون تماما بهذا الموقف • القرار ليس قرارنـــا • انــه قرار كــل الزملاء وبالاجماع • هــل اهتز اقتناعنـــا أمــام كل ما سـمعنـاه • من توسـلات ، وما رأينـــاه من دموع فى العيـــون ؟ هل يكون تأجيــل الموقف ضعفــا منــا ؟ وهــل الاصرار عليـــه بعــــد كل ما سمعناه ورأيناه يعتبــر موقفــا جامــدا ؟ • موقفنـــا واضــح ومحــدد يعرفــه كــل المسئولين وكل أهالينـــا وبالتالــى قطــاع هــام من الجماهير ، وقدرتنـــا على تنفيذه ليست محل تســاؤل ، الانتظـــار عــدة أيــام أخــرى سيكون فى صالحنا فى كل الاحـــوال • اذا صــدر **القانــــون** من مجلس الأمة ، فقد كسبنا **الافراج** ، واذا لــم يصــدر واتضحـــت نواياهم بعــدم الافراج نكسب عطف أوسع قطاعات من الجماهير ومن يسقط يخلد فــى سجل **الشــهداء** •

كان ما يدور فى داخلــى هو نفس ما يدور بداخل **زكى مراد** :
ــ أيــه رايك يا زكــى ؟
ــ **نعود الى الزملاء •• نناقشنــهم** •

ـ أفضل أن نعود برأى واحد :
ـ وما رأيك ؟
ـ المساومة ·
ـ كم يوماً ؟
ـ أربعة أيام أخرى ·
ـ موافق :

وقبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمامور نشترط ·
ـ ما سنتوصل اليه يتوقف تنفيذه على موافقة كل الزملاء ·

ويبتسم المحافظ : ·
ـ يعنى الرجوع لمجلس الأمة :
ـ تقريبا ·
ـ ماذا تقترحون ؟
ـ التاجيل أربعة أيام · ·
ـ خلوها سبعة أيام · · ·
ـ ولماذا سبعة ؟
ـ اذهب خلالها الى القاهرة لعرض الأمر بنفسى ··
ويستطرد المامور ·
ـ وينتهى مجلس الأمة من المناقشة · ·
ـ نقسم البلد نصفين :
ويضحك المامور :
ـ يبقى خمسة أيام ونصف · · بلاش كسور :
ـ اذن خمسة أيام · ·
ـ لا ستة · ·
ـ اذن اتفقنا · ·
ـ ليس قبل موافقة الزملاء : ·

ويذهب معنا الى الزملاء ، **فؤاد جاسر وحسين حموده** وعدد من أصدقائنا من الاخوان المسلمين المؤيدين · وبعد اجتماع يستمر أكثر من ساعة نبذل خلاله جهدا مكثفا لاقناعهم ، تارة بشرح مستفيض لموقفنا خلال الحوار مع **المحافظ والمامور** ، وتارة أخرى بشرح الظروف الموضوعية الآن ، وبعد التاجيل ، وانها سوف تكون فى صالح موقفنا فى كل الاحتمالات نصل الى موقف الاجماع الكامل ·

وحين يسمع المحافظ والمامور والضباط قرار الزملاء جميعا بالموافقة ، تتهلل وجوهم فرحا ، ويعدون ببذل كل الجهود حتى يفرج عنا ·

وتجري الاحداث بسرعة مذهلة ، مع كل حدث ترتفع موجة التفاؤل.. وتتوقع افراجا سريعا ، لكن حدثا بعينه يدفع بقضية الافراج عنا الى الخلف ، ويدفع فى نفس الوقت المعركة الى بداية النهاية ٠
احكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٢٣ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتـــى

فى نفس اللحظـة التى توقف فيهـا القتــال **يــوم ٦ نوفمبــر** ، الغينــا قــرارنا الذى حدثتك عنــه فى رسالتى السابقتين · أحس بشفتيك تتحركان لتسالى ســؤالا أعرفــه ، وتعرفين أنت اجابته ، لكن بريق عينيك يطلب المزيـــد ·

قـرارنا الســابق الذى الغيناه كانت حيثياته تتلخص فى كلمــات : ان ننتهى جسديا **برصاص الحكومة الوطنية** ، خير من أن نمـوت مـــن الداخل حين نـرى أرضنــا المقدســة تدنسها أقـدام الاستعمارين الصهاينة، ونحن هنــا فى السجن **مكبلون** · ولم يكن قرارنـــا هــذا بسـبب الرغبـة فى الاستمتاع بحيــاة آمنــة مستقــرة بين الأهل والأصدقاء ، وانمـا كان لهـدف محـدد هو أن **نخـرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة** · وكنـــا على استعداد للعودة الى **السجن** مـرة أخـرى اذا لم ننــل شرف **الاستشهاد** فى ميـدان القتــال ، اذا ما اشترط الحكام ذلك ! كــان موقفنــا يا حبيبتى صادقا كل الصدق ، غايته محددة ووسيلته جـزء مـن هـذه الغـــاية ، فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لهــا ، كمـــا يفعـل الانتهازيـــون والوصوليون · ان كانت غايتك شريفــة فيجب أن تـكون وسيلتك الــى هذه الغـاية شريفة حتى ولو كــان ثمنهــا **المــوت** ·

هذه المعــانى كانت محـور حديثنــا مع **مامور السجن** بعـــد انتهــاء المـدة المتفق عليهــا كى نعلن تمـردنا ونخرج **من باب السجن** اذا لم يفـرج عنــا وبالتالــى نتعرض **للرصاص** ، قــال :

ـ اقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تتقلقــوا ··

ـ سننتظر طويلا ·· ربما حتى انتهــاء مـدة **عقوبة السجن** وربمـــا ســنوات أخرى **بعـدها** ··

قــال بدهشــة :

ـ وموقفكم الســابق ·· هل عدلتم عنــه ؟

ـ لـم يعـد لـه ما يبـرره ·· والغيناه ·

ـ هل يمكن أن أعـرف السبب ؟

- **ليس خوفا أو جبنا .**
- **لم يدر هذا بخاطرى ..**
- وانما لأن الظروف قد تغيرت بعد وقف **القتال ..**
- ظننت انكم وجدتم فيها فرصة للضغط ..
- عفوا .. وبعض الظن اثم .
- ربما لانى لا افهم العلاقة بين موقفكم الحالى وبين وقف القتال .
- كانت غايتنا أن نخرج من هنا الى ميدان القتال مباشرة ، **ويعود** الى السجن من بقى **حيا** منا ، اذا اشترط ذلك الحكام !

دقات نداء العشاء تدعونا ، ويقبل المأمور والضباط دعوتنا لتناول الطعام معنا . ويستمر التواصل الانسانى بين المسجونين ورجال **ادارة السجن** ، أثناء تناول العشاء ، وخلال **الحفلة الساهرة** ، التى أحياها الزملاء لمناسبة وقف القتال .

كانت هذه أول حفلة نقيمها منذ بدأ العدوان على بلادنا .

وبعد انتهاء الحفلة وقبل أن ينصرف المأمور ، عائدا الى منزله يقول :

- كل يوم اكتشف فيكم جديدا
- نرجو ان يكون محل تقديركم .
- كل التقدير
- وما آخر جديد اكتشفته ؟
- قدرتكم على العطاء كبيرة
- ولكنهم يحبسونها هنا فى قلب الصحراء .
- ورغم ذلك فعطاؤكم لا يتوقف .. حتى فى **الصحراء** !

كان المأمور يشير الى نشاطنا الثقافى والتعليمى فى **سجن « جناح » بالواحات الخارجة** . كما قلت لك يا حبيبتى فى رسالة سابقة ، اننا وصلنا الواحات ولم تكن بها الامكانيات التى تسمح بالحد الأدنى للحياة . وكان أول ما قمنا به هو توصيل المياه الى السجن ، واعداد مطبخ لطهى الطعام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى . بعد ذلك قمنا باعداد « **كافتريا** » نتناول فيها وجبات الطعام . ونستخدمها فى القاء المحاضرات ، كما كنا نستخدمها كمدرسة . أكثر من ٢٠ **مسجونا** من المسجونين العاديين الذين جاءوا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة وبعضهم درس حتى الاعدادية ، وبعضهم حتى **الثانوية العامة** . واثنان التحقا بالجامعة ، وأكثر من ١٠ سجانة واصلوا دراستهم ومنهم من **التحق بالجامعة** . فى نفس الوقت فتحنا فصول دراسية للزملاء الذين لم يتموا تعليمهم ، وفصول للغات المختلفة ، والرياضة ، والرسم .

كثير من الزملاء تعلم الرسم على يد **وليم اسحق وسعيد عبد الوهاب** وكان « **ملك الصحراء** » خيمة خاصة يستخدمها كمرسم بعد أن قام هو بنفسه بصنع الحامل والبراويز التى يشد عليها القماش . ان عندك

اللوحات التى رسمها وليم اسحق للزملاء ، وللزوار من أهالينا ، وللسجانة والضباط تكفى لأكثر من **ثلاثة معارض كبيرة** • كان أملا « لملك الصحراء » بعد أن توقف عن الرسم ما يقرب من أربع سنوات ، أن يرسم • وتكاتف الزملاء جميعا كى يحققوا لـه هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والاصدقاء توفر لـه كل ما يلزمه من قماش والوان زيت وجواش وورق وخلافه •

ما زالت صورة وليم فى ذاكرتى حين وصله أول طرد بـه القماش والألوان والفرش • احتضنهم بحب وأخذ يجرى فى انحاء السجن يصيح :

ـ راح ابتدى ارسم تانى •• أنا ملك •• أنا ملك •

ـ ملك ايه ياوليم •• ما خلاص مفيش ملوك ••

ـ لا فيـه •• أنا ملك •• أنا ملك الصحراء

ـ لكن انت ما تنفعش ملك يا وليم •

ـ مش الملك يملك ••

ـ وبيقولوا أنه لا يحكم

ـ أنا أملك الآن ما أستطيع أن أعبر به بالفن

ـ تبقى ملك الفن ••

ـ لا •• ملك الصحراء •• لأن فى هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيها فن •

ـ يعنى مش راح تحكم

ـ لا •• سايب لكم الحكم ••

ويكمل ضاحكا ••

ـ فى المشمش طبعا !

أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار فى صنع الحامل وبعض البراويز الخشبية ليشبد عليها قماش الرسم • وظل طول الليل يصنع كرسى خاص ليجلس عليه أثناء الرسم وبعد « الطبيعة الصامتة » التى سيرسمها فى الصباح، كنت معه كل تلك الساعات أقوم بعمل صبى النجار حينا ، وصبى الفنان حينا آخر ، وبين الحين والآخر نعمل قهوة « بن غامق » • !

ـ يا درش البن ده قشطه اليمن طول عمرى اشتريه من الراجل الخواجة اليونانى فى شارع شبرا ، عارفه ؟

ـ مش واخد بالى يا ملك ••

ـ يا أخى اللى جنب المقلة « مقلة شبرا » المشهورة ••

ـ أيوه •• أيوه •• افتكرت •• لكن يعنى لازم البن ده ؟

ـ مش ممكن أشرب الا « قشطة اليمن » •

وكان يرفض باستمرار أن يقوم أحد بعمل القهوة •

ـ أصل عمل القهوة فن

ـ طيب أولع لك الوابور ٠

ـ وابور أيه بس ٠٠ هيه برضه القهوة تتعمل على وابور

ـ أمال تتعمل على أيه ؟

ـ على نار هادية جدا ٠

ويقوم بعمل كومة صغيرة من الرمل ، ويضع عليها قطعا من غصون الاشجار الجافة بعد أن يقطعها قطعا صغيرة ، ثم يشعل فيها النار ويتركها حتى تتحول الى جمرات :

ـ طيب أحط الميه والبن والسكر ٠٠

ـ أيه هوه ٠٠ كده مرة واحدة ٠

يأتى بالكنكة ويبدأ بوضع البن ، ثم السكر ، ثم المية ٠

ـ ولازم بهذا الترتيب ٠٠

ـ طبعا ٠٠ دى بقى اسمها كيمياء ٠٠ ملعقة صغيرة من البن لكل فنجان و ½ ملعقة صغيرة من السكر ، ثم تضع الميه ، ودى برضه بالمقاس ٠ المية تبقى أقل شوية من سعة الفنجان ٠

ـ وبعدين نقلب بالملعقة ٠٠

ـ شوية قبل وضعها على النار ٠٠ وبعدين أثناء وضعها على النار الهادية ٠

ـ وتقصد قد أيه بقى على نارك الهادية دى ؟

ـ أنا برضة نارى هادية يا درش ٠٠ ؟

ـ مش قصدى ٠٠

ـ ده أنا مولع من جوه ٠٠

ـ نار القهوة « الهادية » دى عاوزه بيجى ساعة علشان تغلى ٠

ـ وماله مش لازم السائل تنضج ٠٠

ـ طبعا ٠٠ بس مش على الهادى قوى كده ٠٠

ـ بالضبط ٠٠ يعنى على النار المناسبة ٠

ـ وانت متأكد ان هيه دى النار المناسبة ؟

ـ التجربة الذاتية ٠٠ فضلا عن تجربة الملايين تؤكد هذا ٠٠

ـ طب الذاتية وفهمناها ٠٠ انما حكاية الملايين دى تبقى أيه ؟

ـ ملايين الفلاحين يا درش ٠٠ القهوة ٠٠ والشاى ٠٠ والأكل ٠٠ كله على النار الهادية دى !

ـ معاك حق ٠٠ اقتنعت ٠

ـ نشرب القهوة ٠٠ هات الفنجان البنى ٠٠ يدى للقهوة طعم ٠

ـ آعى دى بقى مش فاهمها ٠

ـ أولا : أنا أحب اللون البنى ، لانه لون مصرى أصيل ٠ وثانيا : القهوة البنى ، أعمق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى ٠٠

ـ حقيقى .. انسان وفنان .

ـ أيه ده .. اكتشاف جديد .

ـ أبدا .. انما تأكيد حقيقة ..

من يملك تكوينا انسانيا حقيقيا لا يملك فقط القدرة على التعامل الانسانى مع البشر ، وانما على التعامل أيضا مع الاشياء . ويبدأ « ملك الصحراء » فى أعداد مادة اللوحة التى سيقوم برسمها فى الصباح « حنظل » جمعه من الصحراء .. و (دوم) كان قد اوصى أحد السجانة بشرائه من « جناح » زهور عباد الشمس وبعض الورود ، وبعض فروع شجر الخروع . يضعها بطريقة ثم يتأملها من بعيد ، ويعود الى ترتيبها مرة ثانية بطريقة أخرى .. وثالثة ورابعة .. و . و .. وأروح فى نوم عميق . وفى الصباح الباكر أرى وليم وقد جلس أمام الحامل والفرشاة فى يده ، وعلى اللوحة خطوطا والوانا . جلست أتأمل هذا المشهد الانسانى . ما الذى يجرى داخل هذا الفنان وهو يمسك بفرشاته لأول مرة منذ اربع سنوات ، منذ انتزعوها منه ؟ ما الذى سيخرج من أعماق هذا الفنان ، بعد كل ما لاقاه فى **سجون مصر ، وابى زعبل وليمان طره ، والواحات** طوال أربع سنوات ؟ ما الذى يريد أن يقوله ، حين وضع « الحنظل » المر و « الدوم » الشديد الجفاف ، مع زهور عباد الشمس ، والورود التى زرعناها هنا فى الصحراء ؟

تجرى يده بسرعة على اللوحة ، خطوط ، والوان ، اتأمل اللوحة تارة ، وتارة اخرى اتأمل ما يجرى على وجه هذا الفنان من انفعالات . وفجأة ـ رأيت على وجهه ما لم أره ابدا من قبل خلال **سنوات السجن** . هل يمكنك يا حبيبتى تصور تعبيرات وجه أم وهى ترى طفلها يذبح أمامها ، وهى لا تستطيع انقاذه ؟ ياهول ما رأيته على وجه الفنان الصادق الذى يريد أن يعبر عما فى داخله ولا يستطيع . كان يقف على حافة السكين بكل كيانه ووجدانه ، ويرفض الهزيمة . وظل صراعه العنيف ضد احساسه بالهزيمة أكثر من ساعة . القى بالفرشاة وخشبة الألوان جانبا . والتفت الى وعلى وجهه ابتسامة تحد :

ـ مش هو ده اللى أنا عاوز اقوله .

وأنظر الى اللوحة بالوانها الجميلة وأقول مشجعا :

ـ مش من أول مرة يا وليم .

ويخرج من اعماقه تنهيده طويلة ويقول :

ـ ودى أول مرة ارسم فيها يا درش ؟

ـ قصدى يعنى منذ أربع سنوات .

ـ طيب وانت ايه رأيك فى اللوحة دى ؟

ـ المهم رأيك أنت الاول .

— لو شفت اللوحة دى فى معرض كانت تعجبك ؟

— ما انت عارف يا وليم انا معلوماتى فى الفن التشكيلى لاتزيد عن معلوماتى عن اللغة الهيروغليفية .

ويمسك بحجر ويلقى به ويخرق اللوحة ويمزق القماش ، ثم يقول :

— ما تعمل لنا فنجان قهوة .

— والقول ما رجحا :

— هو انا برضه أعرف أعمل قهوة !

ويبتسم ابتسامة باهتة :

— زى بعضه أعملها بقى بطريقة « المثقفين » .

بقدر صدق الانسان مع نفسه بقدر ما يكون احساسه بالهزيمة كبيرا . وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهارته وبراءته وتلقائيته . حقيقة جسدها لى وليم اسحق الفنان ، حين ظل لمدة شهر كامل ، رسم خلاله أكثر من عشر لوحات ويمزقها . وفى كل مرة كان يعانى آلاما تفوق طاقة البشر .. حتى أننا دون أن يشعر — فهو يرفض بشراسة أى مجاملة أو عطف — كلفنا الزملاء الذين يتجاوب معهم انسانيا ، بألا يتركوه وحده أبدا وكنت أنا الازمه طول الوقت فيما عدا الأوقات التى أكون مشغولا فيها . وكثيرا ما كان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجية » بدلا منى حتى لا أترك وليم .

وذات يوم لازمته منذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قد بداها . وكنت وأنا أتامله أحس من تعبيرات وجهه بأنه سوف ينتصر على الهزيمة التى ظل يعانى منها طوال شهر كامل . فى الدقائق الأخيرة كان يضع اللمسات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة هادئة تكسو وجهه ، ووضع الفرشاة جانبا وقال :

— تعمل بقى فنجان قهوة .

— بطريقة الفلاحين والا المثقفين ؟

يضحك من اعماقه ويقول :

— لا .. بطريقة الفلاحين طبعا .

وجلس يتامل اللوحة ، وقد استغرقه عالمه الخاص . وجلست الى جانبه اتامل اللوحة ، لكن شيئا آخر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانسان أحبه انتصر على الهزيمة بعد ان عانى منها طويلا . بعد أن رشف بلذة كبيرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قشطة اليمن » سالنى :

— أيه رايك بقى يا درش ؟

قلت مازحا :

— فى اللوحة والا فى القهوة ؟

ويبادلنى المزاح :

ـ فى القهوة طبعـا ٠
ـ لا ٠٠ دى قهوة مثقفين ٠
ـ طيب وفى اللوحـة ؟
ـ فيهـا ما تريـد أن تقوله ٠
ـ لكن رأيك انت أيـه ؟
ـ ما تقوله رائع وعظيـم ٠
ـ بلسانى أم بفرشاتى ٠
ـ وهل يمكن الفصل ؟
ـ كثيرون يفعلون ذلك ٠
ـ ليسوا فنانين ٠ هم أفاقون ٠
ـ لكنهم فىّ الصورة ٠
ـ مزيفون داخل اطار صورة مشوهة ٠

ويستمر حوارنا متصـلا ، نتحدث ، ونشرب قهوة بطريقـة الفلاحين ، ونسمع موسيقى بتهوفن وباخ وشوبان ، ونتأمل الصورة ، ونمشى وسـط الصحراء خارج الخيمة ثـم نعـود اليهـا ، ونعـاود التأمل فى الصـورة ، وتمتزج أشعـة الفجـر ، مـع صـوت الموسيقى مع حوارنـــا الانسانـى ، مع نظراتنا الحانيـة الى اللوحـة ، ونعيش لحظـات فى عـالم خاص ، ونتمنى أن يكـون هذا هو عالم الناس كلهـا ٠

ـ فجـر يـوم جديد ٠
ـ هو آت لاريب فيـه ٠
ـ أحلم أن يكون كمـا أراه فى هذه اللحظـة ٠

وأفيق من حلمى على صوت ينـادى على :

ـ يا زميل منتظرينك فى «**الفرن**»

كنت أذهب الى « الفرن » ثلاث مرات فى الأسبوع مع طلوع الفجر ، كى أقوم بعملى هناك ، وكان تخصصـى « **فـرد عجينة الخبز بالنشابة** » ٠ وعن نظـام العمل فى الفرن ، والمطبخ ، والمنشآت الأخرى ، سأحكى لك عنهـــا فـى رسالتى المقبلة يا حبيبتـــى ٠

٢٤ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٦)

حبيبتـى

قبل أن أدخل السجن قـرات وكتبت كثيرا عن الكادحين وعرقهم وآلامهم ، غير انى لـم أحس بهم تماما الا عندما أصبحت **كادحـا** ما يقـرب مـن ثلاث سنوات فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجية** .

منـذ اللحظة الأولى التى وصلنـا فيهـا الصحراء ، لم يكن أمامنـا كـى نعيش سـوى أن نتحول الى كادحين حقيقين ، ناكل من عرقنـا وكدحنـا . كنـا ثلاثين كادحـا فقط حين وصلنا الى **أرض الصحراء** الجرداء من كـل مقومات الحياة الضرورية . وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقـوم كـل واحـد منـا بعمل يومى عـام فى المعسكر ، وعمل آخـر خاص فى خيمـة السكن . فى نفس الوقت خلق تخصص فى الأعمـال العـامة ، خبـازين ، وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، واخترت أن أكون خبازا وكـان تخصصى «فـرد» رغيف العيش وهو عجينـة « بالنشابه » . والعمل فى الفـرن يبـدأ مع **غـروب** شمس كل يـوم حتى **ظهـر اليـوم** التـالى . المتخصصون فى العجن واللت يذهبون مع غروب الشمس يمزجون الدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتون حتى يصـبح للعجينة « عـرق » ، فيغطونهـا باجولة من الخيش ، ويشترط فى هؤلاء الكـادحين أن تكـون صحتهم جيـدة ، وعضلاتهم قـوية ، وأجسامهم طويلة . وقبـل الفجـر بقليل يذهب الى الفـرن متخصص آخـر ، يمسك بطـرف أصابعه قطعة من العجين ليـرى قـوة « العـرق » فيهـا ، ثـم يذوقها بلسنـانه ليتأكـد من « **حدقهـا** » . اذا وجـد كل شىء على ما يرام نادى على فـريق العمل ويقسم الى اثنين يقف كل منهما على « **عين** » الفـرن ، واثنين يضعان الخشب والحطب تحت « **صاجة** » الفـرن ويراقبان اشتعال النـار . كلما خمد لهيبها يعطـونها المزيـد من الحطب ، واثنين يقفـان على « ماجـور » العجين ويشترط فيهمـا ان تكـون عضلاتهما قـوية ، حيث مهمتهما أن يخرجا مـن « الماجور » كميـة مـن العجين لا يقـل وزنهـا عن ١٥ **كيلو** ، ويضعاها على « الطاولة » حيث يتلقاهـا اثنـان آخـران أحدهمـا يقطع بيـده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنهـا الثانى ، ثم يدفع بهـا الى أربعـة من حاملى « النشـاب » الذين عليهم أن « يفـردوا » القطع الصغيرة « المكورة » من العجين الى ما يشبه العيش « الاسكندرانى » الرقيق والمنفوخ . وطبعـا هنـاك فـرق بين النوعين وهو احد الفروق التى لاحصر

لها بين المدينــة والريف ٠ وبعــد فــرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغيفة يحملهــا بمهارة من يضعها على « **الكريك** » ليدفعها آخــر الى عين الفــرن ٠ وبعــد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبــوز وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون في يد كل منهم سفنجة مبلولة بالمـــاء يمسح بهــا بسرعة « **وجه** » الرغيف حتى « **يلمع** » ٠ ويقوم آخرون بــرص الخبز على ألواح من الجــريد ، ثــم يقــوم الموزعون بتوزيع الخبــز علــى « الخيــام » ٠ كل خيمة حسب عدد أفرادها ، ولكل فــرد ثلاثــة أرغفــة فــى اليــوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفــة فقط ، مثل مجمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة ٠

فى أيــام الشتاء خاصــة ، كنت أخــرج فــى الفجــر مــن تحت أربــع بطاطين الى **بــرد الصحراء القارص** ، وأسير فى الخــلاء حوالى **٢ كيلو متر** حتى أصل الى **الفــرن** ٠ وقبل خروجى ألبس ملابس داخليــة « كســتور » ثم بدلة السجن « العبك » وبلوفر « صوف » وفوق كل هذا التفح **ببطانيتين**٠ وفى كل مــرة كنت أحسب أنى قمت بعمل التحصينات اللازمة ضــد البرد ، كــان « **سرسوبا** » أو « **سرسوبين** » أو عــدد من « **السراسيب** » **تختــرق** جلدى ، ولحمى لتستقــر فى عظامى باردة **كالثلج** ! ٠ وكنت أجــرى بسرعة الى حيث **الدفء** فى الفــرن ، وعند عودتى من العمل فى عــز الظهر والشمس عمودية على راسى مباشرة كنت أضع بطانيــة عليهــا حتى لا أصاب **بضربة شمس** ، واحمل البطــانية الأخــرى والبلوفــر الصوف ٠ وبداخلها ٣ أرغفة عيش « سخنين » و « نقــاوة » ، وكانت هذه الأرغفة الثلاثة علاوة استثنائية لكل العاملين فى الفــرن الذين يبدأ عملهم فى الفجــر فقط ٠

وفى أيــام الصيف يبــدأ الجــو الرطب بعــد منتصف الليل حتى بعــد الفجــر بقليل ، ومع أشعة الشمس الأولى يبــدأ الجــو فى السخونة التــى تمتصهــا ألواح الصاج فــوق رؤســنا فى **الفــرن** ، ترسلها الى اجســامنا بلا رحمــة ، وكلمــا زادت حرارة الشمس ، كلمــا ازدادت كميــات العــرق التى تخرج من أجسامنا ٠ ولا يأتى الظهــر الا وتكــون أجسامنا عــارية تمامــا ، الا مــن « الشــورت » طبعــا !

ودون مبالغــة ، كــان « **خبزنا** » أفضل من « **خبــز** » القاهرة ، ولا يقــل جودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة « **أمور السجن وضباطه** الذين كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا يأكلون من « خبزنــا » ! وشهد الاهــالى الذين حضروا اليــنا فى زيارات ما شهدت به ادارة السجن ٠ وكنــا نعطــى لكل زائــر ٣ أرغفــة يأخذها معــه عند عودته ، بالاضافة الى ما كان يأكلــه خــلال الزيارة التى كانت تستمر يومين متتاليين ٠

ودون مبالغــة ــ مــرة ثانيــة ــ تمكنــا من صنع كحك العيــد وبسكويت وغريبة بمناســبة الأعيــاد ٠ كمــا صنعنا « جاتوه » و « تورته » فــى

المناسبات المختلفة خاصه فى أعياد ميلاد الزملاء . لكن ذلك لم يحدث الا بعد فترة أدخلنا خلالها التحسينات الضرورية . فقد بدانا « بتكنولوجيا » محلية . ثم استوردنا تكنولوجيا مناسبة للبيئة . مثلا بدأنا « تحمية » الفرن بنيران الحطب ، وانتهينا الى استخدام « السولار » . كذلك المطبخ بعد أن كنا نطبخ على « الكانون » ، وفى صفائح ، اصبحنا نطبخ فى « حلل » كبيرة وعلى « بوابير » كبيرة تشتعل بالسولار ، كتلك التى نراها فى المطاعم الشعبية وعند « بتوع الطعمية ».
وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المتمسكين بالقديم ويرون ان الاساليب البدائية تعطى « نكهة » « خاصة » « للطبيخ » وللخبز . وبين المنادين بالجديد وأساليبه الحديثة التى توفر الجهد والوقت . وكان انصار القديم يضعون الجهد الاكثر نظير الطعم الألذ والافضل . ويرد عليهم دعاة الجديد بأن الجهد الأقل نظير الوقت الأطول للثقافة والتزود بالمعرفة ، وخلال المناقشة يطرح أحد الخبثاء سؤالا : أيهما أكثر متعة ، الطعام اللذيذ ، أو قراءة كتاب ، أو سماع قطعة موسيقية ؟ والطريف ان بعض الزملاء وقعوا فى « خية » السؤال الخبيث فراحوا يتبارون :
ـ أنا شخصيا أفضل قراءة كتاب عن أكلة دسمة .
ـ أمال عامل زى عجايز الفرح ليه مش عاجبك الأكل ؟
ـ انا لم أنقد الأكل الا فى الأيام الأخيرة .
ـ يعنى بعد استيراد « التكنولوجيا » .
ويضحك الجميع ويصفقون مهللين ..
ـ تبقى من أنصار القديم ..
ويدرك « المطب » الذى استدرج اليه ويشاركهم الضحك والتصفيق .
والحقيقة أن ادخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة فى السجن وفر لنا كثيرا من الجهد والوقت . وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافى والفكرى والفنى .
فقد استطعنا تنظيم وقتنا بصورة دقيقة ساعدت الجميع على التحصيل الفكرى والثقافى بشكل كبير . فقد كتب المرحوم « خليل قاسم » روايته الشهيرة «والشمندورة » ، وكتب صلاح حافظ مسرحية « الخبر » وكتب مجدى فهمى كتابا عن « التفسير المادى للتاريخ » وترجم حليم طوسون « مبادىء الفلسفة » وشريف حتاتة « مبادىء الاقتصاد السياسى ومعظم اشعار فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فترة سجن جناح ، وتعلم عدد من الزملاء لغات جديدة ، انجليزية ، وفرنسية ، وروسية ، هذا الى جانب النشاط المسرحى فقد قدمت مسرحيات من تاليف صلاح حافظ ورؤوف نظمى وعبد المنعم سعودى .
هكذا بدأنا من الصفر ببدائيات بدو الصحراء الى امكانيات تقربه

(م ١٥ ـ الرسائل)

من مثيلاتها فى المدينة • وأقمنا على أرض الصحراء القاحلة نوادى سياسية وثقافية ومرسم ومسرح • وتحولنا نحن من كادحين فى بلاد شديدة التخلف يعملون أكثر من ١٨ ساعة فى اليوم ، الى كادحين فى بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات فى اليوم ! لقد تمكنا من تحويل هذه البقعة من **الصحراء** الجرداء الى **أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير تسوده المساواة التامة ، لكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات ، الجميع يعمل عملا يدويا لا فرق بين زميل وآخر • وكل ما يصل الزملاء من نقود وطرود **لصالح الجميع** فيما عدا استثناءات قليلة كحوافز مادية • وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العاديين والضباط والجنود بمثاليته من حيث العلاقات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقة فى الحقوق والواجبات ، وتوفير أفضل الظروف للتزود بالمعرفة والثقافة •

ومثلما كنت أحس بالكادحين قبل دخولى السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاشتراكى وشعاره « من لايعمل لاياكل » مجرد تصور نظرى • وحين طبقنا هذا الشعار فى تلك **الأرض الجرداء** أصبح هذا التصور حقيقة • لقد دلت تجربتنا خلال السنوات الثلاث التى قضيناها **فى سجن « جناح »** ، على أن تخطيط أقل الامكانيات القائم على وحدة الفكر والعمل هو الطريق الوحيد لبناء مجتمع المساواة فى الحقوق والواجبات للجميع • واذا كان الانسان هو أداة خطة البناء وهدفها لبناء مجتمع متقدم ، فقد نجحنا أيضا فى تحويل هذه المقولة الى حقيقة • ففى ظل أصعب الظروف لم نتوقف لحظة واحدة عن تثقيف أنفسنا • وكما قال لنا يوما أحد الضباط الاصدقاء أن تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفى مجتمع حر ، أمر يستحق التقدير أما أن ينجح **مسجونون** فى ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحرية **فهو أسطورة** ••

ذات يوم من أيام سجن جناح ، دار حوار طريف بين عدد من الزملاء بدأ بنكتة من أحد الزملاء العمال :

ـ أنا شخصيا مبسوط جدا هنا !

وتلقى النكتة زميل عامل آخر

ـ نعمة يحفظها من الزوال •

باستنكار يقول زميل مثقف :

ـ مبسوط أيه •• ونعمة أيه •• يا زملاء •• الحرية هى كل شىء •

ـ ليس بالحرية وحدها يحيا الانسان •

ويرد المثقف :

ـ دى نظرة ضيقة الأفق ••

ـ ليه بقى ؟

ـ أن تفضل الاكل على الحرية •

ويضحك زميل ثالث من العمال :
ـ وقع فى « المطب » .. وهل هنـاك تناقض بين الأكل والحـرية ؟
ـ أصل لـه مفهومه الخاص عن الحـرية .
ويغضب الزميل المثقف ..
ـ افهم من كـده انكوا تفضلوا **السجن** « هنـا » عن الحرية ؟
ويقول الزميل الأول الذى بـدأ الحوار بنكته :
ـ ببساطة .. نتمنى الخروج من السجن .. ونرجو ان يتوفر لنـا فى بيوتنـا ما ناكله هنـا ..
وتبـدو « الدهشـة » على وجه الزميل المثقف :
ـ للدرجة دى ؟
ـ واكثـر يا زميل !
ـ ازاى ؟
ويصيح الزملاء العمـال :
ـ لا بقى .. ده مش معقـول .
ويدرك الزميل المثقف ـ متاخرا ـ أنه **نسى** ما قـراه وسمعه عن حيـاة العمال والكادحين .
هذا الحوار يا حبيبتـى لـم يحدث بالطبـع ، وانما هو صـورة **فنية** أردت بهـا أن أجسـد لك حقيقـة عـازية ، الانفصـام بين الفكـر والممارسـة . كثيرون من أبنـاء الطبقـات المقتدرة الذين حملوا الفـكر التقدمى لـم يستطيعوا حـل التناقض بين **ما يحملونـه من فـكر ، وبيـن ممارستهم للحيـاة** ، لسبب محـدد هو أنهم ذاتيـون . ولست هنـا فـى مجـال الحديث عن الاضرار التى أصابت الحركة الثورية حين تولـى **بعضـهم** مراكز قيادية ، وانما أريـد أن أصـور لك سلوكهم فى سـجن **« جنـاح »** فى نظـام حياتنـا وكيف استطعنـا من خلال اعـادة تثقيفهم ، أن نصل الى المجتمع النموذجى الذى كتبت لك عنـه فى هذه الرسـالة . لقـد كانوا خارج السجن « **يشتركـون فى المعـركة مع الحـكم الوطنـى** » اثنـاء العدوان الثلاثـى وبعده بشهور . والقـى القبض عليهم . وصـدرت احـكام ضد بعضهم ، وافرج عن البعض الآخـر لبراءتـه ، ثـم ارسلوا بهم الينـا فى **الواحـات** فى أوائـل عام ١٩٥٧ ، وكان أول ما أثـار انتباهم هـو نظـام « الحياة العامة » عندنـا والذى يقـوم على المصـادرة « **١٠٠ ٪ لصالح** الجميـع » مع استثنـاءات قليلـة جـدا . لقـد كادوا أن يدمروا كـل المعانـى العظيمة التى أستطعنـا أن نغرسـها فى نفوس الزملاء المسـجونين القدامى ـ **منذ عـام ١٩٥٢** ـ لكننا عالجنـا الامـر بمرونـة وحكمـة واستطعنـا أن نحمى مجتمعنـا النموذجـى وسوف تـكون رسالتـى القبلة عن هذا الموضوع يا حبيبتـى .

٢٥ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٧)

حبيبتى

مع كل دقيقة تمر منذ التقيت بك يزداد يقينى بلحظة الصدق التى أعيشها ، ويزداد اصرارى على التمسك بها حتى آخر دقيقة من عمرى · ربما لا يجد واحد من زملاء المسيرة ما يغضبه فى رسائلى السابقة ، لكنى ارجح أن هناك من سيجد فى رسائلى المقبلة ، ما سوف يغضبه · وربما يلقى فى وجهى بعدد من الاتهامات ، لكنها لن تصل بأى حال الى تلك التى الصقوها بعدد من الثوريين · ومتى ؟ فى **ديسمبر عام ١٩٥٦** · وكان المدانون وبعض الذين أدانوهم صدرت ضدهم **أحكام بالسجن والأشغال الشاقة** · على أن هذا ومثله ليس مجال حديثى فى هذه الرسائل ، وسيكون لها مكان آخر·· وحديثى هنا ينصب فى الأساس على نموذج من السلوكيات الشخصية داخل السجن حيث يكون الانسان **عاريا** تماما لا يستطيع ستر عورة من عوراته ، تحت أى قناع أو ستار · لقد دلت تجربتى الخاصة على أن السلوك الشخصى هو محك صدق الثورى · فالثوريون يا ابنة الستينات من **طينة خاصة** · وبقدر ما يكون التكوين الانسانى للثائر سويا ، بقدر ما ينبت الفكر ، وينمو ويزدهر ، ثم يجنى ثمارا يانعة له وللآخرين · وفى قاع النفس اللا انسانية تضيع كل جرعات الفكر التقدمى الانسانى ، اذا وصلته ، أو تقف عند مخه التى لا يرسلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكها فى حديث **مبهر** ، أو مقال **رشيق** يحتوى على « **بهارات** » ثورية جدا ! · واليك تجربتنا معهم فى نظام الحياة العامة :

منذ بدأ تواجدنا فى السجون بالعشرات منذ **الخمسينات** ونحن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس **مصادرة** كل الامكانيات التى ترد الينا واعادة **توزيعها** على الجميع يتساوى فى ذلك من تصله امكانيات مهما بلغت قيمتها ، ومن لا يصله **شىء** على الاطلاق · طبقنا هذا النظام فى **سجن مصر وفى أبى زعبل وفى ليمان طره وفى سجن « جناح » بالواحات** · وخلال تلك السنوات ـ **٥٢ الى ٥٧** ـ لم يثر أصحاب الامكانيات ـ على قلتهم ـ أقل معارضة لهذا النظام وبلغت حماستهم له انهم كانوا يعملون باستمرار على مضاعفة

امكانياتهم كلما اشرفنا على الافلاس الذى يهددنا بأن نعيش على ما يقدمه لنا السجن فقط وهو دون الكفاف ·

وكانت المفاجأة فى أوائل عام ١٩٥٧ حين وصل الينا من سجن القناطر الخيرية عدد من أصحاب الامكانيات ومعهم عدد من المعدمين ويحملون معهم نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصالح الجميع ، والـ ٥٠٪ الباقية لصالح أصحاب الامكانيات ·

ويدور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر الخيرية وبين مسئول الحياة العامة فى سجن « جناح » بالواحات الخارجة ويتوقف حتى اتخاذ قرار ·

وجائنى مسئول الحياة العامة ، فقد كنت فى ذلك الوقت أملك اتخاذ القرار ، قال :

ـ اليك استقالتى ·
ـ وهل أملك قبولها ؟
ـ ولماذا لا تملك ؟
ـ انت منتخب ولست معينا ؛
ـ أقدمها للجمعية العمومية ·
ـ ربما أمكن علاج الموقف ·
ـ لا أظن ·
ـ كيف ؟ انهم زملاء ·· !
ـ أشك فى ذلك ·
ـ كلامك خطير ·
ـ واتحمل مسئوليته ·
ـ الى هذا الحد ؟
ـ واكثر ·
ـ انتظر ·· سنرى كيف نعالج الموقف ·

وابدأ نقاشا مع الزملاء :

ـ المسألة فى غاية الحساسية وارجو ان توافقوا على نظامنا ··
ـ وهل تصادر الامكانيات خارج السجن لصالح كل الزملاء ؟
ـ افضل ان نرتفع بمستوى المناقشة ·
ـ لكنك لم تجب على السؤال ؟
ـ ما زلت أحترم ذكاءكم ·· انتم تفهمون ما اعنيه ·
ـ أليس لكل انسان احتياجاته الخاصة ·· ؟
ـ بالتأكيد ·· ولكن زيدونى ايضاحا ·
ـ المريض الذى يحتاج الى طعام معين ·

– يوفـره له نظامنـا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمهـا •
– المدخن الذى يشرب ٤٠ سيجارة فى اليوم مثلا •
– ربما تجـد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحدة • •
– وقتئذ تـكون المسـألة مفروضـة •
– أليس من الأفضـل أن يكون الأمـر بارادتكم ؟
كان مجدى فهمى وسعد باسيلى يشاركانى فى هـذا الحوار • تداولنا فى الأمر مـرة أخرى واتفقنـا على نقل حوارنا معهـم الـى كـل الزمـلاء ، وهو يتضمن ادانـة لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنـا للحياة العامـة والذى ارتضيناه ما يقـرب من خمس سنوات • فى ذات الوقت نقترح نظاما آخـر مرنا جوهره المصادرة ولكن مـع استثنـاء بعض الأشـياء والتنـازل عن ١٥٪ مـن قيمـة مـا يـرد اذا زادت القيمـة عن ٥ جنيهات ولمن يرغب • وكان من المسـتحيل أن نتجاهـل انانيـة من يملكـون الامكانيات والتى يمكن أن تدفعهم بعد تغليفهـا « بموقـف مبـدئى » الى تقليـل ما يقدمونه أو حتى الى الامتنـاع عن تقـديم شىء بالمـرة • وعند مناقشـة هذا النظـام الجديد معهم وافقـوا بشرط ان تزيـد نسبة الاستثناء الى ٢٠ ٪ اذا زادت قيمة ما يـرد من امكانيـات عن ١٠ جنيهـات ولـم نعترض • فالذين تقـل قيمة امكانياتهم عـن ٥ جنيهـات لن يطالبـوا بنسبة لانهم مع المصـادرة الكاملة ، واولئـك الذين تزيـد قيمة امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم •

ومع أننا بذلنـا جهــودا مكثفـة لاقنـاع زملائـنا القدامى للموافقـة علـى هذا النظـام الجديد ، ولكـى تـكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات واقعيـة • فـان العلاقات الانسانية بينهم لـم ترتـق أبـدا الى مثل ما هـى عليـه بين الزملاء القدامـى •

ربمـا طـال حديثى قليـلا عن الموقف من نظـام الحياة العامـة داخـل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطـرح جانبـا من جوانـب السلوكيـات الشخصية للمناضـل خاصـة داخل السجن حيث الهدف الأساسـى هـو خلق أرقـى علاقات انسانيـة بين الجميـع ، كضرورة للمقاومة الجماعيـة لكـل الظروف الصعبـة التـى يواجهونهـا فى السجن •

لقـد حسبنا عندما حضر الينـا الزملاء من سجن القنـاطر الخيرية فـى أوائل عـام ١٩٥٧ اننا سنسمع الكثير عن تجربـة تعاونهم مع الحكومـة الوطنيـة ، وسنسمع اكثر عن دورهم فى المقاومة الشعبية فى بورسـعيد ، وأخيرا ، وليس آخـرا ، عن سبب تفاؤلهم الشـديد فـى قضية الافراج عنـا بعـد تأميم قنـاة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثـى ، ولكن بـدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكـون وقتنـا فى قضيـة تتعلق بذواتهم فـى المقام الأول !

ذات مساء من ربيع عام ١٩٥٧ ، وكنت مستلقيا على سريرى الخشبى فى الخيمة ، وجدت نفسى أمام شريط طويل من ذكريات الماضى البعيد • **الأربعينات** ، **وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من الخمسينيات** ، ما هى حصيلتها اليوم ؟ فجاة طفرت الدموع من عينى غزيرة • خرجت من الخيمة مسرعا الى مكان بعيد وسط الصحراء ، قمر ١٤ يرسل نوره فى المكان ويكاد يحيل ظلام ليله الى نهار لكن عيناى لا تراه ، ولا تحس الا بظلام مستقبل حالك السواد • هواء ربيع الصحراء نقى ومنعش ، لكنى أكاد أختنق ! وآلام حادة فى كل جسمى ، تنفذ الى عظامى وتكاد تحطمها ، دوار يلفنى وصداع يكاد يحطم راسى ، وأروح فى اغماءه • أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظمى** وعلى وجهه ابتسامته الانسانية : ..

- نومة لذيذة فى الهواء المنعش ده •
- نومة واغماءة ؟
- وانت برضه من الصنف اللى يغمى عليه ؟
- أيه بقى ؟ انسان ميكانيكى ؟
- قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة •
- وكل قدرة لها حدود ••
- أثق فى انها لن تصل الى تلك الحدود •
- أرجو ••

يقول وابتسامته لا تفارقه :

- تسمع حتة الزجل دى ؟
- أنت عارف يا رؤوف •• أنا أحب أسمعك وأنفعل بكلماتك •• لكن حالتى لا تسمح •
- طيب ما تيجى نروح عند الملك ؟
- لا ، أفضل أن أجلس هنا قليلا ••
- لوحدك •• لا ••
- أرجوك ••
- لا تنس أننى مشروع طبيب •

ويتركنى دقائق • ويذهب ذهنى بعيدا الى أواخر الأربعينات •

كان **رؤوف نظمى** واحدا من المناضلين القادرين على كسب ثقة الجماهير ، بين طلبة **كلية الطب** حيث كان طالبا ، وبين عمال وأهالى حى بولاق حيث ولد هناك • احترف العمل الثورى وهو فى السنة النهائية ، ثم قبض عليه وقام خلال محاكمته بعمل **دفاع سياسى** يعترف فيه بعضوية التنظيم الذى فصله ويدافع عن سياسته على الرغم من بعض تحفظاته عليها •

هـل كان من باب الصحفـة أن يدان رؤوف نظمى وعـدد آخـــر مـن الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم **كاحمد الزقـم وعبد الخالق الشهاوى** وغيرهم من الذين أدوا دورا هامـا فى الحركة الثورية مثل **داود عزيز ووليـم طانيوس** ؟ وأن تصـدر هذه الادانـات والمعركة الوطنيـة فى عنفوانها ؟ مـا أخطر الذاتيـة حين تتمكن فى نفوس الذين يملكـون اتخاذ القـرار !

وأرى **رؤوف نظمى** قادما نحـوى ومعه **مجدى فهمى** ، وملك الصحراء ، ويدور حوار انسانـى أحكيه لك فى رسالتـى المقبلة يا حبيبتى •

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهــرة

الرسالة(٣٨)

حبيبتـــى

لماذا خرجت فى تلك الليلة التى حدثتك عنها فى رسالتى السابقة من خيمتى الى وسط الصحراء ؟ هل كانت الرغبة فى وقفة مع النفس ؟ كلا . فالتقييم الذاتى هو جوهر الوقفة مع النفس . هل كانت محاولة لتقييم موضوعى للمسيرة منذ انتزعونى من موكبها ؟ كلا .لست أدرى على وجه الدقة ما الذى كان يسيطر على كيانى ويكاد يهده هكذا . ربما كان ميتا أقرب الى احساس أم ذبحوا وليدها أمام عينيها . لقد شدنى هذا الاحساس **المؤلم** والبالغ القسوة وأنا أرى طريق المستقبل المنظور **حالك الظلام** ، بعد أن كان فى بداية الخمسينات يبشر بمستقبل **مشرق** . ولكن لماذا تملكنى هذا الاحساس بعد مجئ زملائنا من سجن **القناطر الخيرية** منذ شهور وفى تلك الليلة على وجه التحديد ؟ حقا كان لهذا الاحساس ارهاصات ، لكنها لم تجعلنى يوما قبل ذلك اليوم المشهود أتشاءم من المستقبل المنظور وبمثل هذه النظرة شبه اليائسة . منذ القى القبض على كانت لنا ملاحظات سياسية وفكرية وتنظيمية على عمل زملائنا فى الخارج ، بعثنا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما ادنى اهتمام . **كانوا من** عليائهم يرسلون الينا بكم هائل من التقديرات والتحيات ، لمواقفنا البطولية فى السجن ! ولصمودنا فى **وجه الارهاب** ونجاحنا فى المحافظة على **وحدة** الزملاء داخل **السجن** ! لكن دون اشارة واحدة الى ما نرسله لهم من نقد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية . وكنا نقابل كل هذا الكم من التقديرات والتحيات بفتور **بلغ** حد السخرية فى بعض الاحيان ثم وصل الى حد الاستنكار حين وصلنى قرارهم الذى ينص على التقدير الخاص بى ؟ **ضمن قائمة** قرارات الادانة **لعدد من أخلص الزملاء** ؟ وسجلنا **استنكارنا هذا فى** شكل رفض لهذا « التقدير » وادانة الهدف امنه ، فى ذات الوقت اتخذنا قرارا كنا نملك حق اصداره برفع **الاتهام** عن الزملاء **المدانين** . ومع ذلك فقد ظلوا فى « عليائهم » ولم تصل الينا كلمة واحدة منهم . حتى حين أوقفنا قرارا منهم « بالتحقيق » مع زملائنا « القدامى » والمسجونين منذ أكثر من خمس سنوات سكتوا ولم ينطقوا بحرف واحد . وكانت

القشة التى قضمت ظهر البعير هو موقفهم من نظام الحياة العامة . لقد ضاع كل شىء ولم تبق سوى قيمة الروح الجماعية التى نجحنا فى تأكيدها عند زملائنا القدامى ، فهل يريدون تدميرها بعد أن **دمروا كل شىء فى الخارج** ؟ .

ويشدنى من تأملاتى صوت « **ملك الصحراء** » .

ـ ولا يهمك يا درش .

ـ ولا يهمنى من ايه يا ملك ؟

ويعلق **رؤوف نظمى** :

ـ طول ما فينا نفس مش راح نسكت أبدا .

ـ وأيه الى تقدر تعمله أنفاسنا الباقية .. فى السجن ؟

ويسود الصمت لحظة .. يقطعه قول **مجدى فهمى** :

ـ وقف التدهور على الأقل .

ـ أرجو أن لا نكون قد وصلنا الى نقطة اللا عودة !

ويبتسم مجدى فهمى ويقول :

ـ لا دى الحكاية عاوزة فنجان قهوة من بن « قشطة اليمن » .. ايه رأيك يا ملك ؟

ويصيح الملك :

ـ أجرى يا رؤوف جهز لنا عدة الشغل . .

ويلتفت الى رؤوف نظمى . .

ـ عاوز قهوة « مثقفين » ولا قهوة « فلاحين » يا درش ؟

ـ ما كفايانا مثقفين يا رؤوف . .

وفى خيمة الملك أجد عددا من الزملاء الذين تربطنى بهم علاقة أبوية . مجموعة من الشباب لا يزيد عمر أكبرهم عن ٢٣ عاما . **نبيل حلمى** الطالب بالسنة النهائية بكلية الآداب . جسمه النحيل يحمل امراض الكبد ، والكلى والاشتباه فى الصفراء . **مجدى نجيب** ابتسامته الانسانية وتلقائيته التى تبشر بمولد فنان كبير على يد الملك . **ماجد حافظ** الطالب بالثقافة العامة « العمدة » الذى يسهر على راحتنا . **مصطفى حامد** عامل الخراطة الذى تعلم القراءة واكتابة فى أقل من ثلاثة أشهر . وكتب بتشجيع منى تحليلا سياسيا نشرناه فى النشرة الداخلية **ومحمد خليفه** طالب الثانوية العامة الذى حكم عليه بالاشغال الشاقة **عشر سنوات معى** . **وفايز مراد** طالب الثانوية العامة بتكوينه الانسانى السوى المعطاء ، وابتسامته الذكية أحيانا ، والخبيثة أحيانا أخرى ، وسعيد عبد الوهاب الفنان الموهوب .

ما ان دخلت خيمة « الملك » حتى احتوت كيانى المهدود كلمات الزملاء « أبنائى » .

ماجد حافظ « عمدة خيمتنا » يقول :

ـ انقد نفسك يا زميل •
ـ ليه يا عمدة ؟
ـ جرادل الميه فاضيه • •
ـ معاك حق •• نسيت •
ـ يعنى أيه نسيت • • اقترح عقوبة على نفسك •
ـ أقترح أنت يا عمدة •
ـ العمدة لا يقترح •• وانما يقرر •
ـ قرر وسأنفذ فورا •
ـ خذ ٣ سجاير هوليود « لارج » • •
وأضحك قائلا : •
ـ على كده راح انسى كل مرة ••
ويقول متوعدا :
ـ لا •• المرة الجاية بقى • • حاتشوف •
ويقول **مجدى نجيب** • •
ـ انى اتهم • •
ـ أيه يا مشروع فنان •
ـ تعطيل المشروع •
ـ ازاى ؟
ـ انت نسيت يا استاذ ان موعدنا اليوم لرسم « بورتريه » لك • •
ـ معاك حق يا مجدى • • متاسف • •
ـ أقترح عقوبة لنفسك • •
ـ ترسمنى مرتين • •
ويضحك الجميع من قلوبهم • •
ويقول **مصطفى حامد** :
ـ كله كوم • •وحسابى معاك كوم لوحده •
ـ كان موعدى معك •• لمراجعة مقالى للنشرة •
ـ وده معناه أيه عند الثوريين • •
ـ تخريب الثورة طبعا • •
ـ اقترح عقوبة لنفسك • •
والتفت الى الملك ضاحكا • •
ـ اقترح انت يا وليم • •
ويقول وليم ضاحكا :
ـ الشنق طبعا • •
ويضج الزملاء بالضحك • والتفت الى **رؤوف نظمى** قائلا :
ـ احدث طريقة للعلاج يا رؤوف •

ويقول بود وحب :

ـ أولادك وأحبابك . . عاوزينك !

وأحس بكيانى المهدود وقد تبددت كل آلامه ، وصوت من داخلى يصرخ بأعلى صوت : **الحقيقة مؤلمة** ، نعم ، لكن مسئوليتك تضاعفت **عشرات المرات** !

ويناولنى الملك فنجان القهوة . .

ـ فنجان قهوة « قشطة اليمن » يعدل المخ . .

وأقول ضاحكا :

ـ ما دام قهوة « فلاجين » يبقى راح يعدل المخ . .

ـ همه دول يا درش مفيش غيرهم :

ويحتج **مصطفى حامد** :

ـ والعمال راحوا فين ؟

ـ يا سيدى العمال . . قيادة .

ـ للسلطة والا من خارجها ؟

ـ ما خلاص اتعدلت . .

يضج الجميع بالضحك وهم يتناولون قهوة « قشطة اليمن » التى تنبرع بها الملك على شرف « درش » ويهمس **مجدى فهمى فى أذنى** :

ـ أول مرة تخرق اتفاقنا . . .

ـ كنت فى حالة سيئة جدا .

ـ هذا أدعى . .

ـ معك حق . . .

ـ اذن لنا قعدة .

الهدوء يعود الى نفسى المضطربة وأنام الساعات الباقية من ليلة ذلك اليوم . وفى مساء اليوم التالى التقى مع **مجدى فهمى** فى احدى « قعداتنا » التاريخية :

أسأله :

ـ هل كان موقفا يائسا . .

ـ بل كان خطوة نحوه .

ـ ولكنى انسان .

ـ حقيقة وموقفك دليل جديد يؤكدها .

ـ وان تكرر ؟

ـ يصبح مهزلة .

ـ وتكتمل المأساة .

ـ لا يزال فى نفسك ما يسمح بتكرار الموقف .

ـ وكيف يزول نهائيا ؟

ـ ان تكون أنت .

ـ كان فى الخارج بريق من أمـل ٠
ـ ليكن الأمـل هنـــا ٠
ـ نبـدأ من الصفر مـرة أخـرى ٠
ـ وهل نملك غير ذلك ؟
كنـا نتحدث ونحن نسير فى الصحراء ، وعيـون الزملاء من بعيـد ترقبنا ، ما كانت ترانـا **متعانقين** ، يعكس نـور القمر ظلنـا ، جســما واحــدا ، يخـرج علينـا **سعيد عبد الوهـاب** ، لا نـدرى من أيـن وهو يصيح ٠٠
ـ اثبتوا ٠٠ خليكو زى ما انتـو ٠٠
ـ أيـه يا فنـان الجيل الصاعــد ؟
ـ حتــة دين منظـر ٠٠ مدهش ٠
ـ راح ترســمه يا سعيد ؟
ـ أتأمله ! الفن تأمــل يا أستاذ ٠
ـ دا الحب يا ســعيد ٠
ـ وهـوه الحب مش فن يا أســتاذ ؟
الحب بجميـع أنـواعـه هو علاقـة انسانيـة جوهرهـا الصــدق ٠ الصدق مع الذات ، والصدق مع من تحب ، حبيبـا كان ، أم زميـلا ، أو واحدا من ذوى القربـى ٠
وهذا الحب « الانسانـى » ليس غايـة فى ذاتـه ٠ أنـه غايـة وفى نفس الوقت وسيلة الى غايـة اسمى ، هى حب الوطـــن بكل ما يفرضـه هـــذا الحب من التزام ومسئولية ، واســتعداد لبذل الحيـاة ذاتهـا من أجـله ٠
والتفت الى مجدى فهمى قائــلا :
ـ مجدى ٠٠ انت دائما تصيب كبـد الحقيقـة ٠٠
ـ ليس دائما والا أصابنى الغرور !
ويستطرد ضاحــكا :
ـ ما هــى آخـر حقيقة أصبت كبدهـا ؟
ـ قولك ان الأمـل من هنـــا ٠
ـ فعـلا لـم يعد الأمن هنـا ٠
ومنذ ذلك التاريخ نفضنا كل الأوهام عن كاهلنـا . لنبـدأ **مـن جديـد** من **السجن** وبالزملاء الذين اثبتوا خـلال نضالهم خـارج السجن وداخله ، انهم قادرون على مواصلة المسيرة ٠
كيف بدأنـا ؟ وما الذى أنجزنـاه **منذ منتصف عـام ١٩٥٧** حتـى انتقلنـا من سجن « جنــاح » بالواحات الخارجة إلى سجن « المحاريق » بنفس **الواحات فى أغسطس عـام ١٩٥٨** ؟
هذا ما سوف أحدثك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

٣٠ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٩)

حبيبتـــى

كان علينـا بعد منتصف عـام ١٩٥٧ بعد اهتزاز الثقـة بزملائنـا فـى الخارج ، أن تستمد أملنـا فى مواصلة المسيرة من زملائنـا فـى السـجن بعد خروجنـا . كان قرارنـا : من السجن نبدأ من جديد . هذا على الرغـم من الأخبـار التـى وصلتنـا عن مباحثات الوحـدة بين التنظيمات الثلاثة وقـرب وصولهـا الى تنظيم واحـد « شـامخ » ! ولقـد كان شـعار الوحـدة جذابـا للغالبيـة العظمى من قواعـد وقيـادات التنظيمات الشيوعية فـى مصر . وكان موقف المسجونين من الوحـدة يتجسـد فى وحدتهم الطبيعية فى مواجهـة ظروف السجن وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسـية والايديولوجيـة والتنظيمية . لذلك رحبنـا بأخبـار مفاوضـات الوحـدة . وان كان هنـاك سـؤال يجول فى أعماقنـا : لماذا اندفعت القيـادات التـى عاشـت سنوات طويلة منقسمة على بعضهـا ، ويحـكم كل منها علـى الآخـر بالانحراف ، والانتهازية ، بـل والخيانـة ، الى **الوحـدة** ، وبهـذه **السرعة الجنونية** ؟ وهـل تنبـع هذه الوحـدة من ايمان حقيقـى بضرورة انهاء **الانقسـام الطويـل** ، أم أنهـا محاولة يائسـة لقيـادات تشعر **باهـتزاز** ثقـة قواعدهـا بها ، وتحاول استرداد هذه الثقـة ؟

وكان علينـا أن نجيب على السؤال الكبير :

كيف نعـد انفسـنا .. ونعـد الزملاء لمواصـلة المسيرة بعد خروجنـا من السجن على أسس نظريـة وسياسية أكثر وضوحـا ؟ وكانت الاجابـة هـى : دعـوة كل الزملاء الى تقييم كل المواقف الفكرية والسياسية لزملائنـا فى الخارج منذ **٢٣ يوليو ١٩٥٢** بهـدف الخروج **بدروس مستخلصة** . وفى وجه معارضة شرسة واتهامات عديدة لنـا من بعض الذين حضروا الينـا فى **عـام ١٩٥٧** ، قررنـا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشـة موضوعـات أذكر منهـا : الموقف من ثـورة **٢٣ يوليو عند قيامهـا** . الموقف من أزمة **مـارس ١٩٥٤** . الموقف خـلال **العدوان الثلاثـى** . مفهـوم الوحـدة الوطنيـة وعلاقتـه بقضيـة الديموقراطية والحريات السياسية . كذلك مناقشة أهـم الموضوعات النظرية التـى تضمنتهـا بعض التقديرات الاساسية التى كتبها زملاؤنا فى الخارج وأهمها : « **حزب السلطة** » . و « **الوحدة مع الانتهازية تغليب لهـا** » و « **قرارات ديسمبر ١٩٥٦** » .

وخلال أشهر قليلة صدر من النشرة الداخلية « الوعي » عشرون عددا احتوت على الرأى الرسمي وكان الذينيدافعون عنه يدافعون في الواقع عن ذواتهم ، وعلى الرأى المعارض ، وقد جاء بآراء جديدة ، وأخرى كانت مرفوضة رسميا في وقتها على الرغم من صحتها . وفضلا عن أن هذه الاعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسية والفكرية ، فانها قد أكدت حقيقة ان اطلاق حرية كل الزملاء في المناقشة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بأنفسهم . ولقد كانت هذه التجربة التي لم تحدث في تاريخ التنظيمات الثورية في مصر أو خارج مصر مؤشرا لمفهوم جديد بدأت صياغاته الأولى منذ ذلك الحين عن الديموقراطية داخل التنظيم . ربما استطيع أن أكتب عنه في وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم انها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فانها قد أجابت على العديد من الأسئلة المطروحة وقتئذ . كيف يثق الزملاء بقدرتهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن نفضوا عن كاهلهم التعلق بأوهام نشاط زملائهم في الخارج ؟

كيف يحتفظون بطهارتهم الثورية ونقائهم الفكرى بعد إتمام الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من أرهاب فكرى تحت ستار « المحافظة على الوحدة » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عددا من الحقائق ويستخلصوا منها تجربة جديدة لمواصلة نشاطهم بعد الخروج من السجن ، حقيقة شكلية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التقليدية ، وحقيقة أنه لا أمل الا في الجديد الذى يقوم على أكتافهم ، وحقيقة أن قضية الأفراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو في الخروج من السجن بعد انتهاء مدة العقوبة ؟

كيف يمكن أن يصمد الزملاء في وجه « ظروف السجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم ، داخل السجن وخارجه ؟

لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة ، تملك وضوحا سياسيا وفكريا ، كان سلاحها في القتال ضد اليمين وضد اليسار داخل تنظيم الوحدة الجديد ، وكان سلاحها الذى قاتلت به دفاعا عن شرفها والتزامها .

وشهدت الشهور السابقة على نقلنا الى سجن « المحاريق » بالواحات الخارجة في أغسطس عام ١٩٥٨ أحداثا « هامة واخبارا مثيرة » ! . من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت تعثر مفاوضات الوحدة بين التنظيمات الثلاثة واعلانها بين تنظيمين ، فاقمنا احتفالات « بهيجة » لمناسبة

هذا الحدث « **السعيد** » . . ثم شهدت أعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** ـ وأقمنا احتفالات « **مهيبة** » لمناسبة هذا الحدث « **التاريخي** » . ثم شهدت انقساما ـ بعد أقل من أربعة أشهر في « **التنظيم الكبير** » ! وكان المنقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر غير أن الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علاقة **المسجونين القدامى** التي دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن . ولقد ساعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا في سجن « **المحاريق** » **الجديد** . فبعد اعلان « الوحدة الثلاثية » حمل الينا زملاء القى القبض عليهم في أوائل عام **١٩٥٨** حوكموا ونقلوا الينا في « **جناح** » أخبار بناء **سجن جديد** « **مخصوص** » **لنا في المحاريق بالواحات الخارجة** . ما الذي ينتظرنا في السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلا :

ـ اللي أكلناه وز . وز . راح يطلع علينا بط . بط .

كان نقلنا من ليمان طره ـ بعد **الاضراب العام** الذي دخله كل **المسجونين في الليمان** ـ الى سجن هو أقرب الى معسكر ، اجراء سريعا لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن** « **المحاريق** » **في قلب الصحراء** .

هل يطبق علينا نظام السجون التقليدي ، في سجن مثل هذا في قلب الصحراء ؟

ويهمس الينا احد الضباط الأصدقاء . .

ـ سينتقمون للسنوات التي أخذتم فيها **حريتكم** هنا في « جناح » . .

ـ وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للسجون العادية ؟ .

ـ لقد أعدوا لكم **نظاما خاصا** .

ونبدأ في اعداد أنفسنا للحياة في **سجن** « **مغلق** » **في قلب الصحراء** . لم يدر بخلدنا يوما أننا سننتقل الى سجن له « زنزانات » مرة أخرى في قلب الصحراء . حسبنا أنهم قد القوا بنا هنا الى ما لا نهاية . لكنهم كانوا يتلمظون غيظا . فكيف **نكون مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « بسجننا » أن نمتنع عن تعاطي « الثقافة والفكر » فماذا بنا ننهل منهما لنغذي عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يغمض لهم جفن ، أو يهدأ لهم بال ، ونحن هنا ، في **الصحراء** التي أرادوها قبرا لنا نغني ونرقص، ونقيم الاحتفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقي أمامنا من وقت كي نعد أنفسنا للظروف الجديدة في **السجن الجديد** ؟ ويأتي الينا الخبر « من منبعه الأصلي » من مكتب

قائد **السجن الحربي** ! ويحمله الينا الزميل **محمد مختار جمعه** الذى وصل الينا حديثا ، فى ابريل ١٩٥٨ ، بعد اعلان الوحدة « الشامخة » ! بما لا يزيد عن ثلاثة شهور . كان **مختار جمعه** مجندا فى الجيش حين القوا القبض عليه . عذبته **المخابرات العامة** ، « **نفخته** » و « **جلدته** » وحرقت **ظهره بالحديد المحمى** « **وخلعت أظافره** » ، **ووضعوه عاريا فى الماء المغلى** ، كى يعترف على واحد من زملائه ولكن دون جدوى . كان بطلا ، فاقت بطولته **الأسطورة** ؛ وحين ضاقوا ذرعا ببطولته وهم الجبناء رغم كل ما يملكون من حديد ونار قرروا ارساله الى سجن « جناح » **بالواحات الخارجة** . وفى مكتب **قائد السجن الحربي** قبل ترحيله بساعات سمع **محمد مختار** نقاشا بين **قائد السجن وبين احد ضباط المخابرات** :

- مش كان أحسن نرميه هنا ؟
- مفيش فايدة : لن يتكلم .
- راح يا خذ حريته فى « جناح » .
- كلها كام شهر ويروحوا كلهم « المحاريق » .

وتأتى الينا اخبار اخرى تؤكد ان سجن « **المحاريق** » على « **التشطيب** » وان بعثة من **ضباط المباحث العامة** ، **والسجون والمخابرات** ، قامت بزيارته للاشراف على التشطيبات النهائية ، ووضع نظام لحياتنا هناك . وقررنا أن ندخل فى سباق مع الزمن حتى لا نفاجأ بنقلتنا الى **المجهول** الذى لم نستعد له .

المعرفة هى زادنا الذى لا يمكن أن نعيش لحظة بدونه وتحت أى ظرف من الظروف مهما بلغت قسوته . هذه الكتب والتقارير والبحوث **والمجلات** سوف يلقون بها الى أفواه النيران لتلتهمها . ولكن متى استطاع اعداء المعرفة الانسانية ، بكل ما يملكون من ادوات البطش والارهاب ، وعلى مر العصور ، أن يحجبوا **المعرفة** عن طلابها ! وكان أول قرار نتخذه هو اعادة نسخ كل ما نملكه من كتب وبحوث على **ورق سجاير** « **بفرة** » وخصصنا ميزانية خاصة لشراء كميات منه ، بسرعة من بلدة « جناح » التى يشرب اهلها سجاير « اللف » ، وتكليف اهالينا بشراء اكبر كمية منه من القاهرة . وخلال اقل من شهرين تم نسخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكل التقارير والبحوث التى نملكها على ورق « البفرة » بخط رفيع جدا وغاية فى الوضوح ، نستطيع قراءته دون جهد كبير .

كان حماس الزملاء وهم يقومون باعادة نسخ ما فى هذه الكتب **والتقارير** من معرفة على ورق « البفرة » يفوق التصور . كانوا حريصين عليها حرصهم على **حياتهم** . وهل يمكن أن تكون لحياتهم معنى

بدون الثقافة والفكر ؟ الثائر لا يموت ، اذا قتل أو مات ، انه يموت فقط عندما يحجبون عنه المعرفة · وابدا لن نستسلم ، لن يقتلوا ما في داخلنا من حب وصدق وشرف وانسانية نعترفها من معين المعرفة الانسانية الذى لا ينضب أبدا ·

كانت عملية النسخ تجرى بسرعة لتسبق الزمن · مجموعات الزملاء تعمل ٢٤ ساعة في اليوم ، هذا يقرأ وآخر يكتب وثالث يراجع · مسئول « الحياة العامة » يدور على المجموعات المختلفة ، يوزع عليهم السجائر ، يرفضون حينا ويطلبون بدلا منها ورق « بفرة » وحينا آخر يقبلون حتى تعينهم على السهر طول الليل · لم نكن في حاجة الى جلسات توعية كتلك التى عقدناها قبل نقلنا من ليمان طره الى « نجاح » · ان حماس الزملاء وأقبالهم على اعادة « نسخ » ما لدينا من فكر وثقافة تجسيد لما يدور في نفوسهم ، انه أقوى من أى كلام يمكن أن يقال في مثل هذه الظروف ، ما الذى يمكن أن يقال لزملاء أعدوا أنفسهم لمواصلة السيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكون شيئا سوى ارادتهم ، وتحديهم لواقع مؤلم وصعب داخل السجن وخارجه ؟ كان دابهم على هذا العمل المضنى ، كما كانت تعليقاتهم المزوجة بالسخرية ، تجسيدا لاصرارهم على رفض الهزيمة · ·

وفى غمرة هذا النشاط الكبير الذى يستعد للحياة الجديدة ، المرونة والمجهولة في سجن « المحاريق » تأتينا انباء انتصار ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق من راديو القاهرة · ونظل طول الليل نسمع تعليقات الاذاعات العالمية ، واعلان القاهرة بوقوفها الى جانب الثورة ضد أى تدخل اجنبى ، يبعثه جمال عبدالناصر من عرض البحر خلال عودته من موسكو · ونلمح بين بعض الزملاء تفاؤلا بافراج قريب ، ونقرأ بيانا يصدره أقطاب « التنظيم الواحد » الثلاثة ويوقعون عليه بأسمائهم !

ونتساءل بسخرية :

ـ ليه كده ؟

ـ وايه المناسبة ؟

ـ ليجدوا مكانا تحت الشمس ·

ـ ولن يجدوه كما يتوقعون ·

ـ ربما كان وراء الشمس ·

ـ لم يتعلموا بعد · ·

ـ سيلدغون مرة أخرى ·

ـ آه لو كانوا مؤمنين ·

ـ ومن أين يأتيهم الايمان ؟

ـ ذواتهم فوق كل أعتبار · ·

ـ اليوم يمين ..
ـ وغدا يسار .
ـ كله ماشى .
ـ وحسب الطلب .

ومرة أخرى يأتينا من زملائنا فى الخارج ما يهدد معنويات زملائنا فى السجن . **الافراج** أقرب مما تتصورون . اعدوا قائمة بأسماء عدد كبير من **الاخوان المؤيدين** .

ونرى تكاسلا فى عملية نسخ الكتب والتقارير ، وتتضاعف مسئوليتنا . ولا نجد سوى الحوار معهم حينا ، والسخرية بما يقوله الزملاء فى الخارج عن الافراج القريب حينا آخر . وتجرى الاحداث بسرعة مذهلة نداء شهر « **العسل** » الذى حسب زملاؤنا أنه آت لا ريب فيه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **البصل** » . وتتوالى التعليقات الساخرة :

ـ همه كانوا عاوزين عسل ابيض ولا أسود ؟
ـ مش مهم ..
ـ مش مهم ازاى .. الابيض غير الاسود .
ـ ليه بقى ؟ الابيض حلو .. والاسود حلو .
ـ برضه الطعم مختلف ..
ـ المهم ما يكونش مر .
ـ وهل يميزون ؟
ـ انهم لا يبصرون .
ـ ربما يحسون ؟
ـ ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم .

ويعود الزملاء الى حياتهم السابقة فيواصلون عملية نسخ الكتب التى سنأخذها معنا الى سجن « **المحاريق** » وينجزون كل ما كلفوا به ويجرى عمل **مخابىء** لها حتى لا تقع عند وصولنا الى سجن « **المحاريق** » . وفى المساء نلمح سيارة المأمور تقف على باب السجن الخارجى فى وقت لم نعتده من قبل . ينزل من سيارته ونراه متجها الى حيث يسكن الاخوان المؤيدين . بعد مرور بعض الوقت يزف الينا البكباشى **فؤاد جاسر** خبر **الافراج** الصحى عن ١٠٠ من الاخوان المؤيدين . جاءنا الرجل سعيدا ليس لانه سيخرج من السجن فقط ، وانما لانه يرى ..

ـ ده مقدمة **للافراج** عنكم ..
ـ مش بالضرورة .

ويقول بدهشة .

ـ ازاى بقى .. وانتو اللى خليتونا **نؤيد الحكومة** ؟
ـ ولو ..

وتتضاعف دهشته ..

- مش ممكن .. ده شيء غير منطقي .
- المهم .. ألف مبروك .
- سأسحب تأييدى للحكومة اذا لم يفرج عنكم .
- يسجنوك معانا ..
- زى بعضه ...
- موقف مثالى .
- بل أبسط أنواع الوفاء ..
- اى وطنى خارج السجن .. مكسب للمعركة .
- سأمتنع عن العمل السياسى .
- خطأ كبير ..
- خير من التعاون مع من **يسجنون** أخلص الوطنيين .
- تغلب عواطفك !
- وهل من العقل أن تسجنوا ؟
- عقل الحكام .
- وهل تختلف عن عقولكم ؟
- اختلاف كبير .
- وما مصدره ؟
- الموقف الاجتماعى .
- لكن المعركة ما تزال وطنية .
- يحسبون انهم قادرون على كسبها وحدهم .
- ولماذا وحدهم فقط ؟
- لضمان موقفهم الاجتماعى .
- ربما لا يفرج عنكم أبدا .
- الا اذا اضطروا الى ذلك .
- وما الذى يضطرهم ؟
- ظروف المعركة التى يمكن أن تفرض الوحدة الوطنية .
- فهمت ..
- وماذا بعد أن فهمت ؟
- سأكون من أقوى المطالبين **بالوحدة الوطنية** .

وفى ساعة متأخرة من الليل يقيم الزملاء احتفالا يدعون اليه الاخوان المسلمين المفرج عنهم ، لكن لا يحضر سوى عدد قليل منهم **البكباشى فؤاد جاسر** ، **والصاغ جمال ربيع** ، **والصاغ حسن جموده** ، وسيد **الريس** . وفى نهاية الاحتفال يلقى **البكباشى فؤاد جاسر** كلمة انسانية تتضمن

كل المعانـى التى دارت فى حوارى معه . وفى اليـوم التالـى يشهـد سجن « جناح » **بالواحات الخارجة** مشاهد انسانيـة ، قـل أن يحـدث مثلهـا . أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى .

أول اغسطس ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة(٤٠)

حبيبتـــى

وشـهد يوم الافراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية مواقف** انسانيـة عميقـة أكـدت الجوهـر الطيب للانسـان • كانت قائمة أسـماء المفرج عنهم فى مسـاء اليوم السابق تشـمل كل ضبـاط الجيش وعددا من المدنيين ، ولـم تتضمن أسماء آخـرين مـن الاخـوان المؤيدين • وظلت هذه المسـألة محل تسـاؤل من الاخوان المؤيدين الذيـن شملتهم القائمة والذين لـم ترد اسماؤهم فيهـا • مخاوف كثيـرة كـانت تنتاب الباقين من المؤيدين ، ليس فقط لعـدم الافراج عنهم ، ولكن بسـبب مـا سـوف يلاقونـه فى السجن بعد خروج قياداتهم •• فلقـد كان الوضـع بين الاخوان المؤيدين والاخوان المعارضين قـد بلغ درجـة كبيـرة من السـوء • ولقـد بلغت هذه المخاوف حـدا جعلت الاخـوان المفـرج عنهـم يفكرون فى البقـاء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هـم الآخرين •

وأشهد حوارا بين بعض الاخوان المسلمين المؤيدين والمفرج عنهم وبين مامـور السـجن :

ـ هل تقبل **استضافتنا** عنـدك كام يـوم ؟

وتبدو علامات الدهشـة على وجـه المأمور •

ـ استضافتكم ! أين ؟

ـ هنـا فى **السـجن** •

وتزداد دهشـة المأمـور •

ـ هل أكذب أذنـى ؟

ـ لا تكذبهـا ••

ـ تريدون البقـاء فى السجن !•

ـ أيـوه •

ـ وليه ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا بـره ؟

ـ مش دى المشـكلة •

ـ وهـل توجـد مشـكلة ؟

ـ أيـوه •• أخواننا الذين لـم يفـرج عنهم بعـد •

ـ ستحل قريبـا جدا •

ـ ننتظر فى السجن حتى تحـل •

ويضيح المأمور :
- جد والا هزار ؟
- منتهى الجد .
- ذى تبقى مسئولية على .
- ليه بقى .. نحن نريد أن **نسجن** بارادتنا ..
- لا تملكون ذلك .
- لا تملك أن نسجن أنفسنا ؟
- ولا تملكون الخروج من السجن بارادتكم .
- اذن سنعيش هنا على أبواب السجن .
- ولا تملكون هذا أيضا .
- لماذا ؟ ألم يفرج عنا ؟
- بعد أن اسلمكم فى القاهرة .. **افعلوا ما شئتم** .
- نحن عهدة ؟
- تمام .
- اذن لن نخرج من باب السجن .
- سأكون مضطرا لاستخدام القوة .
ويتوتر الموقف لحظة .. ويقول المامور مبتسما ..
- **السجن بالقوة .. والافراج بالقوة** .. ايه رأيكم ؟
- هل يمكن الاتصال بالقاهرة ؟
- للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمر غريب .
ويضحك واحد من الاخوان :
- وما وجه الغرابة .. ناس عاوزه تتسجن فيها ايه دى ؟
- فيها كثير .. **قرار جمهورى** .
- وهل الحصول عليه صعب ؟
- جدا ..
- كان سهلا قبل ذلك !
- أنا لا أفهم فى السياسة .
ويضج الجميع بالضحك ، بينما يدق جرس التليفون . يضع المامور السماعة ويقول مبتسما :
- وصل القرار الجمهورى .
- باعادة سجننا ؟
- **بالافراج عنكم جميعا** .
يتعانقون ويتبادلون التهانى ويعودون الى خيامهم يعلنون الخبر ويستعدون للعودة الى الحرية .
يهمس **فؤاد جاسر** فى أذنى :

ـ ربع ساعة واكون عندك ٠

ويهمس **جمال ربيع** :

ـ فين ملك الصحراء ٠٠ أنا عاوزه ؟

ـ أظن فى خيمته ٠

ينادى على **فؤاد جاسر** ، واخرج له من الخيمة ونجلس تحت ظل شجر الخروع الذى زرعناه حول كل الخيام ٠ تخرج منه كلمات خجولة :

ـ الحاجات دى بقى مش لازمانى ٠ حاجة بسيطة كده ٠

ـ شكرا يا أستاذ فؤاد ٠ ٠

ـ والكام قرش دول ٠٠ يعنى برضه ٠

ـ ستحتاج الى نقود ٠

ـ لا ٠٠ عندى فى البنك ٠٠

ـ قصدى ٠٠ ربما تحتاج ركوب تاكسى مثلا ٠

ـ عامل حسابى ـ معايا **ثلاثة جنيه** ٠

وبينما انا انادى على مسئول الحياة العامة لاسلمه هذه الخيرات من علب الطعام المحفوظة والسكر والشاى والحلاوة الطيحنية والسجاير ، فضلا عن **عشرين جنيها** ، أسمع صوت **ملك الصحراء** ٠ ٠

ـ انت فين يا أستاذ فؤاد ٠٠ أنا دايخ عليك ؟

ـ انا أهو يا ملك الصحراء ٠ ٠ كان لازم أمر عليك ٠

ـ فاضى لمدة ساعة ٠ ٠

ـ ثلاث ساعات يا ملك ٠ ٠ انت عارف ٠

ـ طيب بينا على « الاتليية » ٠٠ معانا يا درش ٠

ـ نقعد هنا ٠٠ فى الضلة دى ٠

ـ لا فى الاتيلية ٠٠ عاوز أرسمك ٠ ٠

ـ حقيقى يا وليم ؟

وينهض ليعانقه فى حب وأخوة ٠٠ وفى خيمة وليم نجد كل شئ معدا للرسم ، يجلس **فؤاد جاسر** على كرسى ويبدأ **ملك الصحراء** يضع خطوطه الاولى ٠ يقول فؤاد ضاحكا ٠ ٠

ـ طيب ما انا رايح لهم بنفسى يا ملك ٠ ٠

ـ وماله ٠٠٠ اصل وصورة ٠

ـ وطبعا الصورة أحسن ٠

ـ المقارنة بين صورة وأخرى ٠٠ وليس بين الاصل والصورة ٠

ـ وما هى مقاييس المقارنة ؟

ـ قدرة الفنان على ان يقول ما يحس به ٠ ٠

ـ وهل تختلف بين فنان وآخر ؟

ـ طبعا ٠ ٠ ما أراه أنا قد لا يراه غيرى ٠٠٠

ـ مثلا ٠ ٠

ـ فنان يغوص فى الأعماق الانسانية ٠ ٠ وآخر يستهوية الشكل الخارجى ٠

ويضحك فؤاد ويقول :

ـ وطبعا انا شكلى الخارجى ٠٠ الحمد لله ٠٠

ـ شكلك الخارجى يجسد ما فى داخلك ٠ ٠

ويضج بالضحك ٠ ٠

ـ يا ساتر ٠٠ حرام عليك يا ملك ٠ أنا باشوف نفسى فى المراية ٠٠

ـ لما تشوف الصورة راح تغير رأيك ٠

ويدخل الصاغ **جمال ربيع** تسبقه رائحة « البارفان » النفاذة ، ويرتدى البدلة « **الملكى** » ، آخر أناقة ، يحيينا ويقول موجها حديثه الى **فؤاد جاسر** :

ـ مش كان احسن تلبس البدلة يا فؤاد ٠٠٠

ويرد الملك :

ـ منا كنتش راح أرسمه ٠٠

ـ يعنى مش راح ترسمنى يا ملك ٠

ـ ما أنا رسمتك ثلاث صور ٠

ـ كانت بهدوم **السجن** ٠

ويقول وليم ضاحكا :

ـ واحدة منهم **بالروب** ٠٠

ـ كانت مايلة ٠ ٠

ـ ابدا ٠٠ كانت وحشة ٠ ٠ اوحش صورة رسمتها ؟

ويضحك جمال ٠ ٠

ـ كل ده بسبب الروب ٠ ٠

ـ أنا ما أحبش الأرواب والا البدل « الملكى » !

ـ البس بدلة « جمهورى » !

ـ ما انت خلعتها خلاص ٠ ٠

ويضج الجميع بالضحك ٠ ويقول **جمال ربيع** :

ـ وحياتك يا ملك ٠٠ صورة كده سريعة ٠

ـ فوتوماتون ؟ ٠ ٠

ـ حتى ولو بالقلم الرصاص ٠ ٠

ـ بشرط ٠ ٠ الوجه بس ٠٠

ونضج بالضحك مرة أخرى ، وتتوالى التعليقات ؟

ـ يا خسارة القيافة دى كلها ٠

ـ طب ياقة الجاكتة وعقدة الكرافتة ٠

ـ لو بالألوان كان ممكن ٠٠

ـ الظل والنور يغنى عن اللون ٠

ـ المهم تبقى الصورة مختلفة ٠

ـ وايه وجه الاختلاف ؟

ـ صورة مسجون ٠ ٠ وصورة مفرج عنه ٠

ـ تعبيرات الوجه ٠

ويتدخل ملك الصحراء قائلا ٠ ٠

ـ اذا كان كده مش راح أرسم ٠

وينزعج **جمال ربيع** ٠ ويقول :

ـ ليه يا ملك ؟

ـ مش شايف أى فرق ٠

ـ ازاى بقى ؟ دى مسالة مهمة قوى ٠ ٠

ـ تبقى تنتظر كام يوم لغاية ما أشوف الفرق ٠

ـ يا ملك بلاش هزار ٠٠ مفيش وقت ٠

ـ استنى شوية ٠ ٠ يمكن أشوف حاجة إستحق أرسمها ٠

ـ الله يسامحك ٠٠ مش لاقى حاجة فيه تستحق ترسمها ؟ ٠٠

ـ أنت فاهم قصدى ؟

ـ طبعا ٠٠ طبعا ٠٠ أمامنا وقت ٠

أكثر من ساعة لم يتحرك خلالها **فؤاد جاسر** من جلسته يهمس قائلا :

ـ نشرب سيجارة يا ملك ٠

ـ وفنجان قهوة « تشطة اليمن » ٠

ـ قهوة « فلاحين » ولا « مثقفين » يا ملك ٠

ـ كلك نظر يا درش ٠ ٠

ـ قهوة « فلاحين » طبعا ٠

ـ تبقى بتحب الاستاذ **فؤاد جاسر** ٠

ويضحك وليم واضحك ويصيح فؤاد جاسر ٠

ـ ايه الحكاية ٠٠ فهمونى علشان اضحك معاكم ٠

اقوم باعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقوس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، ويجلس **وليم اسحق** يتأمل الصورة التى أوشك على الانتهاء منها ٠ تعبيرات وجهه تدل على رضاءه عنها ، وهو نادرا ما يرضى عن صورة يرسمها ٠ أقول لوليم :

ـ أسرع صورة ترسمها يا ملك ٠

ويقول باســـى :
- وربما آخــز صــورة !
ويقــول فؤاد جاسر بصوته الودود :
- ربنا يديك طولة العمر يا ملك ٠
ويرد باســـى :
- مين عارف راح ارســم في سـجن « الحاريق » والا لا ٠ ٠
واقــول مشــجعا :
- لن تتوقف عن الرسم يا وليــم٠٠ ثــق ٠
ويــرد بسخرية مريــرة :
- أثق فى عجلة التاريــخ٠٠ مش كــده ؟
وتسود لحظــة صمت تقطعها نبــرات صــوت وليــم تحمّل الأسف ،
- متاسف يا درش ٠٠ انت مش ناقص هموم ٠
- وأنت جزء هــام من همومى يا وليــم ٠
- ما هو علشــان كده ٠٠ كان لازم ألم لسانــى ..
واقول ضاحــكا ٠٠
- طب لـم صــورة فؤاد بقــى ٠
ويعود الى فرشاته وألوانــه ٠ تعبيرات الأنــف ما تزال علــى وجهه ٠ الفرشاه تهتز فى يــده قليــلا ٠٠ يتركها يرتشف رشفة قهــوة ٠ وأقــول ضاحكــا ٠٠
- قهــوة « فلاحين » اكسير الحيــاة ٠
يعود الى فرشاته ويمسكها بحيوية ويمزج على « البالتــا » عــددا مــن الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقــول :
- شوف يا درش ٠٠ عينك فيها شبه كبير من عنين فــؤاد ٠٠
- وايــه اللى بيجمع بينهم يا وليــم ٠٠
- صــدق الانســان ٠
ونسمع أصوات تنــادى على فؤاد جاسر ٠٠حــان الوقت لسفر المفــرج عنهم ٠ فؤاد لا يتحرك من مكانــه ويظــل جالسا فى صمت ووليــم يواصــل الرسم بهدوء ، وحوار سريــع يدور بين تعبيرات تجسدهــا اللحظــة علــى وجه فؤاد وتلتقطهــا روح الفنان لتضعها ريشته فى الصورة ٠
- أحسن صورة رسمتها فى حياتــى ٠
وينهض فؤاد جاسر من جلســته ويعانق وليــم اســـحق ، يقبله والدموع تجرى على خدوده ٠ وأرى فؤاد يبذل جهــدا خارقــا للتغلب على انفعالاته ، وأقــول ضاحــكا :
- خد بالك يا فؤاد الألوان لســه طريــة ٠٠
وبصعوبة شديدة نسحب فؤاد جاسر خارج خيمة وليــم اســحق كــى يذهب الى خيمته ليرتدى ملابســه « الملكــى » ويأخــذ حاجياتــه ، فموكب

المفرج عنهم قد اوشك على التحرك •

وعند **باب السجن** يتجمع كل الزملاء ليودعوا اخواننا لهم **دخلوا** السجن وهم مختلفون معهم فى كل شىء ، وخرجوا منه وقد إتفقوا على شىء واحد ولكنه أساسى وجوهرى ، **مساندة الحكم الوطنى بقيادة جمال عبدالناصر** ، من أجل مصر أم جميع الوطنيين ، وحبيبة كل الشرفاء •

وخارج **أسوار السجن** ، بالقرب منها ، تشهد صحراء **الواحات الخارجة** ، ما لم تشهده أبدا عبر الأزمان والعصور • **صورة عدد من الاخوان المسلمين يعانقون فى ود ومحبة من يختلفون معهم فى الفكر** ، **ويجمعهم حب مصر** •

متى تشهد القاهرة هذه الصورة ؟ متى ؟ • بل متى يشهد الوطن العربى كله هذه الصورة ؟ متى ؟ •

وتتحرك العربات تحملهم الى **الحرية** ! وتعود الينا بعد ايام قليلة كى تحملنا الى **سجن الحاريق** ! •

اكتب اليك رسالتى المقبلة وأنا فى الطريق اليه يا حبيبتى •

٢ اغسطس ١٩٧٧
القاهرة

تم الجزء الأول

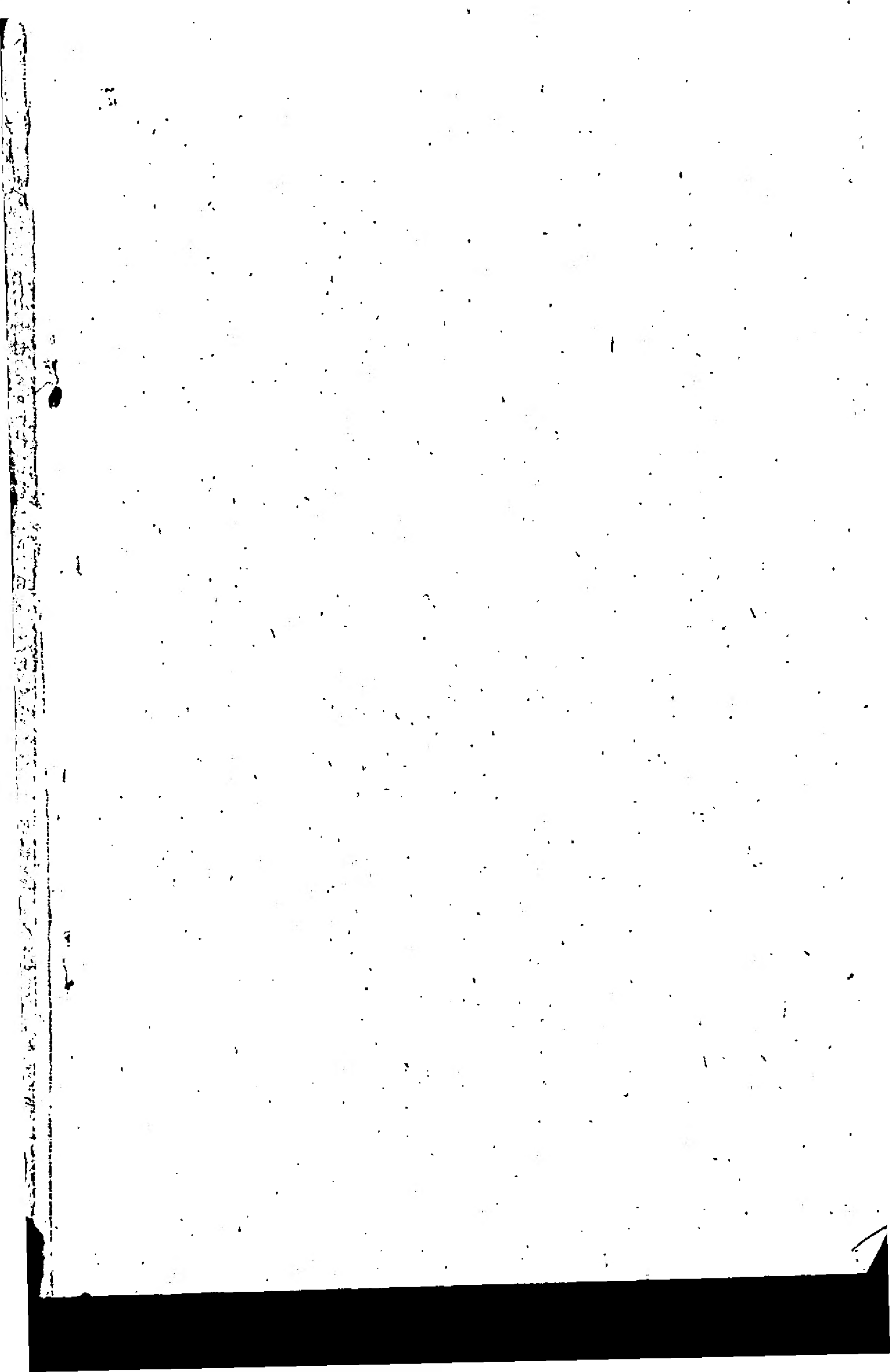
الجزء الثانى ((تحت الطبع))

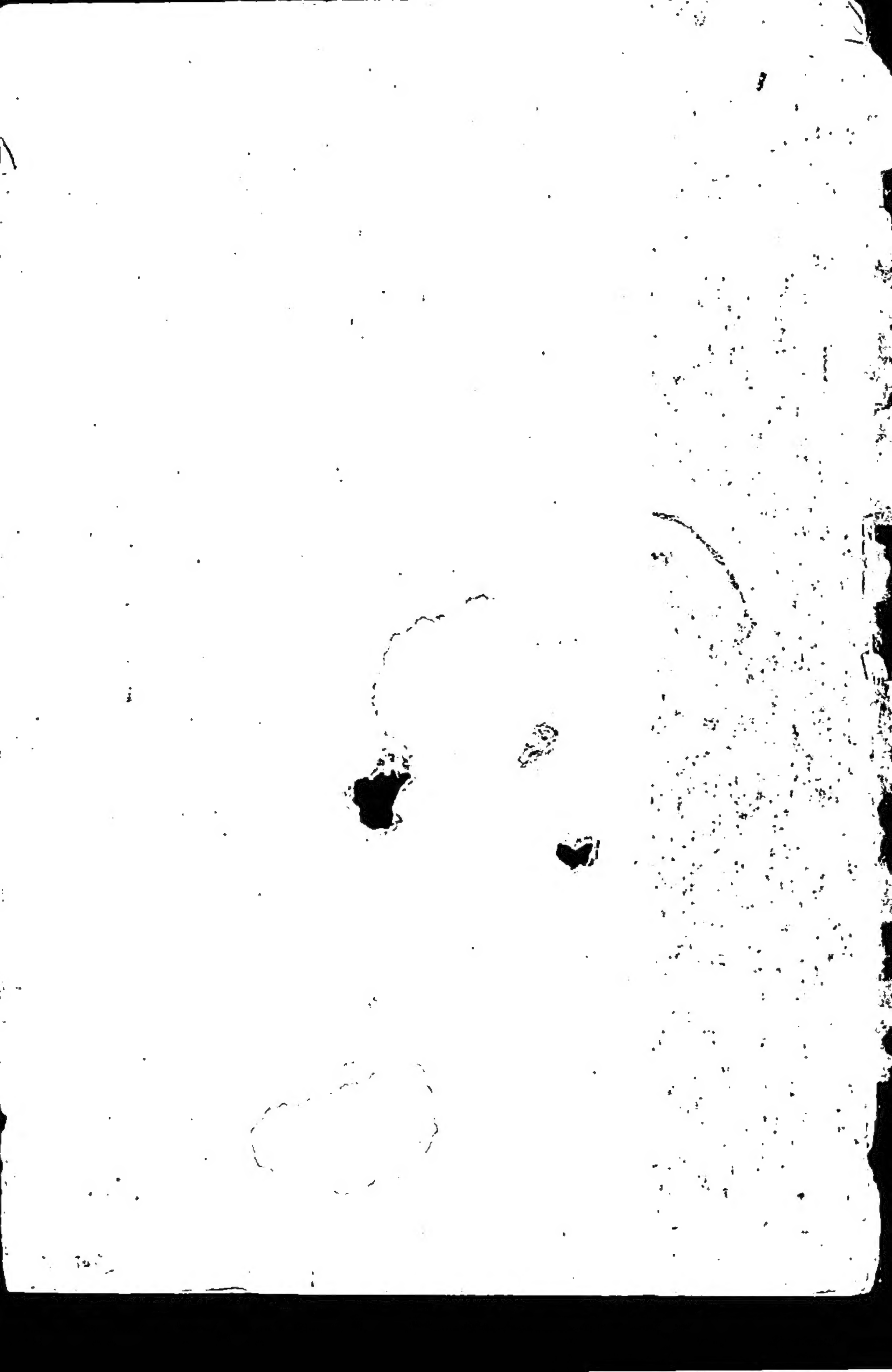
رقم الايداع ٧٨/٤٥٩٤

الترقيم الدولى ٧ - ٥٨ - ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »
اول شارع الجيش - تليفون ٩٠٨٣١٨
القـاهرة







- عن الكتـاب

قضى المؤلف اثنى عشر عاما فى سجون وليمانات ومعتقلات المملكة المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة وبعد خروجه ظل سنوات اخرى يتامل بعض احداث جيله ... وفى لحظة صدق مع نفسه سجل هذه التجربة الفنية .

ان رحلة المؤلف فى سجون مصر كما سجلها فى هذا الكتاب لم تكن رحلة حقد على احد .. ولم تكن رحلة انتقام بالكلمات من السجانين لان السجانين ببساطة مذهلة يموتون فى اللحظة التى يتقبلون فيها هذا العمل .

ان رحلة هذا الكتاب تؤكد ان سؤال الانسان عن [illegible] فى الحب امر طبيعى .. وان فهم الانسان لظروف مجتمعه امر [illegible] حتى وان كان غال الثمن .

والكتاب قد يبدو فى ظاهره مجرد رحلة فى السجون السياسية .. لكنه فى اعماقه رحلة انسان يبحث عن حقه الطبيعى فى الحرية والحب .. انه رحلة الاصرار على الحق التى تجعل العذاب الذى يفرقه السجان هو طاقة جديدة ينير بها الانسان ايام المستقبل ..

حاول ان تفهم حقك فى حب الحياة والناس بان تقرا هذا الكتاب اكثر من مرة .

الناشر

